لطائف ومعارف القرآن الكريم بين سؤال وجواب

الجزء الثاني

الشيخ
علي الإبراهيمي



لطائف ومعارف القرآن الكريم بين سؤال وجواب

لطائف ومعارف القرآن الكريم

من سورة الليل إلى سورة النباء

((الجزء ٣٠ من القرآن الكريم))

الجزء الثاني

الشيخ

علي الإبراهيمي



الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

مراكز التوزيع	
مكتبة الأمين العراق - كربلاء المقدسة هاتف ٣٣٥٢٦٢ / ٣٢٨٦١١	مكتبة الأمين إيران - قم - ص.ب: ٤٣٥٩٠ هاتف: ٧٧٤٢٥٩٩
مكتبة هيئة الأمين ﷺ الكويت - بنيد القار حسينية أحمد عاشور هاتف / ٢٥٤٤٢٠٢ - فاكس / ٢٥٢٩٦٤٠	دار الأمين لبنان - بيروت حارة حريك مقابل البنك الفرنسي قرب مستودع دار العلوم

مكتبة هيئة الأمين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ

ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾

ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ

ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ

عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

الإهداء..

السلام عليك يا رسول الله يا محمد بن عبد الله، يا خير خلق الله، ورحمة الله وبركاته..

السلام على أهل بيتك المعصومين الأطهار؛ علي أمير المؤمنين والصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة والتسعة المعصومين من ذرية الحسين ﷺ، شجرة النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومعدن العلم وأهل بيت الوحي..

السلام على الإمام المهدي المنتظر الحجة بن الحسن العسكري عليه صلوات الله وسلامه ورحمة الله وبركاته..

إليك يا رسول الله وإلى أهل بيتك الأطهار أهدي هذا العمل راجياً من الله تعالى القبول والنفع ليوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم..

كما وأهدي ثواب هذا العمل لأرواح جميع المؤمنين والمؤمنات لا سيما إلى روح أخويّ (مؤيد وعادل حسين)..

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين المعصومين..

المؤلف



المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على من جعله شاهداً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وعلى آله الذين أذهب عنهم الرجس أهل البيت وطهرهم تطهيراً..

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(١).

وعن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «من قرأ القرآن فظنّ أن أحداً أعطي أفضل مما أُعطي فقد حقّر ما عظم الله، وعظم ما حقّر الله»(٢).

وقال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «وتعلّموا القرآن، فإنه أحسن الحديث، وتفقّهوا فيه فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه أنفع القصص»(٣).

عن الإمام الحسن العسكري عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن النبي الأكرم محمد ﷺ أنه قال: «إن هذا القرآن هو النور المبين، والحبل المتين، والعروة الوثقى، والدرجة العليا، والشفاء الأشفى، والفضيلة الكبرى، والسعادة العظمى، من استضاء به نوّره، ومن عقد به

---

(١) المائدة: ١٧.

(٢) وسائل الشيعة: ج٦ ص١٧٠ ب٢ ح٧٦٥٤.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١١٠.

أموره عصمه الله، ومن تمسك به أنقذه الله، ومن لم يُفارق أحكامه رفعه الله، ومن استشفى به شفاه الله، ومن آثره على سواه هداه الله، ومن طلب الهدى في غيره أضله الله، ومن جعله شعاره ودثاره أسعده الله، ومن جعله إمامه الذي يقتدي به، ومعوّله الذي ينتهي إليه أداه الله إلى جنات النعيم والعيش السليم»[(١)].

وعن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنه شافعٌ مشفع، وما حل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيانٌ وتحصيل، وهو الفصل وليس بالهزل... ظاهرهُ أنيق وباطنه عميق، له نجوم، وعلى نجومه نجوم، لا تُحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى، ومنار الحكمة... نورٌ لا تطفأ مصابيحه، وسراج لا يخبؤ توقّده، وبحر لا يدرك قعره، ومنهاج لا يضل نهجه، وشعاع لا يظلم ضوءه، وفرقان لا يخمد برهانه، وتبيانٌ لا تهدم أركانه...»[(٢)].

قبل سنوات بدأت في الكتابة حول القرآن الكريم، وكانت البداية مجموعة من البحوث في الآيات القرآنية بصورة موضوعية، وجاء البحث الأخير في السور القصار وكنت ألقيه على مجموعة من طلاب العلوم الدينية في مدينة قم المقدسة، ورأيت من الضروري كتابته بشكل جميل وسهل، لتعمّ الفائدة للجميع، وضعت أسلوب الكتاب بصورة سؤال وجواب، حيث بهذا الأسلوب تكون الفائدة ما لم تكن في غيره، اعتمدت في كتابة البحث على مجموعة من التفاسير المعتبرة وعلى رأسها (تفسير الميزان) للعلامة الطباطبائي (رحمه الله)، و(التفسير الأمثل) لمكارم الشيرازي، و(تفسير الفرقان) للدكتور محمد الصادقي، و(تفسير منة المنان) للسيد الشهيد محمد الصدر (قده)، و(التفسير الكبير) للفخر الرازي، و(تفسير من هدى القرآن) للسيد محمد تقي المدرسي.. وبعض التفاسير الأخرى بشكل مختصر، بالإضافة إلى بعض التأملات الشخصية كتبتها في جواب بعض الأسئلة، وهنا

(١) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: الفرقان، مجلد ١، ١٢.

(٢) أصول الكافي ٢: ٦٠٠ و ٥٩٨.

بعض الملاحظات أشير إليها :

أولاً: إنّ لآيات القرآن الكريم أبعاداً مختلفة، وعلى قول الأئمة الطاهرين عليهم السلام إنّ له تخوماً وبطوناً تصل إلى السبعين وكما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ظاهره أنيق وباطنه عميق. . . لا تحصى عجائبه، ولا تُبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة»، لذا فعندما كتبت جواباً للسؤال المطروح، لا أدّعي أنه كل المراد والمطلوب، إنما سجلت ما وجدته في التفاسير المعتبرة، وما هي إلاّ بيان لبعض الموضوعات، وسيظل القرآن فوق التفاسير لا يحيط بكنهه إلا الله والراسخون في العلم وهم أهل البيت عليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

ثانياً: بما أن بحوث السور المباركات جاءت بصورة سؤال وجواب، وقد صُبّت في قالب جميل وسهل، لذا يتمكن الأساتذة الكرام الاستفادة من هذه البحوث الجميلة في نشر مفاهيم القرآن الكريم بين مختلف طبقات المجتمع، فانه (هدى للناس) ويكون لهم بذلك الأجر العظيم من الله سبحانه وتعالى في إحياء كتابه العزيز في أمة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾[1].

وطريقة التدريس هي أن يجمع الأستاذ مطالب الآيات المباركات في ذهنه أولاً بصورة كاملة وجيدة، ثم يعرض الأسئلة على الحضور من دون أجوبتها، ويطلب منهم التفكير في الأجوبة، وبعد الانتهاء من عرض الأسئلة، فإن أجاب الحضور على بعضها فبها ونعمت، وإن لم يجيبوا، فالأستاذ يجيب عليها بشكل متسلسل ومنظم، وله الحق في التوسعة، بشرط أن لا يكون مخالفاً لكتاب الله عزّ وجل فـ«القرآن يفسر بعضه بعضاً وينطق بعضه على بعض»[2] وقال عليه السلام : «القرآن حمالٌ ذو وجوه فاحملوه على أحسن الوجوه» وقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ و لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾[3].

ثالثاً: يمكن أن تكون مواضيع البحث المستوحاة من كتاب الله العزيز، مادّة غنية ومفيدة

---

(١) الفرقان: ٣٠.

(٢) نهج البلاغة عن الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٣) النساء: ٨٤.

لإخواني الخطباء والمبلّغين (حفظهم الله)، حيث إنّها مواضيع جديدة وجميلة، قلّما طُرحت على المنابر وقلّما سمعها الناس، ومنبر الإمام الحسين عليه السلام خير سبيل لإيصال كلام الله (تعالى) إلى الآخرين، فيتمكّن الخطيب الاستفادة من مواضيع الكتاب وأسلوبه في إفادة وجمع أذهان مستمعيه أكثر من أسلوب آخر. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾[1].

رابعاً: كم هو جميل وعظيم أن نرى حوزاتنا العلمية المباركة تهتم بدراسة القرآن الكريم بمقدارٍ أكثر مما هو عليه الآن، لكي تكون مرضيةً عند الله سبحانه وتعالى بالشكل الكامل، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً..».

خامساً: أرجو من القراء الكرام أن يهدوا إليَّ عيوب كتابي، ويبتغوا بذلك مرضاة الله تبارك وتعالى، وأخيراً أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل مني هذا الجهد القليل وأن ينفعني به وسائر المؤمنين يوم الجزاء الأكبر ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[2].

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين المعصومين..

علي الإبراهيمي

١٧ ربيع الأول ١٤٢٦هجرية

دمشق - بجوار السيدة زينب الكبرى

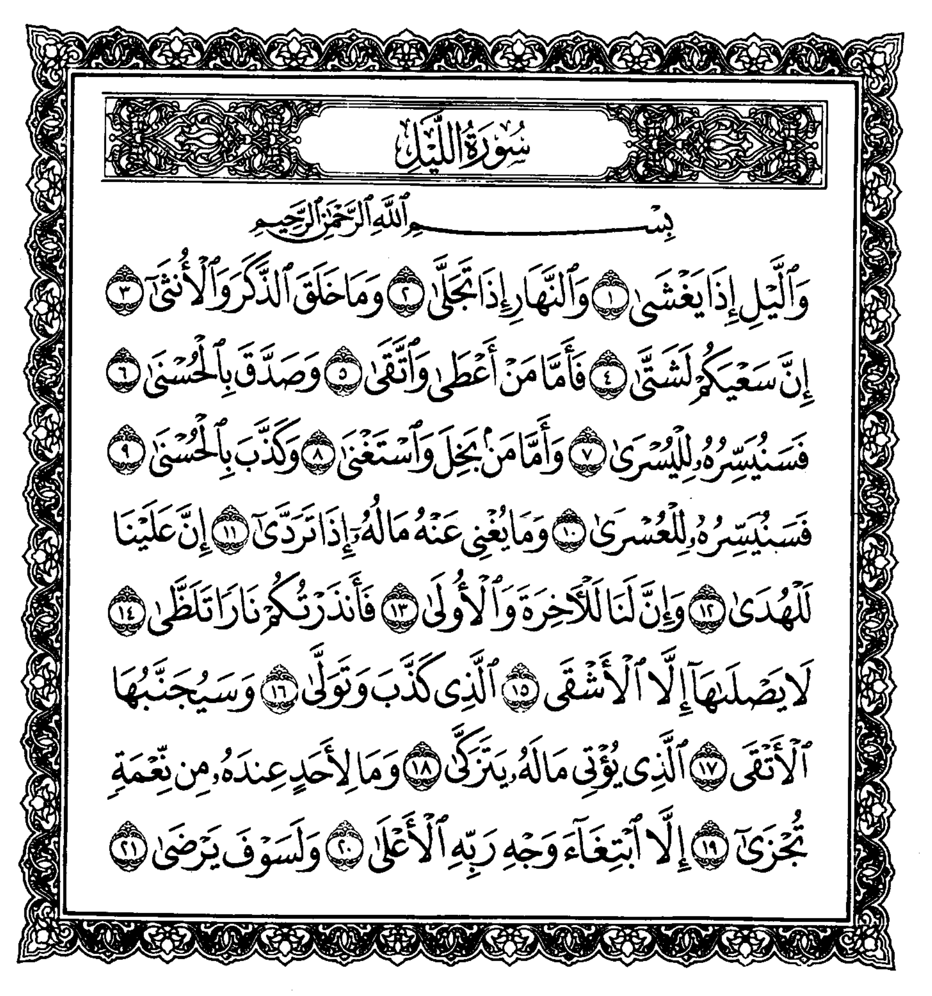
(عليها وعلى آبائها أفضل الصلاة والسلام)

---

(١) القمر: ١٧.

(٢) الشعراء: ٨٨.

سُورَةُ اللَّيْلِ



سُورَةُ اللَّيْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾
إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾
فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾
فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا
لَلۡهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾
لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا
ٱلۡأَتۡقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ
تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴿٢١﴾

فضلها:

تقدم في سورة الانشراح .

المفردات:

يغشى: يُغطّي.

تجلّى: ظهر.

السعي: المشي السريع، والمراد به العمل المهمّ بالنسبة لصاحبه.

شتّى: جمع شتيت أي متفرّق.

صدّق بالحسنى: وهي ما وعد الله من الثواب على الإنفاق في سبيله.

فسنيسّره: التيسير هو التهيئة والإعداد.

الاستغناء: طلب الغنى والثروة بالإمساك والجمع.

التردّي: السقوط من مكان عالٍ أو الهلاك.

تلظّى: تتوقّد وتتوهّج.

يصلاها: يُوقدها.

موضوع السورة:

موضوع السورة هو الإنذار وتدعو إليه بالإشارة أوّلاً بالقَسَم بأشياء مختلفة بأنّ مساعي الناس مختلفة أيضاً، كما أنّ المخلوقات متفرّقة، فمن أنفق واتّقى وصدّق بالحسنى فسيهديه الله (سبحانه وتعالى) إلى حياة خالدة وسعيدة والذي بخل واستغنى وكذّب بالحسنى فسيسلكه الله إلى دار الشقاء، وفي السورة اهتمامٌ خاصّ بالدعوة إلى الإنفاق المالي.



الأسئلة والأجوبة

۞ **قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾.**

(س) ماذا يغشى الليل بمجيئه؟

(ج) يُغشي النهار كما قال (عزّوجلّ): ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ [1]، ويحتمل أنّه يُغشي

---

(١) الأعراف: ٥٤.

الأرض والشمس فيكون هو المراد من الآية .

(س) لماذا عبّر عن صفة الليل بالمضارع وعن صفة النهار بالماضي حيث قال (عزّوجلّ) : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾؟

(ج) وذلك للدلالة على الحال أي فيه إيماءٌ إلى غشيان الفُجُور للأرض بصورة مستمرّة ، وخصوصاً في الزمن الذي ظهَرَ فيه الإسلام ، ولاشكّ هناك ارتباط بين القَسَم وبين المُقسم به .

(س) لماذا عبَّر عن الله (سبحانه وتعالى) بـ (ما) الموصولة دون (من) في قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾؟

(ج) وذلك إيثاراً للإبهام المُشعر بالتعظيم والتفخيم ، فيكون المعنى وأُقسم بالشيء الكبير والعظيم الذي أوجد الذكر والأُنثى لجميع المخلوقات النباتية والحيوانية والإنسانية . أي (والذي خلق الذكر والأُنثى) .

(س) ربُّنا (سبحانه وتعالى) يُقسمُ بأمور دون أمور لأجل إلفاتنا إلى أهمّية وعظمة المُقسَمُ به ، فما هي أهمّية وفوائد الليل والنهار؟

(ج) تأوي الحيوانات إلى مأواها وتسكن بعد اضطراب وحركة النهار ، فيغشاهم النوم الذي جعله الله راحةً لأبدانهم ، فلولا وجود الليل لاضطربت حياة الإنسان ولَفَقَدَ الراحة والهدوء بشكل كبير ، وعندما يأتي وقت النهار تتحرّك الحيوانات وهكذا الإنسان لأجل طلب معاشهم ، فلو كان الزمن كلّه ليل لتعذّر طلب المعاش كلّياً . إذاً فالمصلحة في تعاقبهما بصورة منتظمة .

(س) قوله (تعالى) : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ لم يذكر فيه مفعوله ، فلماذا وما هو الشيء الذي يغشاه الليل؟

(ج) من الواضح للجميع أنّ الليل وظلمته تغشى النهار وما عليه وما يظهر فيه ، فهو إمّا الشمس بقوله : ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا * وَاللَّيْلِ

إِذَا يَغْشَاهَا﴾[١]، إمّا أنّه النهار ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾[٢].

❁ قال تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾.

(س) لماذا أقسم الله بالليل والنهار وما خلق من أنواع المخلوقات المختلفة من ذكر وأُنثى، وما ربطُ ذلك بالآيات التالية لها؟

(ج) ربُّنا (سبحانه وتعالى) يضرب لنا مثالاً بمخلوقاته إذ كما أنّها مختلفة بعضها عن بعض ومتباعدة، فكذلك أعمال الإنسان بعضها متباعدةٌ عن البعض الآخر، فبعضها تؤدّي إلى الضلال وسخط الله (تعالى)، والبعض الآخر إلى رضوانه والجنان، وشتّان الفرق بينهما قال (عزّوجلّ): ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَـرّاً يَرَه﴾[٣]، ﴿لاَ يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾[٤]، ويقرب منه قوله (تعالى) أيضاً: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لاَ يَسْتَوُونَ﴾[٥]، وكقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾[٦]، إذاً فلما السعي مختلف فالنتائج مختلفة ولا يمكن أن تكون متساوية.

❁ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾.

(س) ما هو الدليل على أنّ المراد من الإعطاء هو الإنفاق المالي لوجه الله (عزّوجلّ) ولماذا لم يكن الإعطاء من أمور وخيرات أُخرى مثل العلم والحلم والقوّة وغير ذلك؟

(ج) وذلك بقرينة البخل في الآية اللاحقة، وذكره (عزّوجلّ) عدم النفع من المال الذي بَخَلَ

---

(١) الشمس: ١ ـ ٤.

(٢) الأعراف: ٥٤.

(٣) الزلزلة: ٧ و ٨.

(٤) الحشر: ٢٠.

(٥) السجدة: ١٨.

(٦) الجاثية: ٢١.

به البخيل فقال: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾.

(س) لماذا شرط التقوى مع الإعطاء ليكون ممّن يُيَسرَهُ الله لليُسرى؟

(ج) لأنّ الإعطاء الذي لا يصاحبه تقوى الله ولم يكن لوجهه تعالى فإنّ المعطي سوف يطلب شيئاً مقابل الشيء المُعطى، ولهذا سوف يجدُ الفقير الأذى مقابل أخذه للمال، فتارةً يكون الشيء المقابل هو سلب ماء الوجه أو طلب الخضوع والخدمة، بينما يقول الله (سبحانه وتعالى): ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذىً﴾[1]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾[2].

(س) لماذا شرط الايمان والتصديق بالثواب، مع الإعطاء والتقوى، وبه يكمل قبول عمل وعطاء الإنسان؟

(ج) إنّ التصديق بالبعث بشكل كامل يُلزمه الإيمان بوحدانية الله (سبحانه وتعالى) في الربوبية والإلوهية وكذا الإيمان بالرسالة والرسول إذ هما طريق الوصول إلى وعد الله (سبحانه وتعالى). فالعمل الصالح وحده لا يكفي إذا لم يُقارنه الإيمان الكامل.

(س) ما هو المراد من ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ هل أنّ الله (عزّوجلّ) سوف يجعله على الطريق الصحيح بصورة كاملة بحيث لا يرتكب معصية بعدها، أي يجبره على الخيرات، ويُجنِّبه السيّئات بشكل قاطع؟

(ج) ليس المراد من ذلك بأنّ الله (عزّوجلّ) يجعله على الطريق المستقيم بشكل كامل بحيث لا يُعصي بعدها، بل يعطيه جزاء المحسنين في الدُّنيا كما تعهّد بذلك بقوله (عزّوجلّ): ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً﴾[3]، ﴿مَنْ جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾[4] يتوفّق إلى الأعمال الصالحة بشكل أكثر بتسهيلها عليه، أو يجعله سعيداً كتهيئة للحياة السعيدة

(١) البقرة: ٢٦٣.

(٢) البقرة: ٢٦٤.

(٣) محمّد: ١٧.

(٤) النمل: ٨٩.

الكبرى وهي دخول الجنان واكتساب الرضوان بما أتى من الأعمال الصالحة والإيمان.

۞ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾.

(س) الاستغناء هو طلب الغنى والثروة، فهل هو محظور حتّى تذمّه الآية؟

(ج) طلب الغنى غير محظور منه إذا كان عن طريق سليم لا يتجاوز الحدود الإلهيّة، ولكن إذا أصبح عن طريق تجاوز الأخلاق فهو مرفوض لأنّه يؤدّي إلى فساد المجتمع، ولا يكون إلاّ عن طريق الحرام، قال الإمام عليّ عليه السلام: «لا يجتمع المال إلاّ عن طريق البخل أو الحرام».

(س) هل الإنسان البخيل والذي يطلب الزيادة مخذول من قبل الله (عزّوجلّ) لا يُوفّق إلى الأعمال الصالحة؟

(ج) إذا كان الإنسان متّصفاً بهاتين الصفتين فقط دون غيرهما من التكذيب بالحقّ واليوم الآخر، فالله (سبحانه وتعالى) لا يهديه إلى السوء والعُسرى، بل يُدخله مرحلة الابتلاء والصراع مع ما يطلب ويتمنّى، ولكن الذي يهديه للعُسرى هو الذي يطلب الغنى والعلوّ ويكذِّب بالرجوع إلى الله (سبحانه وتعالى) وبالثواب الذي أعدّه للمنفق في سبيله، كما قال (عزّوجلّ): ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾.

(س) بعض الأغنياء لا يرجون ثواب الله ولقاءه لكنّهم غير ميسّرين للعسرى، بل موفّقون لأداء بعض الأعمال الصالحة والخيرية، فكيف نجمع هذا الكلام مع الآية المباركة؟

(ج) مثل هؤلاء الأشخاص لابدّ أنّهم غير جامعين للصفات السيّئة التي تدعو صاحبها إلى العُسرى فهم لا يمتلكون صفة البُخل الجامعة لمساوئ العيوب كما قال الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «البخيل جامع لمساوئ العيوب وهو زمامٌ يُقادُ به إلى كلِّ سوء»، لهذا يُكرمهم الله (عزّوجلّ) في الدُّنيا جزاء كرمهم وجودهم، لكي لا يبقى لهم حظٌّ ونصيبٌ في الآخرة.

(س) لماذا يُيسِّر البخيل والمستغني المكذِّب بالآخرة إلى العُسرى، لماذا لا يُترك لعلّه يتوب إلى الله (عزّوجلّ)؟

(ج) مثل هذا الإنسان أصبح كياناً شرّاً وسوءاً فهو من جانب اتّصف بالبخل والحرص والطمع ومن جانب آخر كذّب بما قاله الأنبياء عليهم السلام، إذا وُفّقَ للأعمال الصالحة أو تُرك دون عقوبة فسوف يُخلّ بحياة المجتمع ويُخلق حالة اضطراب في صفوف المؤمنين والصالحين، فلهذا لابدّ أن يعاقب لكي يأخذَ جزاء طغيانه، وليكون درساً ووعيداً للآخرين الذين يريدون انتهاج نهجه وليكون وعداً وبشرى للمؤمنين والصالحين. ولو يعلم الله فيهم خيراً لتركهم حتّى يتوبوا إليه، لكنّه يعلم أنّهم لا يزدادون إلاّ سوءاً وشرّاً كلما بقوا، ولهذا يستدرجهم إلى العذاب من حيث لا يشعرون.

قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾.

(س) تعهّد ربّ العزّة على نفسه هداية العباد حيث قال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ كيف تجلّت هذه الهداية لعباده؟

(ج) تجلّت الهداية الإلهيّة للعباد من طرق متعدّدة ومختلفة، إذ لم يحصرها ربّ العزّة (سبحانه وتعالى) بطريق أو طريقين ولو كان كذلك لاحتجّ الكثير بعدم وصول الهداية إليه ولاعترضوا على المجازات يوم القيامة، كما قال (عزّوجلّ): ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[1] لهذا فتح باب الهداية بمصراعيه أمام خلقه، فمرّة جاءت الهداية بصورة تكوينيّة لجميع خلقه قال (عزّوجلّ): ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[2]، ومرّة هداية اعتباريّة خاصّة للإنسان كما قال (عزّوجلّ): ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[3]، ثمّ هداية رسولية ورسالية وعقلية وفطرية وإلهية مضاعفة ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[4]، ثمّ

---

(١) النساء: ١٦٥.

(٢) طه: ٥٠.

(٣) الإنسان: ٣.

(٤) العنكبوت: ٦٩.

هداية كونية ونفسية كما قال الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام عندما سُئل: كيف عرفت الله؟ قال عليه السلام: «بفسخ العزائم ونقض الهمم»، وكلّها تهدي إلى الهادي العليم.

(س) لماذا تعهّد الله (عزّوجلّ) بهداية الخلق؟

(ج) وذلك لأنّه خلقهم ليعبدوه إذ قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[١]، فعندما جعل عبادته هي غاية خلقه لهم ووصف هذه العبادة بالمنهج الصحيح والمفيد لهم حيث قال هو الطريق المستقيم ﴿إِنَّ اللهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[٢]، ولهذا من الواجب عليه (عزّوجلّ) أن يهدي خلقه بصورة مستمرّة، لهذا أوجَبَ ذلك على نفسه، وجعلها من السنن اللازمة عليه.

(س) لماذا لا يجعل الله (سبحانه وتعالى) هداية واحدة في الإنسان تُكفيه إلى آخر حياته دون أن يحتاج إلى هدايات إلهيّة مستمرّة أو مضاعفة أو جزائية؟

(ج) بما أنّ الدُّنيا محلٌّ ابتلاء وامتحان فلهذا لابدّ أن لا تكون هناك هداية إلهيّة ثابتة وقاطعة في نفس الإنسان، لأنّه في هذه الحالة يكون مجبراً على الخيرات، بل جعل الهداية المضاعفة له بصورة متدرِّجة متوقّفة على جهد الإنسان وسعيه، حسب القاعدة الربّانية ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾[٣]، فإذا سعى الإنسان سوف يجازى بالأكثر ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾[٤]، ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[٥].

۞ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَى﴾.

(س) ما هو المراد من قوله (عزّوجلّ): ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَى﴾؟

---

(١) الذاريات: ٥٦.
(٢) آل عمران: ٥١.
(٣) النجم: ٣٩.
(٤) النمل: ٨٩.
(٥) الكهف: ١٣.

(ج) في الآية دعوة إلى الكفّار والعاصين إلى معرفة مدى قدراتهم وإمكانيّاتهم في هذه الحياة، فالآية تقول لهم لا تحسبوا أنّ لكم الأولى أي الحياة الدُّنيا تستطيعون أن تفعلوا فيها ما تشاؤون من دون أن يوجد تسلّط وتقدير لنا عليكم، بل كلّ الأُمور نُجريها حسب مشيئتنا ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاَهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً﴾[١]، وتقول الآية أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[٢] فلا يضرّنا ترككم للهداية والإيمان ولا يزيد في ملكنا اهتداؤكم، إذ ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَى﴾.

۞ قال تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى * لاَ يَصْلاَهَا إِلاَّ الأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾.

(س) كيف تتمّ عملية إصلاء نار جهنّم بصورة أكثر من قبل الأشقياء؟

(ج) ربُّنا (سبحانه وتعالى) بيَّن في كتابه الكريم بأنّ بعض الخلق سيكونون حطباً ووقوداً لجهنّم يوم القيامة، بسبب سوء أعمالهم وفسادهم الكبير في الأرض، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ (الجائرون) فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾[٣].

فهؤلاء سيكونوا خالدين في نار جهنّم، وسيصلونها ويزيدونها ناراً كما كانوا ناراً في حياتهم الدُّنيا يحرقون الأخضر واليابس بأعمالهم الخبيثة.

(س) مَنْ هو الشقيّ؟

(ج) الشقيّ هو الكافر المعاند الذي كذَّبَ بآيات الله (عزّوجلّ) بعد أن عرفها وتجلّت أمامه فأعرض عنها وأعرض عن طاعة الله (عزّوجلّ)، بينما الكافر الذي لم يعرف آيات الله (عزّوجلّ) بصورة كاملة لكي يهتدي بها إلى الطاعة والصلاح فلهذا فهو ليس شقيّاً كالذي كذَّب وتولّى.

---

(١) الإسراء: ١٨.

(٢) فاطر: ١٥.

(٣) الجنّ: ١٥.

(س) قوله تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ ناراً تَلَظَّى﴾ تُشير إلى أنّ الله (عزّوجل) أنذر خَلقَه من هذه النار المتوقِّدة، فكيف يمكن فهم ذلك والكثير من الناس لم تصل إليهم الرسالة الإسلامية ولم يفهموا كلام الله (عزّوجل)؟

(ج) ربُّنا (سبحانه وتعالى) يحاسب ويعاقب خلقه على مقدار ما يملكون من الإحساس والمشاعر الإنسانية فالكلّ يعرف بأنّ الخير هو المطلوب والشرّ لابدّ من الاجتناب عنه، وأنّ فطرته تحذِّره من العاقبة السيّئة للعمل السيّئ، وتُبشِّره بالخير عند القيام بالعمل الصالح، وهذا ما ذكره القرآن الكريم حيث قال (عزّوجل): ﴿ونَفْسٍ ومَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وتَقْوَاهَا﴾[1].

❁ قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لأحَد عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَة تُجْزَى * إلاَّ ابْتِغاء وَجْهِ رَبِّهِ الأعْلَى * ولَسَوْفَ يَرْضَى﴾.

(س) الآية المباركة تقول: بأنّ الأتقى هو الذي سيُبعَد عن النار، فهل يُقرَّبُ التقيّ منها؟

(ج) لا شكّ أنّ الأتقى هو أعلى درجة من التقيّ، والظاهر أنّ الأخير قد عمل شيئاً من السيّئات والمعاصي فلهذا يَمسّهُ مقدارٌ من العذاب حتّى يتخلّص من الدرن الذي لحقه من أعماله السيّئة.

(س) كيف استطاع الأتقى التخلّص من عذاب النار بصورة كاملة؟

(ج) الآية تشير إلى أنّ حياة الأتقى كلّها إيتاءٌ وعطاءٌ مستمرّ في سبيل الله (عزّوجل) دون أن يطلب جزاءً أو شكوراً من أحد ولا يطلب بذلك الدُّنيا ﴿إلاَّ ابْتِغاء وَجْهِ رَبِّهِ الأعْلَى﴾ وخيرُ مصداق واضح لهذه الآية المباركة هو النبيّ ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

(س) كيف تقول الآية المباركة: بأنّ الأتقى لا يُقرب إلى نار الآخرة، بينما الآية المباركة في سورة مريم تقول: بأنّ الجميع يدخلون النار، قال (عزّوجل): ﴿وإِنْ مِنْكُمْ إلاَّ وارِدُهَا

---

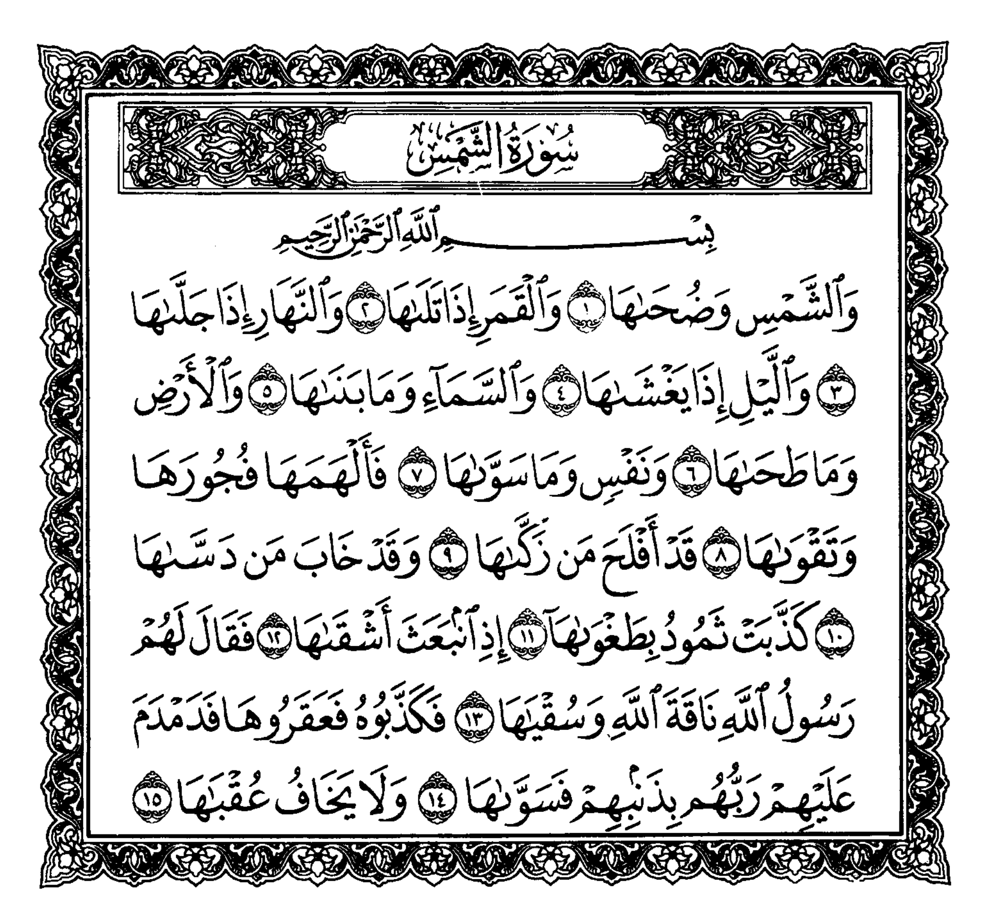
(١) الشمس: ٧ ـ ٨.

كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً﴾[١]؟

(ج) الجميع يدخل نار الآخرة حتّى أتقى الأتقياء بل الأنبياء والمعصومون عليهم السلام أيضاً وذلك لشمول الآية التي تخاطب الجميع ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ ولكن دخولهم هذا ليس كدخول الظالمين والكفّار، يدخلون ولكنّهم مصحوبون بالكرامة والبهجة والرضى دون أن يروا أذىً من النار، فيزدادون سعادةً وشكراً لله (عزّوجلّ) إذ لم يكونوا من أهلها ويحمدونه أكثر على صدق وعده (عزّوجلّ) بانتقامه ممّن ظلموهم ومنعوهم حقّهم الطبيعي.

(١) مريم: ٧١ ـ ٧٢.

سُورَةُ الشَّمْسِ


سُورَةُ الشَّمْسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

فضلها:

تقدم في سورة الانشراح .

مفردات السورة:

الضحى: انبساط الشمس وامتداد النهار.

التلو: التتبّع.

جلاّها: التجلية الإظهار والإبراز.

يغشاها: أي يغطّي الأرض.

السماء: أعلى كلّ شيء.

الأرض: الجرم المقابل للسماء ويُعبّر بها عن أسفل الشيء كما يُعبّر عن السماء أعلاه.

التزكية: النمو الصالح.

طحاها: بَسَطها.

دسّاها: الدسّ هو إدخال الشيء في الشيء بضرب من الإخفاء أو النمو الغير صالح.

الفلاح: الظفر بالمطلوب.

طغواها: الطغوى مصدر كالطغيان.

عقروها: العقر إصابة أصل الشيء ويطلق على نحر البعير.

دمدم: أطبق، الدمدمة على الشيء هو الإطباقُ عليه.

الفجور: شقّ ستر الديانة (الراغب)، فالنهي الإلهي عن فعل أو عن ترك أمر ما، هو حجابٌ مضروبٌ بين الإنسان وبين ذلك الفعل، فترك ذلك الأمر هو شقٌّ لذلك الحجاب أو الستر.

التقوى: جعل النفس في وقاية من المحذورات أو التجنّب عن الفجور وهو شقُّ حجاب الديانة، وفي الرواية إنّها الورع عن محارم الله.

الإلهام: الإلقاء في الروع.

فسوّاها: أي جعلها مستوية إذ أزال ما فيها من ارتفاع وانخفاض.

موضوع السورة:

السورة المباركة تقول للإنسان إنّ فلاحَك وأنت تعرف طريقي التقوى والفجور، بالإلهام الإلهي، هو أن تُزكّي نفسك وتنميها تنمية صالحة وأن تُبعدَها من الفجور والفساد

فإنّ ذلك يؤدّي إلى دسّ نفسك وجلب الخيبة والخسران لها في الدُّنيا والآخرة، وأنّه (عزّوجلّ) ضرب لنا مثلاً بقوم ثمود وما جرى عليهم من عذاب الاستئصال لمّا كذّبوا رسولهم صالح عليه السلام وعقروا الناقة، والسورة تعريض لأهل مكّة وخطابٌ لجميع الناس.



الأسئلة والأجوبة

❁ قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾.

(س) ربُّنا (سبحانه وتعالى) عندما يُريد القَسَم فإنّه يقسم بالمخلوقات والأمور المهمّة والعظيمة الفائدة والنفع للإنسان فما هو الهدف من ذلك؟

(ج) الهدف هو دفع الإنسان للتأمّل والتفكُّر بأن ينظر إلى دوره ونفعه في هذه الحياة هل هو نافعٌ كما المخلوقات الأُخرى التي لها دورها المفيد كالشمس والقمر والأرض.

(س) هل في قوله (عزّوجلّ): ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ نوع من الإشارة إلى ما بعد هذه الحياة الدُّنيا؟

(ج) أهل العالم كانوا كالأموات في الليل، فلمّا ظهر أثر الصبح في المشرق صار ذلك كالروح المنبعثة إلى جسد الميّت، فعندها تصير الأموات أحياءاً، وتستمرّ هذه الحياة الجديدة بالازدياد والكمال إلى أن تبلغ غاية كمالها وقوّتها ويكون ذلك وقت الضُحى، وهذه الحالة تشبه أحوال القيامة، إذ وقت الضُحى يشبه استقرار أهل الجنّة فيها، بينما وقت الليل يشبه ما قبل ذلك.

(س) لماذا أقسم الله (سبحانه وتعالى) بضحى الشمس إلى جانب قسمه بالشمس، أوَلَم يكف القسَمُ بالشمس؟

(ج) إنّ ضَحى الشمس هو النتاج الذي تنتظره الكائنات من الشمس لكي تجد سبيل نشاطها في حياتها فلولا وصول نور الشمس وحرارتها للمخلوقات لما كان هناك فائدة من الشمس لهم إذاً فنور الشمس مهمّ كما الشمس، فلذا لابدّ من القَسَم بهما لعظمتهما

معاً، ولهذا السبب قال (عزّوجلّ): ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾.

❁ قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾.

(س) ما هو المراد من تتبّع القمر للشمس في قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا﴾؟

(ج) المراد من هذا التلو هو أنّ القمر يكسبُ نورهُ من الشمس فالحال حال دائمة، كما يُقال فلان يتبع فلاناً في كذا أي يأخذ منه، وإن كان المراد من تُلوه للشمس هو طلوعه بعد غروبها فالإقسام بالقمر من حال كونه هلالاً إلى حال تبدُّره. وقيل: إنّه يتلوها في الحجم بحسب الحسّ وفي ارتباط مصالح هذا العالم بحركته.

❁ قال تعالى: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾.

(س) ماذا يُجلي النهار في ظهوره بقوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾؟

(ج) لاشكّ أنّ النهار إذا جاء فإنّه يُظهرُ الأرض للأبصار، ولا يمكن القول بأنّ النهار يُجلي أو يُظهر الشمس، لأنّ الشمس هي التي تظهر النهار دون العكس.

قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾.

(س) ماذا يُغطّي الليلُ بمجيئه بقوله (عزّوجلّ): ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾؟

(ج) إنّما يغطّي الأرضَ وما عليها ولا يغطي الشمس كما قيل، والظلمة تحصل لجزء من الأرض بعد دورانها حول نفسها، فعندما تبتعد عن نور الشمس يحصل فيها وقت الليل وظلامه.

❁ قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا. وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾.

(س) ما هو المُراد من قوله (تعالى): ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾؟

(ج) إنّها مجموعةٌ من الأقسام مضافة إلى الأقسام التي ذُكرت آنفاً فهنا ربُّنا (عزّوجلّ) يُقسمُ بالسماء والذي بناها ويقسم بالأرض والذي بناها وهذه الأقسام لأجل أمر ستذكره الآيات التالية.

(س) ما هو الدليل على أنّ (ما) في قوله (وما بناها... وما طحاها) موصلتان وليستا

مصدريتين؟

(ج) السياقُ في قوله (عزّوجلّ): ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا..﴾ لا يساعد على ذلك، إذ لو قلنا: بأنّ ما مصدرية فيكون المعنى وأقسم بالسماء وبنائها... وبالنفس وتسويتها وتسوية النفس حقيقة لا يدركها عقل الإنسان، إذاً فما هنا موصولة ترجع إلى الله (عزّوجلّ).

(س) لماذا جاء التعبير عن الله (عزّوجلّ) في قوله: ﴿وَمَا بَنَاهَا﴾ بـ(ما) دون (مَن)؟

(ج) وذلك لإيثار الإبهام المفيد للتفخيم والتعجّب، فالمعنى وأُقسم بالسماء والشيء القويّ والعظيم الذي بناها وأُقسم بالأرض والشيء العظيم القوي الذي بسطها.

(س) لمَ ذكَرَ في تعريف ذات الله (عزّوجلّ) الأشياء الثلاثة وهي السماء والأرض والنفس؟

(ج) إنّ الاستدلال على الغائب لا يمكن إلاّ بالشاهد وهو العالم الجسماني الذي هو قسمان بسيط ومركّب.

(س) لماذا تقدّم القَسَم بالسماء على القَسَم بالأرض والذي بناها؟

(ج) تقدّم قوله (عزّوجلّ): ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ على قوله: ﴿وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ وذلك لقوله: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾[1]، أي أنّ دَحو الأرض جاء بعد بناء السماء.

❁ قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾.

(س) لماذا جاءت كلمة (ونفس) في قوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ بصورة النكرة؟

(ج) وذلك للتنكير وقيل: لتفخيم أمرها، ولا يبعد أن يكون هذا التنكير للإشارة إلى أنّ لها وصفاً لا يمكن للإنسان معرفته، وهي النفس الإنسانية مطلقاً.

(س) هل يمكن القولُ: إنَّ المراد من «ونفس..» أنّها قَسَمٌ بنفس قدسيّة خاصّة من بين النفوس كنفس آدم أو محمّد ﷺ؟

(١) النازعات: ٣٠.

(ج) السياق وخاصّة قوله (عزّوجلّ): ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ لا يُلائم ولا يساعد هذا القول.

(س) ما هو المراد من قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾؟

(ج) الإلهام هو الإلقاء في الروع أو القلب، والمراد من الآية هو أنّ الله (عزّوجلّ) عرَّف للإنسان حقيقة الأعمال التي يرتكبها، فميّز له بهذا الإلهام ما هو تقوى ممّا هو فجور، فإلهام الفجور والتقوى هو العقل العملي الذي كمَّلَ الله به النفس الإنسانية.

(س) أيّ النفوس التي ألهمها الله (عزّوجلّ) طريق الخير وطريق الشرّ بقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾؟

(ج) النفوس المكلّفة من النفوس الإنسانية ونفوس الجنّ هم الذين عرّفهم الله (عزّوجلّ) طريق الخير والشرّ وهما المأموران بالعبادة بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1]. ولأجلهما خُلقت السماوات والأرضين وما فيهنّ من المخلوقات.

(س) لماذا عُرِّف وعُلِّم الإنسان طريق الشرّ إلى جانب تعليمه طريق الخير؟

(ج) لو لم يُعرَّف للإنسان الأُمور التي تُرديه وتسبِّب له الفساد والأذى لوقع فيها من دون أن يعرف، فلذا عرَّفه الله (عزّوجلّ) طريق الخير لكي يتوجّه نحوه وعرّفه الطريق الشرِّير لكي يتجنّب عنه.

۞ قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾.

(س) ذكرت السورة المباركة عدداً غير قليل من القَسَم فما هو الهدف منها؟

(ج) الغرض من هذه الأقسام التي ذكرتها السورة المباركة من قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ إلى قوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ هو لأجل تبيين حقيقة وقاعدة حياتية كبرى للإنسان وهي قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾، بأنّ

(١) الذاريات: ٥٦.

الذي يُزكّي نفسه العالمة بطريقي الخير والشرّ سوف يجد الظفر والفلاح في الدارين، بينما الذي يُسير نفسه على غير ما تقتضيه طبعها فإنّه سوف يجد الخيبة والخسران في الدُّنيا والآخرة.

(س) كيف يُزكّي الإنسان نفسه لكي يحصل على الفلاح والنجاح الدائمين؟

(ج) وذلك بهدايتها إلى الأعمال الصالحة التي أمر الله (عزّوجلّ) بها ومن ثمّ إبعادها عن الأعمال والأمور التي نهى عنها وهو الزاد الذي أمرنا الله (عزّوجلّ) بالتزوّد منه بقوله: ﴿وتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِي يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[1].

❁ قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾.

(س) لماذا ضَرَبَ الله لنا مَثَل ومصير قوم صالح بعد ذكره للآيات السابقة؟

(ج) الآيات السابقة اجتمعت لأجل تبيين حقيقة وقاعدة إلهية ثابتة في الإنسان وهي أنّ الإنسان يعرف بصورة فطرية طريق الخير والسعادة وهكذا طريق الشرّ، لذا فعليه تزكية نفسه وتجليتها أو إبعادها عن الرذائل لكي تجد الفلاح في الحياة، وأمّا إذا ترك نفسه وهواها فإنّه سوف يجد مصيراً كمصير قوم صالح عليه السلام.

(س) ما الذي دفع ثمود إلى تكذيب نبيّهم صالح عليه السلام بعد أن جاءهم بجميع الآيات التي تدلّهم على الحقّ؟

(ج) إنّ الذي دفعهم إلى الكفر والتكذيب برسولهم هو طغيانهم وفسادهم واستحبابهم للعمى والردى على الإيمان والهدى ﴿وأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾[2].

(س) ما الدليل على أنّ الذي تقدَّمَ لعقر الناقة هو أشقى ثمود وأطغاهم؟

(ج) إنّه (قدار بن سالف) أشقى قومه لكونه أبدى استعداده الكامل لعقر وقتل الناقة التي هي

---

(١) البقرة: ١٩٧.

(٢) فصلت: ١٧.

معجزة إلهية كبرى وفي قول عن قتادة إنّه أبى أن يعقرها حتّى بايعه صغيرهم وكبيرهم ذكرُهُم وأُنثاهم، فأشرك الجميع في هذه الجريمة.

(س) الذي عقر ناقة صالح (على نبيّنا وآله وعليه السلام) هو واحد واسمه على ما في الروايات (قدار بن سالف)، فلماذا جاءت كلمة العقر بصيغة الجمع؟

(ج) لأنّ انبعاثه كان ببعث القوم ورضاهم بل وتقديمهم له جائزة على عمله، لهذا فهم شركاء في جريمة العقر أو القتل.

(س) إنّ أشقى الأوّلين هو عاقر ناقة صالح عليه السلام كما روي عن رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله فمن هو أشقى الآخرين؟

(ج) في رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله للإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: مَنْ أشقى الأوّلين؟ قال عليه السلام: عاقر الناقة. قال صلى الله عليه وآله: صدقت، فمَنْ أشقى الآخرين؟ قال عليه السلام: لا أعلم يارسول الله. قال صلى الله عليه وآله: الذي يضربك على هذه وأشار إلى يافوخه.

(س) كيف كان نوع العذاب الذي نزل على قوم ثمود بسبب طغيانهم وكفرهم؟

(ج) نوعية العذاب كانت صيحة قويّة قطعت دابرهم كما قال (عزّوجلّ): ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْداً لِثَمُودَ﴾[1]، العذابُ محى أثرَهم بعد أن سواهم الله بالأرض بفعل تلك الصيحة التي دمدمت عليهم أي أُطبقت عليهم.

(س) مَن الذي لا يخاف عاقبة تلك الدمدمة أو التسوية التي نزلت على قوم ثمود؟

(ج) إنّه كناية عن الله تعالى إذ هو أقرب المذكورات، ومعنى ذلك لا يخاف ربّهم عاقبة الدمدمة عليهم وتسويتهم كما يخاف الملوك والأقوياء عاقبة عقاب أعدائهم وتَبعتهُ.

(س) ما المقصود من النفس التي ألهمها الله (عزّوجلّ) فجورها وتقواها، وهناك عدّة أنواع

---

(١) هود: ٦٧ ـ ٦٨.

للنفس ذكرها القرآن الكريم فمرّة يذكر الأمّارة بالسوء ومرّة اللوّامة والمطمئنة؟

(ج) المعنى من هذه النفس هي الروح ككلّ دون الجسم ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[1] وليست الأمّارة بالسوء ﴿إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾[2]، ولا اللوّامة ﴿وَلاَ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾[3] ولا المطمئنة ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾[4] إذ هذه النفوس من شؤون الروح وأقسامها.

(س) لماذا تقدّمت كلمة فجورها على كلمة تقواها في قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾؟

(ج) إنّ الفجور أقرب وأرغب إلى النفس قُرباً جسدانياً حيوانياً، بينما يجب على الإنسان أن يسعى لكي يحصل على حالة التقوى في نفسه وذلك بعد التوكّل على الله (عزّوجلّ) ودُعاءه «اللّهمّ آت نفسي تقواها، أنت وليُّها ومولاها، وزكِّها أنت خير من زكّاها».

---

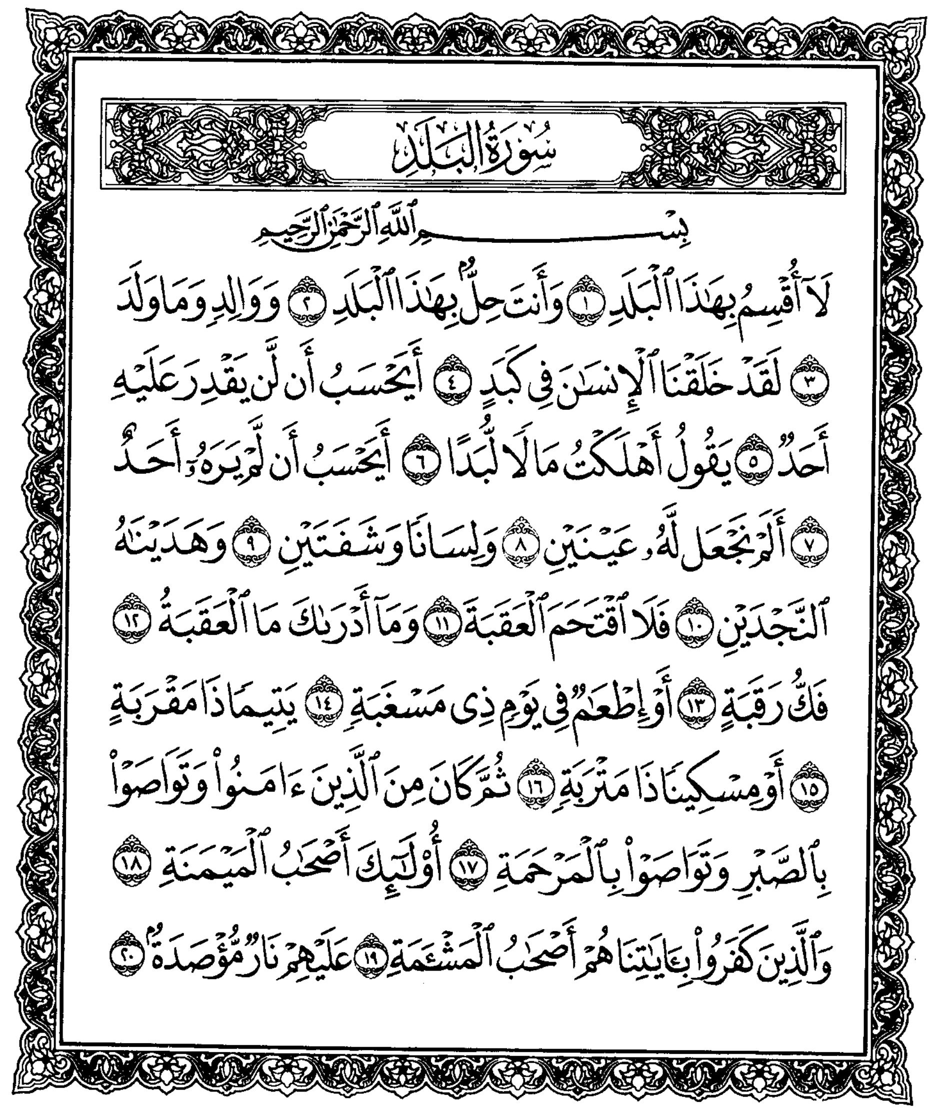
(١) النساء: ١.

(٢) يوسف: ٥٣.

(٣) القيامة: ٢.

(٤) الفجر: ٢٧.

سُورَةُ ٱلْبَلَدِ



سُورَةُ ٱلْبَلَدِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ
﴿٣﴾ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ
أَحَدٞ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ
﴿٧﴾ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيۡنَٰهُ
ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾
فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ
﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ
بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿١٨﴾
وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٢٠﴾

فضلها:

ابن بابويه باسناده، عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من كان قرائته في فريضه «لا أُقسم بهذا البلد» كان في الدنيا معروفاً انه من الصالحين وكان في الآخرة معروفاً ان له من الله مكاناً، وكان يوم القيامة من رفقاء النبيين والشهداء والصالحين.

مفردات السورة:

البلد: مكّة المكرّمة.

حلٌّ: حلالٌ (مستباح)، حالٌّ (ساكن)، حلٌّ (حُرٌّ).

كَبد: قال صاحب الكشّاف: إنّ الكبد أصلَه من قولك: كُبد الرجل كبداً فهو كبد (إذا أوجعت كَبدهُ وانتفخت فاتّسع حتّى استعمل في كلّ تعب ومشقّة).

يَقدر: يستطيع.

أهلَكتُ: بذلت: أنفقتُ.

لبدا: كثيراً.

النجد: الطريق المرتفع.

الاقتحام: الدخول بسرعة وبشدّة.

العقبة: الطريق الصعب والملتوي من الجبال.

المسغبة: المجاعة.

المقربة: القرابة بالنسب.

المتربة: من التراب وهو الالتصاق بالتراب من شدّة الفقر.

الميمنة: اليُمن مقابل الشؤم.

مؤصَدَة: مُطبقة.

موضوع السورة:

السورةُ تذكّرُ الإنسانَ بأنّ خلقتَهُ مبنيّةٌ على التَّعب والمشقّة، فلا يجد لذّة إلاّ وإلى جانبها تعب وكدّ من حين يلج في جثمانه الروح إلى أن يموت، فلا سعادة خالية من الشقاء إلاّ في

الدار الآخرة عند الله (عزّوجلّ)، فليتحمّل الإنسان ثقل التكاليف الإلهية بالصبر على الطاعة وعن المعصية وليجد في نشر الرحمة على المبتلين بنوائب الدهر كاليتيم والفقير لكي يكون من أصحاب الميمنة وإذا ابتعد عن هذا الأمر فإنّه سيكون من أصحاب المشئمة الذين عليهم ناراً مُؤصَدَة.



الأسئلة والأجوبة

❁ قال تعالى: ﴿لاَ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾.

(س) ما هو موقع (لا) في قوله: ﴿لاَ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ هل أنّها نافية أم زائدة؟

(ج) قال صاحب الميزان(رحمه الله): إنّ (لا) ليست نافية، فيكون معنى الآية أقسم بهذا البلد والحال إنّك حالٌّ به مقيمٌ فيه ومن ذلك تنبيهٌ على تشرّف مكّة بحلوله ﷺ فيها وكونها مولده ومقامه.

وقال صاحب الفرقان (حفظه الله): بأنّ لا هنا نافية وليست زائدة، فللآية معاني ثلاث على ضوء المعاني الثلاث لكلمة (حلّ) فإذا قلنا: إنّ معنى حلٌّ أي حلالٌ، فالله (عزّوجلّ) لا يقسم بهذا البلد بعد أن فقدَ حرمَتهُ بما استحلّ أهلوهُ حرمة الرسول الأعظم ﷺ، فلا حُرمةَ للكعبة وحُرمة الرسول ﷺ مستباحة.

وإذا قلنا: إنّ معنى حلٌّ أي حالٌّ، فهنا أيضاً لا يقسم الله بالبلد والرسول ﷺ حالٌّ فيه ومُقيم كلّ ذلك تعظيماً للرسول ﷺ فانّ حُرمة ووجود الرسول ﷺ أعظم من حرمة الكعبة أو إنّ معنى حلٌّ هو حرٌّ بهذا البلد تفعل فيه ما تشاء بالمشركين الذين استحلّوا حرمته وحرمتك، إذ ستحلُّ لك يوم فتح مكّة حيناً من الوقت فتقاتل وتَقتُل فيه مَنْ تشاء.

(س) هل هناك دليل آخر يدلّ على أنّ (لا) لنفي القَسَم؟

(ج) عدم إعادة (لا) في قوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ الذي هو قَسَمٌ فيه دلالة أخرى على أنّ لا تفيد نفي القَسَم وليست زائدة كما قال البعض.

۞ قال تعالى: ﴿ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾.

(س) قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ أي أنّ لك أن تفعل فيها ما تشاء من قتل للكفّار لإثبات الدين وذلك لمدّة محدودة وهو عند فتح مكّة وأنّها لم تحلّ له إلاّ ساعة من النهار، فالسورة مكّية وقوله: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ﴾ إخبار عن الحال، بينما الحادثة (فتح مكّة) وقعت عند رجوعه إلى مكّة بعد هجرته منها إلى المدينة، أي أنّ الحادثة لم تقع بعد، فكيف الجمع بين الأمرين؟

(ج) قد يكون اللفظ للحال والمعنى مستقبلاً، كقوله (تعالى) لرسوله ﷺ: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾[1] وأنّ المستقبل عند الله كالحاضر ولا يمنعه عن الإيفاء بوعده مانعٌ أبداً.

۞ قال تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾.

(س) عندما يقسم الله (عزّوجلّ) بـ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ بعد قوله: ﴿لاَ أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ لابدّ من وجود نوع من التناسب والارتباط بينهما، فما هو ذلك التناسب؟

(ج) لابدّ أن يكون المراد من ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ هو الذي بينه وبين البلد نوع من الارتباط، فالآية تنطبق على إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام وهما السببان الأصليان لبناء الكعبة الشريفة وبلدة مكّة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ...﴾[2] وأنّ إبراهيم هو الذي طلب من الله (عزّوجلّ) أن يجعل مكّة بلداً آمناً، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هذَا الْبَلَدَ آمِناً..﴾[3].

(س) لماذا أشارت الآية إلى نبيّ الله إبراهيم عليه السلام لفظة (والد) وهي نكرة؟

(ج) التنكير هنا لأجل التعظيم والتفخيم.

(س) عبّرت السورة عن إسماعيل عليه السلام بـ«وما ولد» دون أن يُقال: ومن ولد فما هو

---

(١) الزمر: ٣٠.

(٢) البقرة: ١٢٧.

(٣) إبراهيم: ٣٥.

السبب؟

(ج) وذلك للدلالة على عجيب أمره ومدحه كما في قوله: ﴿وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾[١]، فيكون معنى الآية (وأُقسم بوالد عظيم الشأن وهو إبراهيم وما ولد من ولد عجيب أمره مباركٌ أثره وهو إسماعيل ابنه وهما البانيان لهذا البلد).

(س) هل يمكن القول: بأنّ المراد من ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ هو إبراهيم عليه السلام وجميع أولاده من العرب؟

(ج) من البعيد أن يُقسم الله (عزّوجلّ) بنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وإبراهيم عليه السلام وبجميع ما جاءه من الأولاد كأبي لهب وأبي جهل وغيرهم من أئمّة الكفر، وقد تبرّأ إبراهيم عليه السلام ممّن لم يتبعه من أولاده على منهج التوحيد قال (عزّوجلّ): ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[٢].

(س) قيل: إنّ المراد من ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ هو آدم وذرّيته جميعاً والدليل عليه هو أنّ الغرض من هذا القسم هو أنّ الإنسان ككلّ من آدم إلى آخر إنسان في هذه الحياة لابدّ أن يُواجه الكدّ والتعب في حياته؟

(ج) هذا القول لا بأس به، ولكن يبقى عليه بيان ما هي المناسبة والعلاقة بينه وبين بلدة مكّة، وإن قيل المراد به آدم والصالحون من ذرّيته هو أفضل ؛ لأنّ فيه تنزيهه تعالى بأن يُقسم بأعدائه الطُغاة والمفسدين من الكفّار والفسّاق.

(س) إن قلنا: بأنّ المراد من قوله تعالى: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ هو آدم والصالحون من أولاده، ولكن ألَم يكن الطالحون أولاده أيضاً؟

(ج) هذا بناءاً على أنّ الطالحين ليسوا أولاده، لأنّهم كالبهائم كما قال (عزّوجلّ): ﴿إِنْ هُمْ

---

(١) آل عمران: ٣٦.

(٢) إبراهيم: ٣٥ـ٣٦.

إلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[1].

(س) لماذا أقسم الله (عزّوجلّ) بآدم وما ولد ذريّتهُ؟

(ج) أقسم بهم لإنّهم من أعجب خلق الله على الأرض، لما فيهم من البيان والنطق والتدبير والعلم وفيهم الأنبياء والدُّعاة إلى الله والأنصار لدينه، وأنّه حاز على تكريم الله (عزّوجلّ) إذ قال: **﴿ولَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...﴾**[2] وكلّ ما على الأرض خلق لأجله، وأمر الملائكة بالسجود لآدم، وأنّ الإنسان يمتلك امتيازات ما لم تمتلكه سائر المخلوقات الأُخرى.

۞ قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾.

(س) ما هو الهدف من القَسَم الذي بدأت به السورة المباركة؟

(ج) الهدف هو لتبيين حقيقة ومشيئة إلهية وضعها الله (عزّوجلّ) بين يدي الإنسان ما دام حيّاً في هذه الدُّنيا وهي المشقّة والتعب فقال (عزّوجلّ): **﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾**.

(س) هل جميع الناس يواجهون الكبد والمشاقّ على حدٍّ سواء في هذه الحياة؟

(ج) الكبد والمشقّة التي يُواجهها الناس على درجات متباينة ومختلفة حسب قوّة الإيمان والارتباط بالله (عزّوجلّ) والسلوك الحَسن في هذه الحياة، فالمؤمن الذي يعمل الصالحات لاشكّ أنّه لا يرى ما يراه الكافر الذي أعرض عن ربّه فإنّه يعيش كبداً على كبد دون أن يشعر بذلك **﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾**[3]، وقال (عزّوجلّ): **﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً..﴾**[4]، بينما المؤمن **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى**

---

(١) الفرقان: ٤٤.

(٢) الإسراء: ٧٠.

(٣) الكهف: ١٠٣ و ١٠٤.

(٤) طه: ١٢٤.

وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[١] .

(س) لماذا خلق الله (عزّوجلّ) الإنسان في كبد ومشقّة وهو أشرف خلقه جميعاً؟

(ج) ربُّنا (سبحانه وتعالى) عندما خلق الإنسان وجاء به لهذه الحياة طلب منه العبادة والإيمان الكاملين لكي يحصل على الحياة السعيدة والخالدة في جنّات الله (عزّوجلّ) ورضوانه، لا يصل العبد إلى حقيقة الإيمان إلاّ بعد اجتيازه للمشاقّ والصعوبات بصورة حسنة، فإذا اجتاز الصعاب فهو مؤمن صادق وإلاّ فلا يستحقّ الخير إذا خَسر وفشل في مواجهة الصعاب، وهذه هي سنّة الله في خلقه، قال (عزّوجلّ): ﴿الـم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[٢] .

(س) متى تبدأ المكابد والمشاقّ مع الإنسان ومتى تفارقه؟

(ج) تبدأ المكابد مع الإنسان منذ انعقاد النطفة على أثر اتّحاد الحيمن والبيضة اللّذان ينفصلان من الصلب والترائب، ثمّ الخلية الأُولى لا تستقرّ في الرحم إلاّ بمكابدتها لخلق ظروف ملائمة لحياتها، وتبقى تواجه المكابد حتّى تنتهي إلى المخرج فتذوق من المخاض ما تذوقه الام ويستمرّ يواجه الصعاب إلى الساعة الأخيرة من حياته، فإذا كان صالحاً سوف ينتقل إلى عالم الراحة والسعادة، وإذا كان سيّئاً ينتقل إلى حياة أكثر مكابدة ومشاقّ بحدٍّ لا توصف فكأنّما الدُّنيا كانت له جنّة رغم صعابها قياساً إلى الدار الآخرة، قال الحديث الشريف: «الدُّنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر».

(س) ماذا على الإنسان أن يعرف بعد أن قال القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾؟

(ج) عندما يقول القرآن الكريم ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ ويرى الإنسان وبصورة عملية

---

(١) النحل: ٩٧.

(٢) العنكبوت: ١ و ٢.

ودائمة أنّ حالة التعب والمشقّة لا تنفكّ منه مهما سعى إلى ذلك، لهذا فعليه أن يعرف بأنّ خلقته مبنيّةٌ على التعب وأنّه لا يجد لذّة إلاّ وإلى جانبها مشقّة، فلابدّ أن لا يسعى إلى المستحيل والغير معقول أو الخروج من أوامر الله لأجل التخلّص من هذه الحالة، بل عليه أن يعرف بأنّه جيئ به إلى ميدان الامتحان والمبارزة مع الصعوبات والأذى ويكون ذلك بالصبر على الطاعة وعن المعصية والجدّ في نشر الخير والرحمة.

(س) هل في قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ نوع من الإيحاء إلى حياة أخرى سعيدة خالية من الكبد؟

(ج) لاشكّ أنّها تشير إلى ذلك، لأنّ الله (عزّوجلّ) الذي كلّه رحمة وخير وفضل لا يقصد من خلقه للإنسان أن يتعذّب ويتألّم فإنّ هذا خلاف الرحمة، وإن كان مقصوده من خلقه للإنسان هو أن لا يتعذّب ولا يتلذّذ فخلقته له عديمة الفائدة وأمرٌ عبثي، وإذا كان مقصوده من خلقه للإنسان هو التلذّذ، فهذه الحياة ليست فيها لذّة، لذا لابدّ أن هيئ الله (عزّوجلّ) مكاناً له يجد فيه اللذّة الكاملة بعد هذه الحياة المتعبة.

(س) لماذا قال (عزّوجلّ): ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ ولم يقل لقد خلقنا الإنسان لكَبَد؟

(ج) إنّ قوله (في كبد) يدلّ على أنّ الكبد قد أحاط بالإنسان إحاطة الظرف بالمظروف، وفيه إشارة إلى أنّه ليس في الدُّنيا إلاّ التعب والمحنة.

۞ قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾.

(س) ما علاقة الآية ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ مع الآية السابقة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾؟

(ج) الآية ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ..﴾ بمنزلة النتيجة للآية السابقة، فبعدما وضحت الآية السابقة بأنّ الإنسان في كبد دائم ومستمرّ مهما سعى إلى إبعاد التعب عن نفسه، لذا فعليه أن لا يحسب أن لن يقدر عليه أحد فيدعوه الحسبان إلى التكبّر والطغيان على الصغير والكبير، فيعرض عمّا أمر به الله من الصالحات ويعتبرها أباطيل، بينما يسعى في

المنكرات والرذائل ويعتبرها أموراً حسنة، وقوله: (أيحسب) استفهام على سبيل الإنكار.

❁ قال تعالى: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً﴾.

(س) هل قوله تعالى: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً﴾ تشير إلى البعض ممّن أظهر الإسلام وأنفق بعض ماله ثمّ امتنّ به مُستكثراً له بقوله، أو أنّها الآية عامّة تشمل من اتّصف بهذه الصفة؟

(ج) الآيةَ المذكورة والتي تليها من الآيات إلى آخر السورة مشعرة بأنّ هناك البعض ممّن أظهر الإسلام وأنفق بعض أمواله للمسلمين ولكنّه أخذ يَمُنّ عَلَيهم بإنفاقه فنزلت الآيات لتَرُدَّ عليه بأنّ الفوزَ بالميمنة والسعادة لا يتمّ إلاّ بالجهاد في سبيل الله (عزّوجلّ) وبمُختلف صوره. والآية تشمل كلَّ من يَمنُّ على الله (عزّوجلّ) بشيء من الإنفاق.

❁ قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾.

(س) ما مثلُ الذي ينفق شيئاً من ماله ثمّ يستكثر ويمنن به على الناس؟

(ج) مثل هذا الإنسان كمن يتصوّر بأنّ الله (عزّوجلّ) غافلٌ عنه ولم يعلم بإنفاقه في سبيله فلهذا جاءت الآية المباركة ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ لتنكر عليه هذا التحسّب الخاطئ.

❁ قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ﴾.

(س) ما علاقة قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ بالآية السابقة؟

(ج) ١ - إنّ هذه الآيات كالدلالة والبرهان على كمال قدرة الله (عزّوجلّ) وعظمته وهيمنته، جاء هذا الكلام بعد أن حكى عن ذلك الكافر الذي يحسب ﴿أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾.. و ﴿أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾، فالله (عزّوجلّ) الذي عَرف حاجة الإنسان إلى العينين واللسان والشفتين ومعرفة النجدين وأعطاها لَهُ، أوَلَم يَعرف ما هي الأفعال

التي تصدرُ منه؟

٢- وكأنَّهُ جوابٌ للذي قال: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُبَداً﴾ فمن الذي يحاسبني عليه؟ فقيل الذي قدر على أن يخلق لك هذه الأعضاء فهو قادر على محاسبتك فإن كان إنفاقك في سبيله سوف يعطيك أجر ذلك وإن لم يكن في سبيله فسوف لاتجد أجراً وخيراً من إنفاقك.

وأنّه (عزّوجلّ) هو الذي يُعرّفُ المرئيات والمسموعات وهو الذي يدُلُّ الإنسان على إظهار ما في ضميره بواسطة الكلام وهو الذي علّمهُ تميز الخير من الشرّ، فهل يمكن أن لا يعلم بما في نفس هذه الإنسان وما يفعل من أفعال؟

۞ قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾.

(س) النجدين هما طريق الخير وطريق الشرّ فلماذا سُمّيا بهذا الاسم كما قال: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾؟

(ج) النجد هو الطريق المرتفع والواضح، فكأنّه لما وُضحت الدلائل والسُبل المؤدّية إلى الله (عزّوجلّ) أو إلى النار لهذا أصبحت كالطريق المرتفع والعالي الذي يراه الإنسان بوضوح، ولهذا السبب أطلق على طريق الخير وطريق الشرّ بالنجدين وذلك لوضوحهما.

۞ قال تعالى: ﴿فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾.

(س) الإنسان المخلوق في محنة وتعب ملازم فهل يمكن له اقتحام العقبة التي هي فكّ الرقبة أو النفس من حبائل الشيطان وربطها بحبائل الرحمن؟

(ج) نعم، لهذا خُلقَ الإنسان، إذ عليه المكابدة لأجل اقتحام هذه العقبة الكبرى، رمياً بنفسه فيها مهما كانت شديدة ومُخيفة ؛ لأنّ هناك عقبة أكبر بكثير سيجدها الإنسان أمامه بعد انتهاء مدّته في هذه الحياة.

(س) لماذا وصف الله (عزّوجلّ) المسيرةَ السليمةَ التي يقطعها البعضُ الصالحُ بأنّها كاقتحام العقبة؟

(ج) لأنّ السلوك الحسن الذي يسلكه الإنسان ويؤدّي به إلى النجاح والفوز إنّما يكون بعد المشقّة والجهد المختلف الذي يبذله، فكأنّما اقتحم طريقاً صعباً ووعراً وفي جبال عالية.

(س) ما هي العقبة التي أُمرَ الإنسان باقتحامها كما قالت الآية المباركة: ﴿فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾؟

(ج) قيل: إنّه مَثَلٌ ضَرَبَهُ الله لمجاهدة النفس والشيطان في أعمال البرّ، وقيل: إنّها جهنّم، وقال آخر: هي عقبة بين الجنّة والنار، وقيل: إنّه الصراط، ويكون اقتحام العقبة إمّا بفكّ الرقبة أو الإطعام في يوم ذي مسغبة.

۞ قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ﴾.

(س) لماذا قالت الآية: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ دون عتق رقبة؟

(ج) إنّ عتق الرقبة عملٌ فرديّ لا يطيقه إلاّ الأقلّون، والفكّ أعمّ من الفردي.

۞ قال تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾.

(س) لماذا جعلت الآية المباركة الإطعام في يوم المجاعة موازية لمَن فكّ رقبته عن الهوى لأجل اقتحام العقبة؟

(ج) لأنّ إخراجَ المال في زمن القحط والضرورة ثقيل على النفس ويُوجب أجراً كبيراً له، فهو كقوله (عزّوجلّ): ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾[1]، ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾[2] التي نزلت في حقّ الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام والحسن والحسين عليهما السلام.

۞ قال تعالى: ﴿يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ﴾.

(س) لماذا الإطعام والإنفاق على اليتيم القريب أفضلُ من إطعام المسكين الذي لصق بالتُّراب

---

(١) البقرة: ١٧٧.

(٢) الإنسان: ٨.

لشدّة فقره وضُرِّه فليس فوقه ما يستره ولا تحته ما يوطئه؟

(ج) وذلك لأنّ اليتيم القريب الذي يواجه ظُروفاً شاقّة وصعبة بسبب المجاعة أو القحط الذي ألَمَّ به فإنّه ينتظر معونة أقاربه له أكثر من النظر إلى غيرهم، لقرابتهم له ويُعرف القريب الصالح من خلال الموقف الحَسنِ في يوم الشدّة والحاجة، ولهذا السبب تَقَدَّمَ ذكرُ اليتيم القريب على المسكين في السورة المباركة.

(س) ما هو الموقع الإعرابي لـ (لا) في قوله: ﴿فَلاَ أقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾؟

(ج) قيل: إنّها نافية وقال البعض: إنّها تحضيضيّة أي هلاّ.

(س) ما علاقة قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ بما سبقتها من آيات؟

(ج) إنّها معطوفة على قوله: ﴿فَلاَ أقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ فيكون التقدير فلا اقتحم العقبة ولا كان من الذين آمنوا و. . . .

❁ قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾.

(س) مَنْ هم أصحاب الميمنة كما تُشير إليهم الآية المباركة بقوله: ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾؟

(ج) الإشارة بأولئك كما يدلّ عليه السياق للآيات السابقة هم الذين اقتحموا العقبة وكانوا من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر والمرحمة.

(س) هل يمكن القول: بأنّ المراد من ﴿أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ هم أصحاب اليمين الذين يُؤتُون كتابهم بيمينهم؟

(ج) لا يمكن القول بذلك لأنّ الآية القادمة التي تقابل الميمنة بالمشئمة لا تُلائمها.

(س) ما هي الآيات التي يكفر بها الكافرون كما تقول الآية المباركة: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾؟

(ج) الظاهر أنّ المراد من الآيات مطلقها أي جميع الآيات التي تَدُلُّ الإنسان على الله (سبحانه

وتعالى) سواء كانت أنفسيّة أو أفاقيّة أو رسوليّة أو رساليّة أو عقليّة أو فطريّة .

(س) ما المقصود من التواصي بالمرحمة في قوله (عزّوجلّ) : ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾؟

(ج) (التواصي بالمرحمة) هو أن يُوصي بعضهم بعضاً بالرحمة على ذوي الفقر والفاقة والمسكنة .

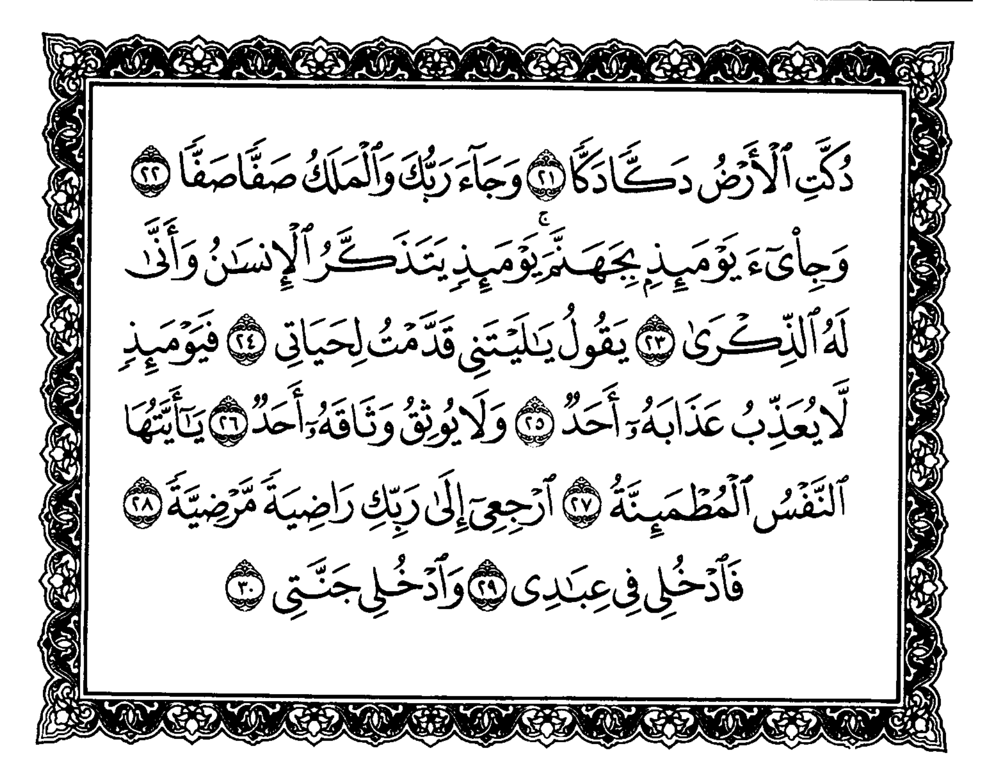
سُورَةُ الفَجْرِ



سُورَةُ الفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾
هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾
إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ
جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي
الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ
عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ
رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ
فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ
الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ
التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا



دكت الأرض دكا دكا ﴿٢١﴾ وجاء ربك والملك صفا صفا ﴿٢٢﴾
وجيء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الإنسان وأنى
له الذكرى ﴿٢٣﴾ يقول يا ليتني قدمت لحياتي ﴿٢٤﴾ فيومئذ
لا يعذب عذابه أحد ﴿٢٥﴾ ولا يوثق وثاقه أحد ﴿٢٦﴾ يا أيتها
النفس المطمئنة ﴿٢٧﴾ ارجعي إلى ربك راضية مرضية ﴿٢٨﴾
فادخلي في عبادي ﴿٢٩﴾ وادخلي جنتي ﴿٣٠﴾

فضلها:

ابن بابويه باسناده، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «اقرؤوا سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم فإنما سورة الحسين بن علي عليه السلام، من قرأها كان مع الحسين عليه السلام يوم القيامة في درجته من الجنة إن الله عزيز حكيم».

مفردات السورة:

الفجر: هو الشقّ الواسع، سواءٌ في الخير أو الشرّ، ومنه الفجور فإنّه شقّ واسع لسِتر العفاف. ومنه شقّ الظلام وإخراج النهار فيكون منه الصبح.

الشفع: الشيء المضموم إلى مثله.

الوتر: الفرد.

يَسر: يُمضي ويُدبر.

الحجر: العقل.

إرَم: جَدُّ عاد.

العماد: العمود، وجمعه عمد وهو ما يعتمد عليه في البناء.

جَابُوا: قطّعوا.

الأوتاد: جمع وتد.

سوط عذاب: كناية عن التعذيب المتتابع المتواتر الشديد.

المرصاد: المكان الذي يرصد منه.

القدر: الضيق.

تُحاضّون: الحضّ هو الحثّ.

التُراث: الميراث.

لَمّاً: اللمّ أكل الإنسان نصيب نفسه وغيره وأكل ما يجده من دون أن يميّز الطيب من الخبيث.

جمّاً: كثيراً.

الدكّ: الدقّ الشديد.

موضوع السورة:

السورة تذمّ الدُّنيا وتُوعد أهلها بأشدّ العذاب في الدُّنيا والآخرة، وأنّه (عزّوجلّ) ضربَ لنا مثلاً على الذين طَغَوا وأفسدوا في الأرض ثمّ بيّن عاقبة أمرهم، والسورة تُبيِّن قُصُورَ نَظَرِ الإنسان وسوء تفكيره في هذه الحياة حيث يرى ما أتاه الله (عزّوجلّ) في هذه الحياة لكرامته عليه وفقرُهُ لهوانه عليه فلهذا السبب يطغى ويُفسد إذا استغنى ويكفر إذا أصابه الفقر، السورة تقول: ليس الأمر هكذا، حقيقة الأمر سيعرفه هذا الإنسان يوم الحساب بأنّ ما واجهه من غنى أو فقر هو لأجل الامتحان الإلهي وسوف لا يجد الفلاح بسبب عدم تقديمه للعمل الصالح، إلاّ النفس المطمئنة التي كانت طيّبة في حياتها الدُّنيا ولم تتزلزل بالابتلاءات المختلفة ولهذا تعود راضية مرضيّة إلى ربّها.



الأسئلة والأجوبة

❁ قال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾.

(س) ما المراد من الفَجر في قوله (عزّوجلّ): ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾؟

(ج) الفجر هو الشقّ الواسع سواءٌ في الخير أم في الشرّ، فمن الشقّ الخيّر هو شقّ أنواع الظلام وإخراج النور منه، ومنه الفجور الذي هو شقّ واسع لستر العفاف، فالمراد من الفجر هنا هو التفجّر الخيّر، سواء تفجر الظلام وخروج ساعة تنفّس الحياة ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾[1]، أو أنّه فجر شمس الرسالة المحمّدية، وفجر قيام الإمام المهدي عليه السلام، وفجر العقول عن ظلمات الأهواء، وفجر العيون والأنهار، فالمراد من الفجر مطلقه ولا يبعد أن يُراد به فجر يوم النحر وهو عاشر ذي الحجّة، وقيل: هو فجر ذي الحجّة، وقيل: فجر محرّم، وقيل: فجر يوم الجمعة، وقيل: فجر ليلة الجمعة.

(س) لماذا أقسم الله (عزّوجلّ) بالفجر؟

(ج) روي عن ابن عبّاس إنّ الفجر هو الصبح المعروف وأقسم الله (عزّوجلّ) به لما يحصل به من انقضاء الليل وظهور الضوء والذي على أثره تنتشر الخلائق ومنها الإنسان لأجل طلب المعاش، وأنّ في خروج الصباح عبرة وتأمّل يُذكّر الإنسان بساعة النشور من القبور.

(س) لماذا جاء قوله ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ بصورة النّكرَة؟

(ج) جاءت الليالي بصورة النكرة من بين ما أقسم الله به لأنّها ليال مخصوصة بفضائل لا تحصل في غيرها، التنكير دالّ على الفضيلة العظيمة، ولعلّ المراد بها الليالي العشر من أوّل ذي الحجّة إلى عاشرها، وقيل: المراد بها الليالي العشر من أوّل محرّم، وقيل: الليالي العشر من آخر شهر رمضان وهناك أقوال أخرى ذكرها المفسّرون. . .

---

(١) التكوير: ١٨.

۞ قال تعالى: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾.

(س) ما هو الشفع وما هو الوتر ولماذا أقسم الله بهما؟

(ج) الشفع هو الشيء المضموم إلى نفسه وهو يعمّ الكائنات المخلوقة كلّها إذ أنّها لا تخرج عن شفع ما، بينما الوتر هو الفرد، وقال المفسِّرون الكثير في تفسير الشفع والوتر، فقال صاحب تفسير الميزان: إنّ الشفع والوتر يقبل الانطباق على يوم التروية ويوم عرفة وهو الأنسب على أن يُراد بالفجر وليال عشر هو فجر ذي الحجّة والعشر الأولى من لياليها، وقيل: الشفع هي المخلوقات ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً﴾[1]، والوتر هو الله (جلّ جلاله)، والوتر هو الذي لا مثيل له كرسول الله محمّد ﷺ بين الأنبياء، وكالإمام عليّ عليه السلام بين الأوصياء، وعن النبيّ ﷺ سُئل عن الشفع والوتر فقال: هي الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر.

۞ قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾.

(س) ما هي الليلة التي أقسم بها الله (عزّوجلّ) في قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ هل أنّها ليلة مخصوصة أم أنّها عامّة؟

(ج) قال أكثر المفسِّرين إنّها ليست ليلة مخصوصة بل تفيد العموم، والدليل عليه قوله (عزّوجلّ): ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾[2]﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾[3] ولأنّ الليل نعمةٌ عظيمةٌ على الإنسان وعلى الخلق فلهذا يُقسم الله بها لإلفاتنا إليها، فلهذا يصحّ القَسَم بها، وعلّ الليل هنا هو من الليالي العشر، كليلة العاشر من المحرّم، والقدر، والنحر فإنّها تسري وتنتج آخر المطاف نهار الضياء اللامع.

(س) ما هو المراد من سريان الليل في قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾؟

(ج) المراد بسري الليل هو دوران فلكه، وسيران نجومه حتّى يبلغ غايته، إذ يسري في الظُّلمة

---

(١) النبأ: ٨.

(٢) المدّثر: ٣٣.

(٣) التكوير: ١٧.

ابتعاداً عن النور، ثمّ يسري إلى النور ابتعاداً عن الظلمة، ونهاية المطاف هو النور والحقّ فإنّ للحقّ دولة وللباطل جولة.

(س) لماذا يُقسم الله (عزّوجل) ببعض الأمور دون البعض الآخر؟

(ج) يُقسمُ اللهَ (عزّوجل) ببعض الأمور والأشياء وذلك لشرفها ومنزلتها العاليتين، ولأجل تبيين حقيقة من الحقائق، فيُقسم بالأمور العظيمة لكي ينتبه الإنسان إليها، لهذا قال تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ والمعنى أنّ الأقسام التي ذكرناها كافية لمن له عقل يفقه ويميّز الحقّ من الباطل.

۞ قال تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾.

(س) ما هو الهدف من الأقسام التي ذكرها الله (عزّوجل) في بداية هذه السورة المباركة؟

(ج) الهدف من هذه الأقسام هو قوله (عزّوجل): ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ فانتبه أيّها الإنسان واعتبر بالأمم الماضية كيف أصبحت نتيجتهم، وقيل: إنّ جواب الأقسام محذوف يدلّ عليه ما سيذكر من عذاب أهل الطغيان وثواب النفوس المطمئنة، وحذف جواب القَسَم والإشارة إليه بالتكنية هو آكد في باب الإنذار والتبشير. وتقديره بالنسبة للكفّار (لَنُعذبنَّ الكافرين) يدلّ عليه ﴿أَلَمْ تَرَ... فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ وقيل هذا أولى من الرأي الأوّل.

۞ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾.

(س) قوله (تعالى): ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ...﴾ يُراد به ألم تعلم كيف فعل.. لأنّه ممّا لا يمكنُ للنبيّ ﷺ رؤية تلك الأقوام، فكيف حصل الرسول ﷺ على العلم الكامل بمصيرهم بحيث يطلق القرآن الكريم على ذلك بالرؤية؟

(ج) إنّ أخبار عاد وثمود وفرعون كانت متواترة ومتناقلة على الألسن، فأمّا عاد وثمود فقد كانوا في بلاد العرب، وبلاد فرعون متّصلة بأرض العرب أيضاً وكانوا يسمعون عنهم من أهل الكتاب، إذاً فالخبر المتواتر يفيد العلم الكامل وأنّه جاري مجرى الرؤية في القوّة والوضوح.

(س) لِمَن وجّه الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ..﴾ ؟

(ج) الخطاب وإن كان في الظاهر موجّه إلى النبيّ ﷺ ولكنّه عام يشمل كلّ من عَلِمَ به وسمع، فيكون في كلامه (عزّوجلّ) زجر للكفّار والدعوة إلى الاعتبار بهم، ويكون للمؤمنين ثبات على الإيمان.

۞ قال تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾.

(س) مَن هم عاد ومن هو إرَمَ؟

(ج) عاد قبيلة وضعوا اسم عاد عليهم، كما يُقال لبني هاشم هاشم، ولبني إسرائيل إسرائيل ولبني تميم تميم، وأنّ عاداً هو عاد بن عوص بن أرَمَ بن سام بن نوح، وإرَمَ هو جدّهم، والآية المباركة ذكرت جدّهم إرَم وذلك تمييزاً لهم عن عاد الثانية والتي لم يذكر القرآن الكريم عنهم شيئاً، فعاد إذاً هم عاد الأولى ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأُولَى﴾[1] وكانوا يسكنون بالأحقاف وهي بلاد الرمال بين عمّان إلى حضرموت ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ﴾[2] وكانوا أقوى الأقوياء في التأريخ.

۞ قال تعالى: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ﴾.

(س) ما هي المميّزات التي كانت تمتلكها قبيلة عاد، بحيث يوصفهم القرآن الكريم بقوله: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ﴾؟

(ج) إنّهم كانوا عماد ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾، عماداً في أبدانهم كانوا رجال أقوياء ذوي الأحجام الطوال كالعماد فمن قوّتهم كما ذُكر عن النبيّ ﷺ «كان الرجل منهم يأتي إلى الصخرة فيحملها على كاهله فيلقيها على أيّ حيّ أراد فيهلكهم» وكانوا عماداً في الحضارة والمدنيّة، كانت لهم معمورة عديمة النظير ذات قصور عالية وعمد ممدّدة، وأراضي خصبة ذات جنّات ونخيل وزروع ومقام كريم، قال تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ

---

(١) النجم: ٥٠.

(٢) الأحقاف: ٢١.

رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾[١]، ولهذا وصفهم القرآن بـ ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾، وقيل: كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع.

(س) ما سبب إنزال العذاب عليهم؟

(ج) أنزل الله (عزّوجلّ) عليهم العذاب الغليظ بسبب طغيانهم وفسادهم الكثير ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ وأنّهم عصوا رسولهم هود عليه السلام وامتنعوا عن قبول الهداية والطاعة لله (عزّوجلّ) ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[٢].

(س) ما نوع العذاب الذي صُبّ عليهم وأُهلكوا به؟

(ج) قال (عزّوجلّ): ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾[٣].

(س) ما المقصود من (ذات العماد) في قوله (إرمَ ذات العماد)؟

(ج) قيل: إنّ معنى العماد هو العمود وجمعه عمد وهو ما يُعتَمد عليه في البناء، وظاهر الآية مع قوله ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ إنّ إرمَ كانت مدينة معمورة وعديمة النظير ذات قصور عالية وعمد ممدّدة.

۞ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾.

(س) قوله (عزّوجلّ): ﴿الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ على ماذا يدلّ؟

(ج) إنّه يدلّ على شدّة قوّة قوم ثمود، بحيث لقوّتهم الكبيرة يُقطعون الصخور العظيمة

---

(١) الشعراء: ١٢٨.

(٢) هود: ٥٩.

(٣) الحاقة: ٥ـ٨.

بنحتها بيوتاً فهو في معنى قوله: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَارِهِينَ﴾[1]، وقيل: إنّ أوّل مَن نحت الجبال بيوتاً هم قوم ثمود الذين أُرسل إليهم نبيّ الله صالح (على نبيّنا وآله وعليه السلام)، وقيل: إنّ الواد هو وادي القرى (عن مقاتل).

۞ قال تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ﴾.

(س) لماذا سُمّي فرعون بذي الأوتاد؟

(ج) سُمّي فرعون موسى بذي الأوتاد (على ما في بعض الروايات) لأنّه كان إذا أراد أن يعذّب رجلاً بسطه على الأرض ووتّدَ يديه ورجليه بأربعة أوتاد في الأرض أو على خشبة، ويؤيّده قوله تعالى حكايةً عن فرعون عندما هدّدَ السَحَرة حين إيمانهم بموسى عليه السلام: ﴿وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[2]، وقيل: سُمّي بذي الأوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم (جمع مضرب وهو الخيمة) التي كانوا يضربونها إذا نزلوا.

۞ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ﴾.

(س) لماذا ذكرت السورة المباركة مصير قوم عاد وثمود وفرعون بعد أن ابتدأت بمجموعة من الاقسام؟

(ج) لأنّ هذه الأقسام جاءت لتبيّن حقيقة إلهية وهي أنّه (عزّوجلّ) لبالمرصاد للطغاة، وأنّ الطغاة مهما كَبُرت قوّتهم واشتدّت شوكتهم فليسوا بمعجزي الله (تعالى)، وأنّ كثرة قوّتهم لا يمنع من ورود الهلاك عليهم، فاعتبر أيّها الإنسان.

(س) ربُّنا (سبحانه وتعالى) أنزل عذاباً شديداً ومُهلكاً على عاد وثمود وفرعون وذلك لطغيانهم وفسادهم الكثير ولكن ألم يقل في كتابه العزيز ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾[3] وهذه الآية تقتضي تأخير العذاب إلى الآخرة، فكيف الجمع

(١) الشعراء: ١٤٩.

(٢) طه: ٧١.

(٣) النحل: ٦١.

بين هاتين الآيتين؟

(ج) الآيةُ ﴿ولَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ...﴾ تقتضي تأخير تمام الجزاء إلى الآخرة وأنّ الذي يوقعه الله (عزّوجلّ) بالبعض فهو شرّ من ذلك ومقدّمة من مقدّماته، وأنّ قوله (عزّوجلّ): ﴿فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ توحي إلى أنّ فسادهم وصل إلى حدٍّ لا يمكن السكوت والاصطبار عليه، فلهذا لابدّ من تعجيل شيء من العذاب الأخروي إلى حياتهم الأولى وعذاب الآخرة أشدّ وأبقى.

۞ قال تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾.

(س) كلمة السوط في قوله (تعالى): ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ إلى ماذا توحي وتُشير؟

(ج) ذكرُ السوط إشارة إلى ما أحلّه الله (عزّوجلّ) بهم من العذاب العظيم قياساً إلى العقوبات الدنيوية الأُخرى، وصبّ سوط العذاب كناية عن التعذيب المتتابع والمتواتر الشديد وهذا العذابُ خَلَطَ الجسومَ بالدماءِ واللحوم، كسوط القدر الذي يُحرّكُ ما فيه ويخلطه.

(س) أوَلَم يُصبّ على الطغاة العذاب الشديد بسبب ذنوبهم ومعاصيهم فلماذا العذاب الأكبر في الآخرة إلى جانب هذا العذاب؟

(ج) إنّ العذاب الذي يرونه الطغاة في الدُّنيا هو شيء يسيرٌ ممّا أُعدّ لهم في الآخرة، قال (عزّوجلّ): ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً * لِلْطَّاغِينَ مَآباً * لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً﴾[1].

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.

(س) قوله (عزّوجلّ): ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ إلى ماذا يُشير؟

(ج) إنّ كلمة (المرصاد) هو المكان الذي يُرصد ويُرقَبُ منه، فكونه تعالى على المرصاد فهو استعارة تمثيلية تُشير إلى حفظه ومراقبته لأعمال عباده، فإذا طغوا وأكثروا الفساد

---

(١) النبأ: ٢١ـ٢٢.

أخذهم بأشدّ العذاب. وأنّ الآية تعليل لما تقدّم من حديث تعذيب الطغاة.

(س) كلمة (ربّك) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ إلى ماذا تُلوح؟

(ج) كلمة (ربّك) التي تخاطب السامعين وعلى قمّتهم النبيّ محمّد ﷺ تلوح إلى أنّ سُنّة العذاب جارية في جميع الأُمم ومنهم أُمّة النبيّ ﷺ كما جرت على الأُمم السابقة.

❁ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الإنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي﴾.

(س) ما علاقة قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الإنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي * وَأَمَّا إِذَا...﴾ مع ما سبقتها من الآيات في السورة المباركة؟

(ج) الآية متعلّقة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ كأنّه يُقال: بأنّ الإنسان تحت رقابة إلهية دائمة ما دام في هذه الحياة فيُمتحَن بعدّة امتحانات مختلفة من غنى وفقر ومرض و... والله (عزّوجلّ) يرصُدَه ويرى حاله مع هذه الابتلاءات ولكنَّ الإنسانَ بصورة عامّة لا يلتفت إلى هذه الحقيقة، بل ينكر كيفما تُملي له نفسه فإذا أنعم الله عليه بنعمة حَسبَ ذلك إكراماً له، وإذا امتحنه بالفقر ظنّ ذلك إهانة من الله له، هذا بالنسبة لتعلّق الآيتين بما سبقتها.

(س) مَنْ هو المقصود من الإنسان في قوله (تعالى): ﴿فَأَمَّا الإنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ﴾؟

(ج) قال صاحب الميزان(رحمه الله): المراد من الإنسان هو النوع بحسب الطبع الأوّلي فاللاّم للجنس دون الاستغراق، وهذا الكلام يصدر من الجهّال والكفّار الجاحدين.

(س) هناك البعض من جنس الإنسان لا يقول ما تقوله الآيات المباركات ولا يدري بأنّه جيئ إلى دار الابتلاء والامتحان، فهل تشمله الآية المباركة أم لا؟

(ج) الآيتان لا تشمل مثل هؤلاء الناس الذي لا يعرفون سبب مجيئهم إلى الدُّنيا والقرآن لا يعترف بإنسانيتهم إذ يقول عنهم ﴿إِنْهُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾.

(س) ما هو الدليل على أنّ كلمة الإنكار (كلاّ) تعود إلى الآيتين قول الإكرام ﴿رَبِّي

أَكْرَمَنِي﴾ وقول ﴿رَبِّي أَهَانَنِي﴾ عند الفقر؟ وأنّه (عزّوجلّ) عندما قال ﴿فَأَكْرَمَهُ﴾ فقد صحّ إكرامه وأثبت ذلك عن قول الإنسان قال ﴿رَبِّـي أَكْرَمَنِـي﴾ فكيف كلمة الردع تستنكر هذا القول أيضاً؟

(ج) إنّ كلمة الردع (كلاّ) تستنكر الظنّ بالإكرام في وقت الغنى لدى هذا الإنسان وذلك:

١ - لأنّ الغنى والإكرام والنِّعم الإلهية كانت موجودة عنده دون أن يلتفت إليها ويشكر الله عليها وهي نعمة سلامة البدن والدين والعقل، ولكنّه يعترف بالنِّعمة عند وجود المال فقط، لذا فهو لا يقصد شُكر الله (عزّوجلّ) بل يُريد الاستكثار والتفاخر بماله.

٢ - أعتقد أنّه مستحقّ للتكريم وأنّ الواجب على الله (سبحانه وتعالى) إكرامه.

(س) لماذا جاءت آية الابتلاء بالنِّعم قبل آية الابتلاء بالفقر والضيق في الرزق؟

(ج) فيها إشارة إلى أنّ رحمة الله (عزّوجلّ) سابقة على غضبه وأنّه (عزّوجلّ) يُعامل خلقه برحمته العامّة والواسعة التي تشمل البرّ والفاجر.

(س) أي الابتلائين أشدّ على الإنسان؟

(ج) لاشكّ أنّ امتحان الغنى أشدّ على الإنسان من الفقر فإن بسط الرزق ومعطيات الحياة يدفع الإنسان إلى الشهوات والرغبات شاء أم أبى، فعن الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «المال مادّة الشهوات» بينما الفقر يمنع الإنسان عن الكثير من الشهوات كما قال الله (عزّوجلّ) في كتابه الكريم: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ﴾[1].

(س) أيّ من الامتحانين يتعرّض له الإنسان المؤمن عادةً في حياته الدُّنيا؟

(ج) ربُّنا (سبحانه وتعالى) غالباً يُعرّضُ المؤمنين إلى البلاء الأخفّ والأسهل ولاشكّ أنّ بلاء ضيق المعيشة هو أبسط وأخفّ، ولهذا ترى أغلب المؤمنين يعيشون في بساطة وضيق من العيش وأنّ الذين يسقطون في بلاء وامتحان الرخاء والسعة أكثر بكثير من الذين

(١) الشورى: ٢٧.

يفشلون في امتحان الفقر ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[١].

(س) الآية المباركة تقول بأنّ الكرامة والإهانة ليستا في الغنى والفقر كما يظنّه الجاهل، فإذاً أين تكون الكرامة وأين تحصل الإهانة الحقيقيّة للإنسان؟

(ج) الكرامة الحقيقيّة يجدها الإنسان بفعل تقوى الله (عزّوجلّ) وتعميق الارتباط به، قال (عزّوجلّ): ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٢]، والإهانة تكون عند الابتعاد عن طريق الله (عزّوجلّ) المؤدّي إلى الجنّة واختيار طريق الهلاك والنار.

(س) أليس الغنى المادّي يؤدّي بالإنسان إلى الاستقرار وحفظ دينه بينما الفقر يؤدّي به إلى الكفر والسوء كما ورد عن الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أنّه قال: «لو كان الفقر رَجُلاً لقتلته» فلماذا إذاً يُفنِّد القرآن الكريم ذلك؟

(ج) إنّ الغنى المادّي إذا صحبه غنى النفس وصلاحها يؤدّي بالإنسان إلى الكمال وحفظ دينه ونفسه، بينما إذا كان عارياً من التقوى والصلاح فلا خَيرَ فيه، ولاشكّ أنّ الفقر المادّي يُساعد الإنسان على الكفر، والقرآن الكريم لم يُفنِّد هذا الأمر، ولكنّه يُفنِّد مزاعم الإنسان الذي يتصوّر الغنى المادّي الخالي من التقوى نوعٌ من التكريم الإلهي له وأنّ الفقر مهانة إلهية ويقول القرآن إنّ الغنى والفقر هما ابتلاءان يتعرّض لهما الإنسان مع مجموعة الابتلاءات الأخرى وذلك لكي يرى الله (عزّوجلّ) أيُّنا أحسنُ عملاً، قال (تعالى): ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً...﴾[٣].

(س) ماذا على المؤمن أن يعرف بعد أن بيّن القرآن الكريم هذه الحقيقة والسنّة الإلهية في الحياة؟

(ج) على المؤمن أن يعرف أنّه في دار امتحان سواء كان في غنى أو فقر وشدّة، فما عليه إلاّ

---

(١) الانبياء: ٣٥.

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) الملك: ١ و ٢.

الصبر والثبات في كلا الامتحانين، وإذا ما رأى الكفّار في رخاء ورغد فعليه أن يعرف أنّ ذلك إملاءٌ لهم وإمهال لا أكثر ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [1].

۞ قال تعالى: ﴿كَلاَّ بَل لاَ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾.

(س) ما علاقة قوله تعالى: ﴿بَل لاَ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ بما سبقتها من الآيات؟

(ج) إنَّهُ إضرابٌ مضافٌ إلى أصل الرّدع، فيه تقريع ولتشديد هذا التقريع وقع الالتفات من الغيبة إلى الخطاب المباشر، وقوله (عزّوجلّ): ﴿بَل لاَ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ تبيينٌ لصفة من صفات الإنسان الذي يظنّ أنّ الكرامة في الغنى والترف المادّي وأنّ الفقر إهانة إلهية له، وهناك صفات رذيلة أخرى يمتلكها مثل هؤلاء الناس الأغبياء الذين يسعون إلى جمع الأموال في أيّ وسيلة كانت، تذكرها الآيات التالية.

(س) كيف تحصل حالة عدم إكرام اليتيم كما قال (عزّوجلّ): ﴿بَل لاَ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾؟

(ج) يكون عدم إكرام اليتيم وذلك إذا حُرِمَ من تراث أبيه ـ كما كانوا يُحرمونَ صغار الأولاد من الإرث ـ والآية المباركة ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾ تؤيّد هذا المطلب، وهكذا إذا تُرك الإحسان إليه.

۞ قال تعالى: ﴿وَلاَ تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾.

(س) هناك الكثير من الناس ممّن يمنع طعامه عن المساكين وكذلك لا يحضُّ الآخرين على إطعامهم فضلاً عن إطعامهم من مالهم الخاصّ فما هو منشأ هذه الصفة الرذيلة؟

(ج) منشأ هذه الصفة الرذيلة هو حبّ المال والسعي إلى حفظه من النقص وإلى إكثاره وكما قال الله (عزّوجلّ) في الآية التالية: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً﴾ والجمّ هو الكثير العظيم.

---

(١) آل عمران: ١٧٨.

۞ قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكّاً دَكّاً﴾.

(س) ما علاقة قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكّاً دَكّاً﴾ بما سبقتها من الآيات؟

(ج) قوله (كلاّ) هو ردع ثاني عمّا يقوله الإنسان الجاهل في حالي الغنى والفقر، وقوله: ﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتْ الأَرْضُ﴾ في مقام التعليل للردع، فيكون المعنى ليس كما يقوله الإنسان بل سيعلم إذا قامت القيامة بحقيقة الحياة والدُّنيا وما جرى عليه فيها من غنىً أو فقر سوف يعلم بأنّ تلك الحالات التي مرّ عليها لم تكن هي المقصودة ولم تكن مقياس سعادة أو شقاء بل كانت اختبارات إلهية لتميّز الصالحين من الطالحين.

(س) لماذا تكرّرت كلمة (دكّاً) في الآية حيث قال: ﴿إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكّاً دَكّاً﴾؟

(ج) كأنّما الآية تريد أن تقول بأنّ هناك دكّتين ولعلّه أكثر من دكّتين، فتدكّ الأرض أوّلاً فتصبح رملاً ليّنة، وتُدكّ ثانيةً فتصبح تُراباً أملساً، وأنّ هذا الدكّ لابدّ أن يكون متأخّراً عن الزلزلة التي تُصيب الأرض، قال (عزّوجلّ): ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾[1] وقال: ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾.

۞ قال تعالى: ﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾.

(س) لماذا قالت الآية المباركة: ﴿وَجَاء رَبُّكَ﴾ دون أن تقول مثلاً وجاء الله (سبحانه وتعالى)؟

(ج) لا يمكن القول بمجيء الله (عزّوجلّ) لأنّ الذات المقدّسة لا تجيء ولا تذهب لا من مكان ولا من زمان إذ ليس لله زمان ولا مكان ولا انتقال الفكر والقدرة والعلم إنه مُحيط بكلّ زمان ومكان وهو مع جميع الإنس والجنّ، فالآية ﴿وَجَاء رَبُّكَ﴾ من المتشابهات التي لابدّ من إرجاعها إلى المحكَمات كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[2]، لكي نعرف أنّ مجيء الربّ ليس كمجيئنا.

---

(١) النازعات: ٦ و ٧.

(٢) الشورى: ١١.

(س) فما هو معنى : ﴿وَجَاء رَبُّكَ﴾؟

(ج) إنّ معنى مجيء الربّ هو مجيء أمره للحساب والجزاء، وليس مجيئُهُ بذاته ولا بعلمه وقدرته وإنّما بربوبيّته فهو ربُّ يوم الجزاء، وكما توحي الآيات إلى ذلك، قال (عزّوجلّ): ﴿فَإِذَا جَاء أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾[1].

(س) لماذا تأتي الملائكة مع أمر الله (عزّوجلّ) في يوم القيامة، كما قال (عزّوجلّ): ﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾؟

(ج) إنّ الملائكة يأتون إلى عرصات يوم القيامة حاملين أمر الله (عزّوجلّ) لتطبيقه، فيصطفّون صفاً بعد صفّ محدقين بالجنّ والإنس، وهم ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[2].

❁ قال تعالى: ﴿وَجِيء يَوْمَئِذ بِجَهَنَّم﴾.

(س) هل أنّ مجيء جهنّم عندما قال (عزّوجلّ): ﴿وَجِيء يَوْمَئِذ بِجَهَنَّم﴾ هو بروزها كما قال (عزّوجلّ): ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾[3] وقوله: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾[4] وذلك لكونهم كانوا في غفلة منها ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَة مِنْ هذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءكَ﴾[5]، أو أنّ المقصود من مجيئها هو تسعيرها بعدما كانت غير مُسعّرة ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾[6]، أو أنّه انتقال لها من مكان إلى مكان كما ذكرته الرواية الواردة؟

(ج) الكلّ محتمل والكلّ أجمل والله العالم.

---

(١) غافر: ٧٨.

(٢) الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧.

(٣) الشعراء: ٩١.

(٤) النازعات: ٣٦.

(٥) ق: ٢٢.

(٦) التكوير: ١٢.

۞ قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ﴾.

(س) قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ﴾ أي يعرف الإنسان في الآخرة بحقيقة وسبب مجيئه إلى الحياة الدُّنيا وأنّه جيء إليها للامتحان والابتلاء ولكن أولم يكن يعلم بذلك وهو في الدُّنيا؟

(ج) إنّه كان يعلم بذلك وذلك بفعل فطرته وعقله السليمين وبفعل التذكّرات الإلهية المختلفة له، ولكنّه لم يصغي إلى هذه النداءات الإلهية بل أخذ يُغطّيها بحُجُب الرغبات والشهوات الدنيويّة حتّى نَسي هدف وجوده في هذه الحياة بشكل كامل، إذ تصوّر بأنّه مخلوق إليها لا لغيرها، وعندما تُزال عنه حُجب الغفلة في يوم القيامة عندها سيتذكّر مرّة أخرى كما تذكّر في المرّة الأُولى وقت طهارة ونصاعة قلبه، بأنّه لم يأتي إلى هذه الحياة إلاّ لأجل الامتحان والابتلاء وتحصيل الآخرة.

(س) لماذا تأخّر قوله (عزّوجلّ): ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ﴾ إذ جاء بعد قوله: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾؟

(ج) فكأنّما الآية تريد أن تقول بأنّ الإنسان لا يتذكّر بصورة كاملة إلاّ بعد أن يرى العذاب الأليم والعاقبة السوداء، فكما في هذه الحياة لا يتوجّه إلى ربِّه بصورة صحيحة وخالصة إلاّ بعد أن يقع في مأزق وبلاء مهلك، والله العالم.

۞ قال تعالى: ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾.

(س) لماذا لا ينفع التذكّر والندم يوم القيامة ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾؟

(ج) إذا حصل الندم في قلب الإنسان فقد حصلت التوبة ولكن لا يقبل الله (عزّوجلّ) توبة الكافرين يوم القيامة لأنّ الآخرة ليست محلّ عمل وتدارك للذنوب بل هو يوم الحساب والجزاء، فلذا لا ينفع التذكُّر فيها، بل ينفع في الدُّنيا فيبادر الإنسان على ضوئها في التوجّه إلى الصالحات واجتناب المحرّمات.

۞ قال تعالى: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾.

(س) لماذا قال (عزّوجلّ) عن لسان الكافر ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ ولم يقل لهذه الحياة

ويُريد بها الحياة الآخرة؟

(ج) فيها إشارة إلى أنّ الحياة غير موجودة إلاّ في الآخرة وأنّ الحياة في دار الدُّنيا ليست إلاّ مماتاً ولهذا قال (عزّوجلّ): ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[١]، لهي الحيوان: أي لهي الحياة الحقيقية، وقال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «الناسُ نيامٌ إذا ماتُوا انتبَهُوا».

(س) قوله (عزّوجلّ): ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ تُشير إلى الحياة الحقيقيّة الموجودة في الآخرة، ولكنّه أو لَم يقل (عزّوجلّ) في كتابه الشريف ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً...﴾[٢]؟

(ج) يحصل المؤمن على الحياة الطيّبة والحقيقة في هذه الدُّنيا بفعل الإيمان والعمل الصالح لا بالتمسّك بشهوات الدُّنيا وملذّاتها، ومع هذا فالحياة الدُّنيا بجنب الآخرة ما هي إلاّ قطرةٌ من بحر، فهنا دانية فانية وهناك عالية باقية، هنا مخلوطة بالموت والبلاء وهناك الحياة الدائمة الصافية، هنا يحكم فيها الفراعنة والطُّغاة وهناك الله الواحد القهّار، هنا محروم من حقوقه الطبيعيّة وهناك ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا...﴾[٣].

(س) قوله (عزّوجلّ): ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ الذي هو عن لسان الكافر إلى ماذا يُشير؟

(ج) إنّه اعترافٌ من الكافر بأنّ الحياة الحقيقيّة في الآخرة وما الحياة الدُّنيا إلاّ ممات، ولكنّه سوف يرى مماتاً أكبراً في حياته الآخرة بما قدّمت يداه ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾[٤]، ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا﴾[٥].

---

(١) العنكبوت: ٦٤.
(٢) النحل: ٩٧.
(٣) الرعد: ٣٥.
(٤) إبراهيم: ١٧.
(٥) طه: ٧٤.

۞ قال تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾.

(س) ما هو المراد من قوله (عزّوجل): ﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾؟

(ج) يُريدُ الله (عزّ وجلّ) أن يقولَ للمكلّفين بأنّ عذابَهُ ووثاقه يوم القيامة فوق عذاب الخلق ووثاقهم، وإنّ العذابَ والتنكيلَ الذي يستخدمه الطُّغاة ضدّ الآخرين إنّه هيِّن وبسيط بالنسبة إلى العذاب الذي أعدَّه الله (عزّوجلّ) إلى الكافرين، إذاً فالآية تشديد في الوعيد.

(س) ما هو الوثاق الذي سَيُوثقُ الله (عزّوجلّ) به خلقَهُ؟

(ج) إنّه وثاق الأعمال ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾(١) ثمّ يوثق من لا كرامة له ولا وزن من الحقّ في نار جهنّم، قال تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ * وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾(٢).

۞ قال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

(س) ما علاقة قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ.. ﴾ بما سبقتها من الآيات؟

(ج) إنّ النفس المُخاطَبة في هذه الآية الشريفة هي عكس تلك النفس التي ذكرتها الآيات السابقة، إنّها النفس المطمئنة التي ترضى بما يُقسمُ الله لها وترى بأنّ الدُّنيا دار مجاز وما تستقبله في الدُّنيا من فقر أو غنى أو نفع أو ضُرّ هو امتحان وابتلاء إلهي لها ليس أكثر، خلاف تلك النفس التي تتصوّر الغنى نوع من التقدير والتكريم الإلهي لها والفقر هو إهانة.

---

(١) المدثر: ٣٨.

(٢) الحاقة: ٣٠ـ٣٤.

(س) متى يكون هذا الخطاب؟

(ج) قيل إنّ الخطاب: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ موجّه إلى المؤمن من حين نزول الموت به إلى ساعة دخول جنّة الخُلد وليس واقعاً بعد الحساب كما ذكره البعض، وقيل: إنّ هذا الخطاب موجّه إلى جميع الناس في الدُّنيا سواء المؤمن والعاصي وأنّه موجّه إلى المؤمن فقط بعد هذه الحياة، وينقطع عن الكافر ليوجّه إليه خطاب آخر وهو ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾.

(س) إن قيل: إنّ قوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً﴾ موجّهٌ إلى جميع الناس في الدُّنيا وأنّه نداء خاصٌّ للمؤمن بعد هذه الحياة فما الفائدة من ذلك؟

(ج) يُخاطَبُ المؤمن على طوال حياته بهذا النداء لكي يستزيد في رجوعه إلى الله (تعالى) وأمّا عند الموت والقيامة لأجل الجزاء الوافر، وأمّا سبب الخطاب للكافرين في الدُّنيا هو لعلّهم يرجعون إلى ربّهم ويصلحون أنفسهم.

(س) كيف يحصل العبد على مرضاة الله (سبحانه وتعالى)؟

(ج) يحصل العبد على مرضاة الله (عزّوجلّ) وذلك إذا رضى عن ربّه فيشكره على ما قدَّر له ويطيعه فيما يأمره وينهاه؛ عندها يحصل على مرضاة الله، ولهذا السبب جاءت كلمة (مرضية) بعد كلمة (راضية).

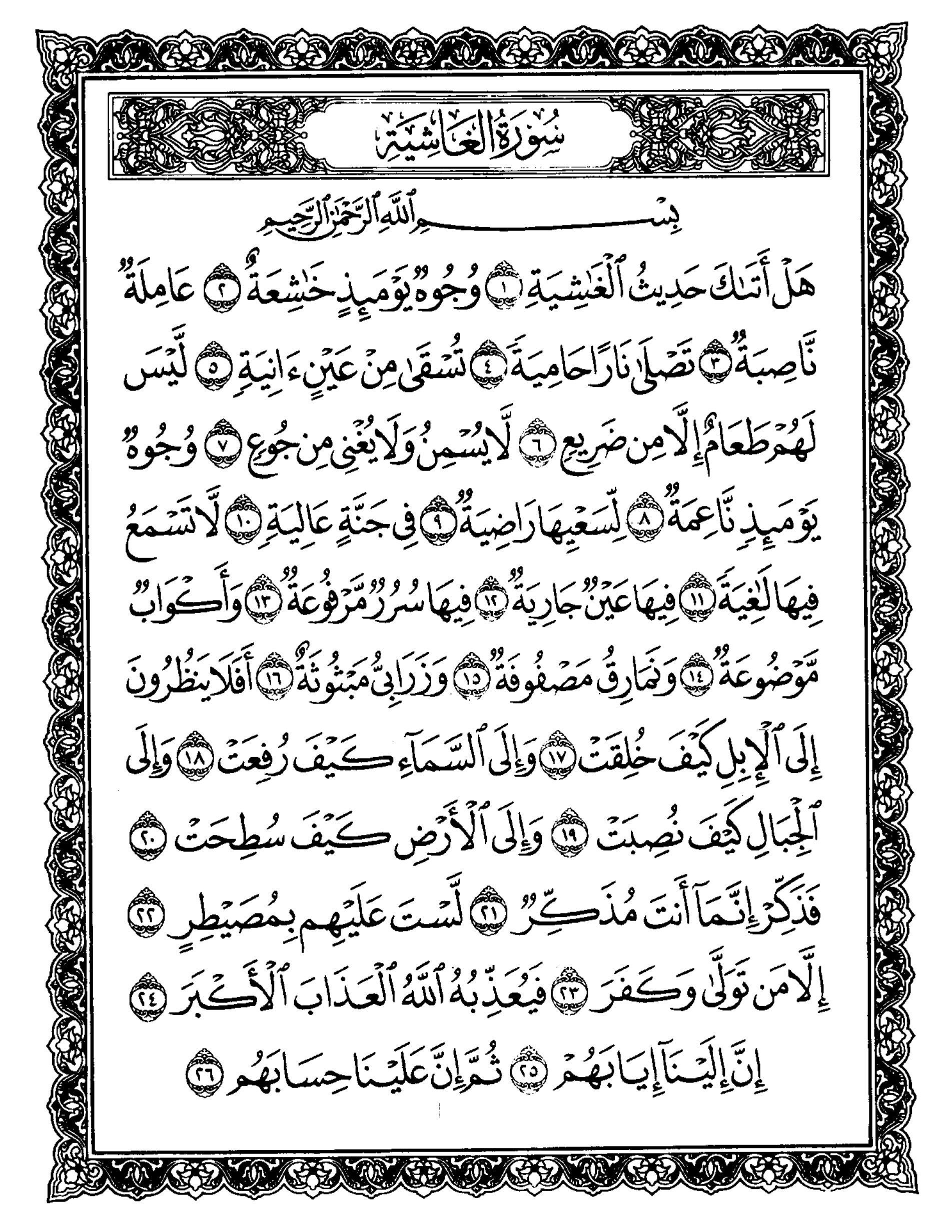
(س) إن قيل: بأنّ قوله: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ موجّهٌ إلى الكافر فكيف يكون معنى الآية في هذه الحالة؟

(ج) يكون المعنى يا أيّتها النفس المطمئنة بالدُّنيا الراضية عنها والمرضية عند أهلها إرجعي إلى الله (عزّوجلّ) بترك اللهو والعصيان والاطمئنان بالحياة الدُّنيا، والدخول في ساحة رضا الله لتكون مرضية عنده، وإلاّ فإنّ المأوى هي النار، قال (عزّ وجلّ): ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1]

---

(١) يونس: ٧ و ٨.

سُورَةُ الغَاشِيَةِ



سُورَةُ الغَاشِيَةِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ٢ عَامِلَةٞ
نَّاصِبَةٞ ٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ٥ لَّيۡسَ
لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ٧ وُجُوهٞ
يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ٨ لِّسَعۡيِهَا رَاضِيَةٞ ٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ١٠ لَّا تَسۡمَعُ
فِيهَا لَٰغِيَةٗ ١١ فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ١٢ فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ١٣ وَأَكۡوَابٞ
مَّوۡضُوعَةٞ ١٤ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ١٦ أَفَلَا يَنظُرُونَ
إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى
ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ٢٠
فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ٢٢
إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ٢٣ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ٢٤
إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦

فضلها:

ابن بابويه باسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أدمن قراءة «هل أتاك حديث الغاشية...» في فريضة أو نافلة، غشاه الله برحمته في الدنيا والآخرة، وآتاه ألا من يوم القيامة من عذاب النار.

مفردات السورة:

الغاشية: مبالغة في الغشي: الستر الشامل وجمعه غواش.

خاشعة: مذلّلة.

النَّصَب: التعب.

تَصلى: تَلزَم.

آنية: شديدة الحرارة.

الضريع: نوع من الشوك.

اللغو: الكلام الساقط.

نمارق: جمع نمرقة وهي الوسادة.

الزّرابِي: جَمعُ زَربية وهي البساط الفاخر.

مبثوثة: مبسوطة.

موضوع السورة:

السورة تتحدّث حول الغاشية التي هي صفة من صفات يوم القيامة وأنّها تُحيط بجميع الناس كما قال (عزّوجلّ): ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾[1] ثمّ تصف حال الناس فيه من حيث انقسامهم إلى فريقين سعداء وأشقياء، ثمّ تأمر السورة الرسول صلى الله عليه وآله بتذكير الناس بمجموعة من التدبّرات الإلهية والربوبيّة في خلقه والدالّة على ربوبيّته لهم ورجوعهم إليه تعالى.



---

(١) الكهف: ٤٧.

الأسئلة والأجوبة

۞ **قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾.**

(س) لماذا جاء قوله (عزّوجلّ): ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ بصيغة الاستفهام؟

(ج) الاستفهام في الآية المباركة لأجل التفخيم والإعظام.

(س) لماذا سمّيت يوم القيامة بالغاشية؟

(ج) لأنّها تغشى الناس وتُحيط بهم جميعاً، قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾ أو لأنّها تغشى الناس بأهوالها أو بالعذاب.

۞ **قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾.**

(س) لماذا عبّرت السورة المباركة عن الذوات الشرّيرة بالوجوه دون النفوس مثلاً، فقال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذ خَاشِعَةٌ﴾؟

(ج) إنّما قال (تعالى) ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذ خَاشِعَةٌ﴾ دون غيره لأنّ المذلّة والخشوع يظهر فيها ما لم يظهر في جارحة أخرى، وغاشية الساعة تُغشي وجه الظاهر والباطن، فيصبح القلب والصدر والعقل ذليلاً كما الوجه. قال (تعالى): ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾[1].

۞ **قال تعالى: ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾.**

(س) لماذا يجد الكافر العامل نصباً وتعباً في الآخرة بعد عمله الكثير في الدُّنيا، حيث قال (تعالى): ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾؟

(ج) لأنّ العمل الذي عمله في حياته الدُّنيا لم يمازجه الايمان وطلب وجه الله (عزّوجلّ) لهذا يذهب أدراج الرياح، قال (عزّوجلّ): ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَل فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً

---

(١) السجدة: ١٢.

مَّنثُوراً﴾[١]، لهذا لا يحصد الكافر من عمله في الدُّنيا إلاّ التعب في الآخرة.

وقيل: إنّها عاملة ناصبة يوم القيامة لأجل خلاصها، ولكن لا فائدة من ذلك لأنّ يوم القيامة يوم حساب ولا عمل كما أنّ الدُّنيا دار عمل ولا حساب.

❁ قال تعالى: ﴿تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً﴾.

(س) ما هو المحلّ أو المنزل الذي سيدخلونَهُ الكفّار وما هو طعامهم وشرابهم الذي سيتناولون منه بعد ما تناولوا مختلف الأطعمة الطيّبة في حياتهم الدُّنيا؟

(ج) إنّهم سوف يصلون ناراً حامية كما قال (تبارك وتعالى): ﴿تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً﴾ أي سوف يلزمونها وتلزمهم ويقودونها وتُوقدَهم و﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ أي حارّة بالغة في حرارتها، قال (عزّوجلّ): ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ﴾[٢]، وأمّا طعامهم ف ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ * لاَ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾.

❁ قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ﴾.

(س) ما هو الضريع؟

(ج) إنّه من الضراعة إذ الطعام يذلّهم ويبكيهم ويجعلهم يتضرّعون بَدَل أن يُفرحهم ويُغنيهم، ومن المضارعة أي المشابهة أي أنّ طعام أهل النار يشبه الطعام ولكنّه ليس طعاماً ولذلك ﴿لاَ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ إذ لا يعرف اللغة طعاماً اسمه الضريع، والقرآن الكريم يذكر طعام أهل النار بعدّة صور فتارةً يقول القرآن ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾[٣] ويقول: ﴿وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾[٤]، ﴿وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ﴾[٥].

---

(١) الفرقان: ٢٣.

(٢) محمّد ﷺ: ١٥.

(٣) الدخان: ٤٣ ـ ٤٦.

(٤) الحاقّة: ٣٦.

(٥) المزمّل: ١٣.

(س) قال (عزّوجلّ) في سورة الحاقّة: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾[1] وقال في هذه السورة: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ﴾ والضريع غير الغسلين فكيف الجمع بينهما؟

(ج) من وجهين:

١- إنّ النار دركات فمن أهل النار من طعامه الزقّوم، ومنهم من طعامه غسلين، ومنهم من طعامه الضريع، وآخر شرابه الحميم، ومنهم شرابه الصديد وهكذا..

٢- يحتمل أن يكون الغسلين من الضريع كما أنّ اللبن من الشاة فلا تناقضَ في من قال لا آكل إلاّ من الشاة ثمّ يقول لا آكل إلاّ اللبن.

❁ **قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾.**

(س) السورة جاءت لتُبيِّن لنا نوعين من الوجوه أو الذوات ؛ ذوات شرِّيرة وأُخرى صالحة ناعمة، فبعدما ذكرت عن الوجوه الشرّيرة انتقلت لتتحدّث عن الوجوه الناعمة، فلماذا لم يعطف الوجوه الناعمة على الخاشعة أي يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ و﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾؟

(ج) وذلك لظهور آثار النِّعمة عليها والرضى خلاف الوجوه المفتقرة والمحتاجة، أو كناية عن البهجة والسرور الظاهر على البشرة فيحصل فيها النعومة كما قال (عزّوجلّ): ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾[2] بينما نجد في الوجوه الغير مسرورة الخشونة والقبوضة.

(س) كيف يتجلّى رضى المؤمن عن عمله الذي عمله في حياته الدُّنيا، بقوله (عزّوجلّ): ﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾؟

(ج) يتجلّى رضى المؤمن عن مسيرته الصالحة في حياته وبتطبيقه لأوامر الله ونواهيه وذلك

(١) الحاقة: ٣٥-٣٦.

(٢) المطففين: ٢٤.

بالجزاء الكبير الذي يحصله في الآخرة كما قال (عزّوجلّ): ﴿فِي جَنَّة عَالِيَة * لاَ تَسْمَعُ فِيهَا لاَغِيَةً﴾.

(س) ما فائدة قوله تعالى: ﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾؟

(ج) فائدة ذلك هو أنّ أهل الجنة يبلغون حدّ الرضا بما أعدَّ الله (عزّوجلّ) لهم فلا يطلبون أكثر من ذلك وإن طلبوا أكثر فلهم ذلك أيضاً ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأنفُسُ وتَلَذُّ الأعْيُنُ وأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(1).

۞ قال تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾.

(س) ما المراد من علوّ الجنّة في قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّة عَالِيَة﴾؟

(ج) المراد من علوّها ارتفاع درجاتها وعلوّ شرفها وجلالها وغزارة عيشها فإنّ فيها الحياة الخالدة والخالية من التعب والحزن، ومن جلال شأنها أنّ الساكن فيها لا يسمع لاغية وفيها عيون جارية و ﴿وَفَاكِهَة مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * ولَحْمِ طَيْر مِمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.. ﴾(2).

۞ قال تعالى: ﴿لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً﴾.

(س) عندما يقول القرآن الكريم بأنّ المؤمن لا يسمع في الجنّة لاغية فهل يسمع الداخل في النار ذلك؟

(ج) فكما الجنّةُ خاليةٌ من أي لاغية، فلاشكّ ساكن النار يسمع اللغو الكثير، إذ مرّةً يتلاعن أهلها بعضهم مع بعض حيث يُلقي بعضهم اللوم والسوء على الآخر، ومرّةً أُخرى يسمع الأصوات المرعبة والكلام الذي يزيدهم أذى من قبل خازن النار والملائكة الموكّلين فيها.

---

(1) الزخرف: ٧١.

(2) الواقعة: ٢٠-٢٣.

واللاغية واللغو شيءٌ واحد قال (عزّوجلّ): ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً﴾[1].

(س) لماذا لا يوجد في الجنّة لغوٌ أوليست خالية من التكليف وأنّ للإنسان فيها ما تشتهي نفسهُ وتلذّ عينه كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك؟

(ج) بما أنّ أهل الجنّة حصلوا على هذه الدرجة والمنزلة بفعل صبرهم عن الشهوات والمحرّمات وتمسّكهم بالأوامر والنواهي الإلهية التي ترفع الإنسان إلى درجات عالية من الكمال والمعرفة والكرامة، فلهذا عندما يدخلون الجنّة لا تبتعد هذه الخصال والصفات عنهم، ولا يتحرّرون من العقل والمعرفة والايمان رغم وجودهم في دار خالية من التكليف، فأهل الجنّة لا يشتهون الظلم ولا المحرّمات ولا الكلام الساقط والغير مفيد، وأنّهم نالوا الجنّة بالجدّ والحقّ لا باللغو والباطل، وأنّ المجالس الشريفة في الدُّنيا تكون خالية من اللغو عادةً فكيف بمجلس ومنزل الله (تعالى)؟

❁ **قال تعالى: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾.**

(س) لماذا انتقلت السورة إلى التحدّث عن بعض النِّعم المادّية الموجودة في الجنّة فقالت:
﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾؟

(ج) إنّ السورة انتقلت إلى تبيين مجموعة من اللذائذ المادّية والجسدية التي سوف يجدها المؤمن في حياته الخالدة، وذلك بعد أن بيّنت اللذّة الروحانية بعدم سماع اللغو فيها.

(س) هل المراد من قوله: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ أنّ في الجنّة عيناً واحدة؟

(ج) المراد من العين جنسها فقد ذكر القرآن الكريم مجموعة متنوّعة من العيون كالسلسبيل والشراب الطهور والتسنيم.

❁ **قال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾.**

(س) لماذا أعدّ الله سُرراً مرفوعةً في الجنّة للمؤمنين بقوله: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾؟

---

(١) مريم: ٦٢.

(ج) إنّ في ارتفاع السُرُر جلالة القاعد عليها، وأيضاً لكي يرى المؤمن إذا قعد عليها جميع ما أعطاه ربّه في الجنّة من النعيم والمُلك، قال ابن عبّاس (رضوان الله عليه): هي سررٌ ألواحها من ذهب مكلّلة بالزبرجد والدُرّ والياقوت مرتفعة في السماء، قال البعض: ترتفع إلى السماء وعليها المؤمن وإلى حيث شاء الله وفيه سرورٌ للمؤمن.

۞ قال تعالى: ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾.

(س) هل هناك شرابٌ أُعدّ للمؤمنين لكي يُوضَعَ لهم في الأكواب الخالية من الخراطيم بقوله: ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾؟

(ج) نعم أعدَّ الله (عزّوجلّ) لهم شراباً ولكنّه طهور ليس كالشراب والخمر الموجود في الدُّنيا إنّهم ﴿لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنزِفُونَ﴾[1]، قيل: إنّها موضوعة على حافات العيون الجارية فإذا أرادوا الشرب يجدونها مملوءةً من الشراب.

۞ قال تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾.

(س) ما فائدة النمارق المصفوفة والزرابيّ المبثوثة بقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾؟

(ج) النمارق هي المساند أو الوسائد وكونها مصفوفة هي اتصالها مع بعض كالمجالس الفاخرة في الدُّنيا، وفائدة هذه النمارق هو للاتّكاء أو الاستناد عليها، والزرابي هي البسط الفاخرة المنتشرة على أرض الجنّة المُعدّة للزينة والراحة، والمبثوثة أي المبسوطة وذلك لأجل القعود عليها.

۞ قال تعالى: ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾.

(س) ما علاقة الآيات المباركات ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ

---

(١) الواقعة: ١٩.

رُفِعَتْ و...﴾ بما سبقها من الآيات في السورة المباركة؟

(ج) لمّا حَكَمَ الله (عزّ وجلّ) بمجيء يوم القيامة وتقسيم أهلها إلى قسمين أشقياء وسُعداء، ثمّ وَصفَ حال الفريقين، عَلمَ (عَزّوجلّ) أنّه لا سبيل إلى إثبات ذلك إلاّ بواسطة إثبات الصانع الحكيم، لهذا ذكر الآيات ﴿أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ﴾ لإثبات وجود الصانع الحكيم ومتى ما ثبت ذلك ثبت القول في صحّة المعاد.

(س) هل هناك مجانسة بين الإبل والسماء والجبال والأرض ولماذا قدَّم الإبل على السماء والجبال و . . . ؟

(ج) ١- إنّ جميع المخلوقات متساوية في الدلالة على الله (تعالى) وذكر جميعها غير ممكن لكثرتها وأيّ واحد ذُكر دون غيره يبقى السؤال عائداً فوجب الحكم بسقوط هذا السؤال.

٢- لعلّه لأجل التنبيه أنّ هذا الوجه من الاستدلال غير مختصّ بنوع دون نوع بل عامّ في الكلّ ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[1] لهذا ذكر الله (عزّوجلّ) أموراً غير متناسبة ومتباعدة لأجل التنبيه على أنّ جميع الأجسام صغيرها وكبيرها عاليها وسافلها حسنها وقبيحها متساوية في الدلالة على الله (عزّوجلّ).

٣- قيل: بما أنّ السورة مكّية وأوّل من تُلي عليهم القرآن هم عرب البادية، لذا فليس معهم إلاّ الإبل والأرض التي يطؤوها والسماء التي فوقهم والجبال التي يرونها.

٤- وقيل: للمنافع والعجائب الموجودة في هذه المخلوقات منها الإبل.

(س) ما هي بعض مميّزات وخصائص الإبل بحيث ذكره الله (تعالى) مع ذكره للسماء والجبال والأرض؟ ومن ثمّ دعانا إلى النظر والتأمّل فيها؟

(ج) يُستفاد منها في الركوب وحمل الأمتعة ويُستفاد أيضاً من لحمها ولبنها وأوبارها وجلودها، إلى جانب ذلك تمتاز بمميّزات تنعدم في غيرها من الحيوانات منها:

١- أنّها قليلة التكاليف تصبر على الجوع والعطش والتعب لمدّة اسبوع.

---

(١) الاسراء: ٤٤.

٢- تأكل ما لا يأكله سائر الحيوانات.

٣- ذلول يقودها الصغير فتنقاد له.

٤- تنهض بحملها وهي باركة.

٥- قادرة على أن تمشي يومياً خمسين فرسخاً.

٦- تمشي في الرمضاء وفي الثلوج المغطّية للطريق دون أن تضلّه حتى في الليلة الظلماء.

٧- لا تنسى الطريق الذي مشته مرّة واحدة، وغير ذلك من المميّزات فلا عجب أن تُعدّ في عداد الأرض والجبال والسماء التي هي من آيات الله البيِّنات.

۞ قال تعالى: ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾.

(س) ما هي الأُمور التي يجب أن تتبادر إلى ذهن الإنسان عند النَّظر إلى السماء كما قال (عزّوجلّ): ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾؟

(ج) الذي يجب أن يتبادر إلى ذهن الإنسان هي كيف رفعت؟ والذي يدلّ على أنّها ما كانت مرفوعة في السابق، ماذا كانت إذاً أوّلاً؟ وكيف انقسمت إلى سبع سماوات؟ وكيف انتشرت فيها النجوم بلا عَدَد وعَمَد وما هي فوائدها؟ ولماذا نراها زرقاء اللون وما فائدة لونها الأزرق؟ قال تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾[1].

(س) هل هناك عَمدٌ لهذه السماء المرفوعة؟

(ج) عن أبي الحسن الرضا عليه السلام (عن أحد السائلين) قال: قلت له: أخبرني عن قوله ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾[2] فقال عليه السلام: هي محبوكة إلى الأرض وشبَّكَ بين أصابعه، فقلت: كيف تكون محبوكة إلى الأرض والله يقول: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[3]، قال عليه السلام: فَثَمَّ عَمَدٌ ولكن لا ترونها. والله (سبحانه وتعالى) هو العماد الأوّل

---

(١) الطلاق: ١٢.

(٢) الذاريات: ٧.

(٣) الرعد: ٢.

والأخير في كلّ صغيرة وكبيرة، قال (تعالى): ﴿ويُمْسِكُ السَّمَاء أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إلاَّ بِإذْنِهِ﴾[١].

۞ قال تعالى: ﴿وإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾.

(س) كيف نُصبت الجبال وما الفائدة من نصبها؟

(ج) نُصبَت الجبال وذلك ممّا تساقط عليها من السماء، وما تدفّقت عليها نتيجة البراكين، وما تجمّدت عليها إثر الأمواج الناتجة عن دوران الأرض... كما سُئلَ الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «ممَّ خُلقت الجبال؟ قال: من الأمواج» وعلّها تعمّ الأمواج الجوّية السماوية والجوفية والسطحية للأرض، وأمّا من فوائد الجبال:

١- تثبيت الأرض، قال (عزّوجلّ): ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً * وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾[٢].

٢- إنّها متاع ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعاً لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾[٣].

٣- ملجأ للتخلّص من الطوفان إذا شاء الله (عزّوجلّ) ذلك: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾[٤].

٤- وُجودُ الكهوف مأوى للمؤمنين والمجاهدين فراراً من الظالمين، قال (عزّوجلّ): ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً﴾[٥].

٥- إنّها آية تدلّ على عظيم قدرة صانعها (جلّ وعلا).

(س) قوله (عزّوجلّ): ﴿أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ دعوة إلى جميع الناس في النظر إلى هذا المخلوق وغيره من المخلوقات، ولكن هناك الكثير من الناس في زماننا الحاضر ممّن لم يرَ الإبل في حياته ولم يستطع ذلك وخصوصاً في زمننا الحاضر الذي أخذ

---

(١) الحج: ٦٥.

(٢) النبأ: ٦ و ٧.

(٣) النازعات: ٣٢ و ٣٣.

(٤) هود: ٤٢.

(٥) الكهف: ٩.

الناس يعيشون في الأبنية العالية، فكيف تتوجّه الآية إليهم وهم لا يرون هذا المخلوق؟

(ج) لاشكّ هناك الكثير من الناس ممّن لا يرى الإبل في حياته أبداً، ولكن بفعل نعمة القلم والبيان الذي وضعها الله (عزّوجلّ) بين يديّ خلقه جعلته يعرف الكثير الكثير من هذا العالم والمخلوقات الموجودة فيه من دون أن يراها ومنها الإبل التي هي آية كبرى تدلّ على عظمة الله (عزّوجلّ).

۞ قال تعالى: ﴿وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾.

(س) ما هو المراد من تسطيح الأرض في قوله (عزّوجلّ): ﴿وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾؟

(ج) المراد من تسطيح الأرض هو تسويتها وتبسيطها بحيث يمكن المشي والسكن عليها والقيام بالفعّاليات الحياتية الأُخرى من الصناعة والزراعة، بعد أن كانت محترقة ملتوية شموس لا تذلّ لراكب ولا تحنّ لساكن، قال (تعالى): ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [1] إذاً فالمراد من تسطيح الأرض هو جعلها ذلول بعد أن كانت منقبضة.

۞ قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾.

(س) ما علاقة قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ بما سبقه من الآيات في السورة المباركة؟

(ج) إنّه (عزّوجلّ) ذكر انقسام الناس إلى قسمين في يوم الآخرة وذكر شواهد على ذلك بإثبات صانعها العظيم فلهذا أمر الله (عزّوجلّ) رسوله الكريم محمّدﷺ بتذكير الناس بهذه الحقائق الواضحة والساطعة وأن يُديم على ذلك فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين.

(س) هل التذكير منحصرٌ في الآيات الافاقية أم بالآيات الأُخرى أيضاً؟

(ج) لاشكّ أنّ الرسولﷺ يُذكّرُ الناس بجميع الآيات التي وُضعت بين أيديهم لأجل توصيلهم إلى الله (عزّوجلّ) والتي منها الآيات الافاقية والأنفسية والرسالية والرسوليّة

(١) الملك: ١٥.

والفطرية والعقلية. ومحصّلة تذكيرات الرسول هو الدعوة إلى أنّ ربَّهُم الله (عزّوجلّ) ولا ربّ سواه.

(س) قوله (عزّوجلّ): ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ تُبيِّنُ وظيفة ومهمّة الرسول ﷺ ولكن أليست هناك آيات كثيرةٌ تبيّن أنّ مهمّة الرسول التبشير بالجنّة والتخويف من النار وهكذا تزكيتهم وتعليمهم الكتاب والحكمة، فكيف تحصر الآية مهمّة الرسول ﷺ بالتذكرة فقط؟

(ج) لاشكّ أنّ التبشير بالجنّة وتزكية الناس وتعليمهم هي من مهامّ الرسول ﷺ ولكن المهمّة الكبرى والأساسية هي إنذار الناس من وخامة السير في الطريق المنحرف والباطل، ولهذا جاءت آيات مستقلّة تخاطب الرسول في القيام بمهمّة الإنذار كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ﴾[1] ولا توجد آية تدعو الرسول ﷺ بتبشير الناس فقط وذلك لأنّ الإنذار والتخويف أوقع في القلب من التبشير، ولهذا جاءت الآية المباركة بالتذكير رجاء أن يستجيبوا ويؤمنوا من غير إكراه وإلجاء.

❁ قال تعالى: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾.

(س) قوله (عزّوجلّ): ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾ ماذا يقول للرسول ﷺ؟

(ج) الآية المباركة تقول للرسول ﷺ إنّك لست عليهم بمتسلّط ومسيطر في عملية الهداية إذ ليس عليك إجبارهم وإكراههم على الإيمان ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[2]، ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ..﴾[3].

(س) هل لا يمتلك الرسول ﷺ أيّ سيطرة على الناس؟

(ج) الرسول ﷺ لا يمتلك السيطرة الإيمانية على الناس ولكنّه يمتلك سيطرات أخرى عليهم

(١) المدّثر: ١ و ٢.
(٢) يونس: ٩٩.
(٣) البقرة: ٢٧٢.

مثل معاقبة المعتدي وإقامة الحدود بين الناس ومحاربة الكفّار المعتدين والمعاندين: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ...﴾ (١).

۞ قال تعالى: ﴿إِلاَّ مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾.

(س) متى يجب على الرسول ﷺ والرسالي الانقطاع عن إنذار المُعرض والكافر، كما قال (عزّوجلّ): ﴿إِلاَّ مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾؟

(ج) لاشكّ أنّ تولّي وإعراض الكافر إنّما يكون بعد التذكرة، فإنّ تذكرة الرسول ﷺ لجميع الناس ولكن ينقطع دوامها مع إعراض الكافر بينما تستمرّ مع المؤمنين إذ أنّهم يرون الخير والزيادة والنور في استمراريّتها لهم.

۞ قال تعالى: ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ﴾.

(س) هل هناك عذاب أصغر وأوسط يراه الكافر المعرض، قبل ملاقاته للعذاب الأكبر الذي أعدّه الله (عزّوجلّ) في يوم القيامة، كما تقول الآية الشريفة: ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ﴾؟

(ج) الآية الشريفة تلمح إلى أنّ الكافر المعاند يرى عذاباً أصغر وأوسط قبل العذاب الأخروي الكبير إذ أنّ العذاب الأصغر يكون بفعل جهاد النبيّ ﷺ والمناضلين المؤمنين الذي معه ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ...﴾ وهكذا من جهاد الإمام المهدي المنتظر (عجّل الله فرجه)، ثمّ هناك عذاب أوسط يراه في البرزخ قبل انتقاله إلى الحياة الأخيرة.

(س) قد يطرأ سؤال في ذهن البعض عن كيفيّة محاسبة الله للخلق على كثرتهم وكيف يحاسبهم وهم لا يرونه؟

(ج) في النهج سُئل الإمام أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام): كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم؟ قال: كما يرزقهم على كثرتهم، قيل: فكيف يحاسبهم ولا يرونه؟ قال: كما يرزقهم ولا يرونه.

---

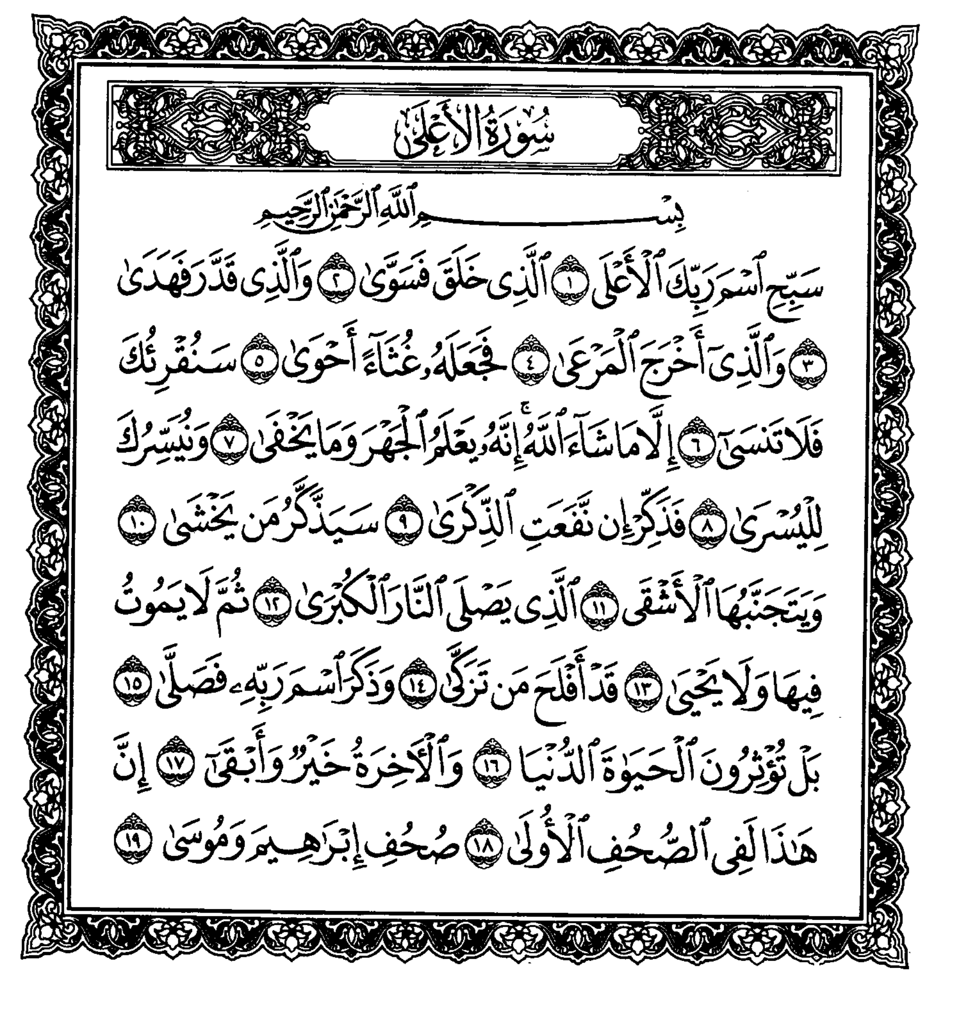
(١) التوبة: ٧٣.

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾.

(س) في رواية عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام أنّه قال: يا سماعة إلينا إياب هذا الخلق، وعلينا حسابهم. . . » وفي زيارة الجامعة عن الإمام الجواد عليه السلام أنّه قال: «وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم» فكيف نجمع هذا القول مع قوله (عزّوجلّ): ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾؟

(ج) في تكملة كلام الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لسماعة أنّه قال: « . . فما كان لهم من ذنب بينهم وبين الله (عزّوجلّ) حتمنا على الله (عزّوجلّ) في تركه لنا، فأجابنا إلى ذلك، وما كان بينهم وبين الناس استوهبناه منهم فأجابنا إلى ذلك وعوضهم الله (عزّوجلّ)»، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة وكّلنا الله بحساب شيعتنا فما كان لله سألنا الله أن يهبه فهو لهم، وما كان لنا فهو لهم» ثمّ قرأ الآية ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ هذه الأحاديث تثبت الشفاعة لهم عليهم السلام فالظاهر هناك إيابان وحسابان أصلٌ وفرع، فالأصل لله والفرع لهم عليهم السلام بإذنه.

سُورَةُ الأَعْلَى



فضلها:

عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «من قرأ سورة (سبح اسم ربك الأعلى) في

فريضة أو نافلة ، قيل له يوم القيامة أدخل الجنة من أي أبواب الجنة شئت» .

عن أبي خميصه عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال : صليت خلفه (خلف الإمام عليه السلام) عشرين ليلة فليس يقرء إلا «سبح اسم ربك الأعلى» فقال عليه السلام : «لو تعلمون ما فيها لقرأها الرجل كل يوم عشرين مرة ، وإن من قرأها فكأنما قرأ صحف موسى وإبراهيم الذي وفى» .

مفردات السورة:

التسبيح : التنزيه .

الخلق : خلق الشيء جمع أجزائه .

التسوية : وضع الشيء في موضعه الذي يليق به ويعطي حقّه .

الغُثاء : ما يقذفه السيل على جانب الوادي من الحشيش والنبات .

الأحوى : الأسود .

القراءة : ضمّ الحروف والكلمات بعضها إلى بعض ، ويدلّ عليه أنّ الذي يتفوّه بحرف واحد لايُقال له إنّه قرأ .

الجهر : كمال ظهور الشيء كحاسّة السمع والبصر .

الأشقى : الشقاوة خلاف السعادة ، والمراد بها في السورة هو الذي ليس في قلبه شيءٌ من خشية الله (عزّوجلّ) .

الصُّحُف : جمع صحيفة ، وهو المبسوط من الشيء دون خفاء .

موضوع السورة:

السورة تأمرُ المكلّفين بتوحيد الله (سبحانه وتعالى) على ما يَليقُ بساحته المُقدّسة وتنزيه ذاته المتعالية من أن يذكر مع اسمه اسمُ غيره أو يُسند إلى غيره ما يجب أن يُسَنَدَ إليه كالخلق والتدبير والرزق ، والسورة تُوعدُ الرسول صلى الله عليه وآله بتأييده بالعلم والحفظ وتمكينه من الطريقة التي هي أسهل وأيسر للتبليغ ، ومطالب أخرى تذكره السورة المباركة منها أنّها تأمر الرسول صلى الله عليه وآله بالتذكرة وذلك إن كانت نافعة .

❖ ❖ ❖

الأسئلة والأجوبة

۞ قال تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾.

(س) ما هو التسبيح؟ وفي أيّ الأُمور يجب أن نسبِّح الله (عزّوجلّ)؟

(ج) التسبيح هو التنزيه عمّا لايليق، وتنزيه الله تعالى يكون في ذاته وصفاته وأفعاله فتسبيح الذات هو تقديسها عن ذوات الممكنات فذاته خلوٌ من ذوات المخلوقين كما أنّ ذواتهم خلوّ من ذاته، كما عن الإمام الرضاعليه‌السلام: «لا هو من خلقه ولا خلقه فيه..».

(س) تأمر السورة المباركة المؤمنين بتنزيه الاسم فما هو المراد من الاسم في الآية المباركة: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾؟

(ج) الاسم منه لفظيّ ومنه وصفيّ ومنه عينيّ، فعند ذكر اسم لفظي ليدلّ عليه فلابدّ من تسبيحه عن أسماء المخلوقين الدالّ على النقص والحدوث ﴿وَلله الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ..﴾ [1]، والأسماء الوصفية هي صفاته فلابدّ من تسبيحه في صفاته عن صفات المخلوقين، فهو تعالى عليم وقدير وحيٌ وكذلك الإنسان ولكن شتّان الفرق بين الله وبين الإنسان، إنّه (تعالى) لا يجهل ولا يعجز ولا يموت ولكن الإنسان يُصيبه ذلك، وأسماؤه العينية هي مخلوقاته وكلّها تدلُّ عليه.

(س) ما المراد من العلوّ في الآية الشريفة ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ فهل في الكون أرباب عدّة هو أعلاهم؟

(ج) هناك قوى روحية ملائكية وبشرية تُرَبّي ولكنّها ليست مستقلّة أو مفوّضة بالتدبير من دون الاعتماد على الله (عزّوجلّ) وهكذا القوى المادّية فإنّها تُربّي بإذن الله (عزّوجلّ)

---

(١) الأعراف: ١٨٠.

أيضاً، وقوله (الأعلى) هو الذي يعلو كلّ عال ويقهر كلّ شيء، وهي بمنزلة التعليل لما قبلها من الآية أي سبّح اسم ربّك لأنّه الأعلى.

۞ قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾.

(س) ما علاقة قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ بما سبق؟

(ج) إنّه (عزّوجلّ) لمّا أمر بالتسبيح، فكأنّ سائلاً قال: الاشتغال بالتسبيح إنّما يكون بعد المعرفة، فما هو الدليل على وجود الربّ؟ فقال (عزّوجلّ): ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾.

(س) قوله (تعالى): ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ تعليلٌ للأمر بالتسبيح وأنّه الدليل على وجوده (عزّوجلّ) لماذا استخدم الباري (جلّ وعلا) هذه الطريقة في الاستدلال دون غيرها؟

(ج) وذلك لأنّ هذا الاسلوب هو الأنجح والأفضل، إذ الإنسان يتمكّن من مشاهدة ذلك والاطّلاع عليه، وهذا الاسلوب اعتمد عليه الأنبياءعليهم السلام في الدعوة إلى الله (تبارك وتعالى) فكما حكى عن إبراهيمعليه السلام أنّه قال: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِي * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي..﴾[1]، ونرى موسىعليه السلام يقول لفرعون لما سأله عن ربّه، قال: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[2]، وقال (عزّوجلّ) لنبيّه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ..﴾ وقال: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ وهو إشارة إلى الهداية بعد أن أشار إلى الخلق، فلاشكّ أنّها أقوى في الدلالة على الله (عزّوجلّ) من غيرها.

(س) ما هو المراد من التسوية في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾؟

(ج) المراد من التسوية الموجودة في المخلوقات هو جعلها متساوية بحيث يوضع كلّ جزء في

(١) الشعراء: ٧٨ و ٧٩.

(٢) طه: ٥٠.

موضعه الذي يليق به كوضع كلّ عضو من أعضاء الإنسان فيما يناسبه من الموضع، لكي يؤدّي دوره بالشكل الكامل، وهذه الآية برهانٌ على ربوبية الله تعالى المطلقة.

(س) هل التسوية تشمل جميع المخلوقات، أم جزءاً منها؟

(ج) يحتمل أن تشمل الإنسان والحيوان وكلّ المخلوقات وهو الأكمل.

(س) ما هو الدليل على أنّ المراد من التسوية في قوله ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ هو الإنسان، فما هي الامتيازات التي يمتلكها دون غيره من المخلوقات؟

(ج) أحدها: جعل قامته مستوية وخلقته حسنة، كما قال (عزّوجلّ): ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيم﴾[1]، ثانياً: كلُّ حيوان مستعدٌّ لنوع واحد من الأعمال فقط وغير مستعدّ لجميع الأعمال، بينما يستطيع الإنسان القيام بالكثير من الأعمال أو بجميعها وذلك للاستعداد الكبير الذي يمتلكه. ثالثاً: إنّه يمتلك العقل وبه استطاع الاستفادة من القلم للتدوين والكتابة، رابعاً: أنّه الوحيد من بين المخلوقات الذي يرفع الطعام إلى فمه.

۞ قال تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾.

(س) ما هو التقدير الذي جعله الله (عزّوجلّ) في مخلوقاته بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾؟

(ج) جعل الله التقدير والحدود المعيّنة في ذوات وصفات وأفعال الأشياء التي خلقها، بحيث لا تتعدّاها، وجهّزها بما يناسب ما قدَّر لها وهداها إلى ما قدّر.

(س) ما نوع الهداية التي جعلها الله (عزّوجلّ) في مخلوقاته بقوله: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾؟

(ج) إنّها الهداية التكوينية وليست التشريعيّة التي تخصّ الإنسان بما يمتلك من إرادة واختيار كاملين فالمخلوقات جميعها تسلك الطريق السليم لحياتها ونموّها بهداية ربّانية تكوينيّة، كالطفل يهتدي إلى ثدي أُمّه والذكر إلى الأنثى وهكذا، قال (تعالى): ﴿رَبُّنَا الَّذِي

---

(١) التين: ٤.

أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[١]، ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾[٢].

❁ قال تعالى: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾.

(س) ما هو المرعى الذي أخرجه الله (عزّوجلّ) بعد خلقه للمخلوقات، إذ قال: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾؟

(ج) المرعى هو ما ترعاه أو ما تأكله الدواب ومنها الإنسان، ما دام النبات خضراً أو يابساً، ثمّ يجعله الله غثاءً أحوى وهو اليابس الأسود من الحشيش والنبات والذي تقذفته السيول على الوديان، أو في بطون الأرض، ومنه الفحوم الحجرية التي تصنعها يد القدرة الإلهية، ومنها الفحوم الأُخرى التي يصنعها الإنسان وهي أيضاً من صنع الله (عزّوجلّ).

❁ قال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾.

(س) الغثاء الأحوى هو المقذوف من الحشائش والنباتات بعد اتّصافها بالسواد الشديد، فهل هناك فائدة منه؟

(ج) كما أنّ المرعى مفيدٌ فكذلك الغُثاء الأحوى، إذ فيه حرارة تُستخدم للدفء والطبخ، فالفحم الحجري والفحوم الخشبية هي من الغُثاء الأحوى، ويستخرج منه الغذاء اللذيذ كما اخترع أخيراً[٣].

(س) كيف يتوضّح لنا أمر حفظ النبيّ ﷺ للقرآن المُنزل بصورة سريعة، كما قال (عزّوجلّ): ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى﴾؟

(ج) قيل: وذلك بأن يشرح الله (عزّوجلّ) صدره ويقوّي خاطره بحيث يتمكّن من حفظه بالمرّة الأُولى حفظاً لا ينساه، ثانياً: إنّه تعالى لمّا أمره في أوّل السورة بالتسبيح فكأنّه

---

(١) طه: ٥٠.

(٢) عبس: ٢٠.

(٣) راجع تفسير الفرقان، ج٣٠، ص٢٨٥.

تعالى قال : واظب على ذلك واستمرّ عليه فإنّا سنقرئك القرآن ونجمعه في قلبك ونيسّرك لليسرى وهو العمل به .

❁ **قال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تنسَى﴾.**

(س) هل تدلّ الآية ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى﴾على المعجزة؟

(ج) إنّ الآية المباركة تدلّ على المعجزة من وجهين :

١ – إنّه ﷺ كان رجلاً أُميّاً فحفظه لهذا الكتاب العظيم من غير دراسة ولا تكرار ولا كتابة فهو أمر خارق للعادة ، لذا فهو معجزة .

٢– هذه السورة من أوائل ما نزل بمكّة ، و(الآية) إخبارٌ عن أمر عجيب مخالف للعادة سيقع في المستقبل وقد وقع ، فهو إخبارٌ عن الغيب والمستقبل لذا فهو معجزة .

(س) ما هوالمراد من إقراء النبيّ ﷺ في قوله (عزّوجلّ) : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى﴾؟ وهل إقراءهُ كإقراء بعضنا بعضاً؟

(ج) ليس إقراء الله (عزّوجلّ) لنبيّه القرآن كإقراء بعضنا لبعض باستماع الْمقرء لما يقرؤه القارئ ثمّ يصلح له ما أخطأه وما لا يحسنه ، فلم يعهد من النبيّ ﷺ أن يقرأ شيئاً من القرآن ولا يحسنه ، إذن فمعنى قوله هو سنعلِّمُك القرآن حتّى تحفظه .

(س) هل كان النبيّ ﷺ ينسى ما كان يُنزل عليه من القرآن ، لكي يحتاج إلى تمكين إلهي في عدم النسيان ، وهل يتناسب هذا مع عصمته العالية؟

(ج) يروى ان النبيّ ﷺ كان يُجهد نفسه في حفظ ما ينزل عليه حتّى نزلت الآية المباركة ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى﴾ لتُبشِّرهُ برفع عناء الحفظ ولتريحه وتطمئنهُ على القرآن بحفظه في قلبه وعلى لسانه .

في الدرّ المنثور عن ابن عبّاس قال : كان النبيّ ﷺ يستذكر القرآن مخافة أن ينساه فقيل له : كفيناك ذلك ونزلت : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى﴾ .

(س) هل هناك ضرورة وفائدة في عدم نسيان ما أنزل من الآيات على النبيّ ﷺ ؟

(ج) إنّ عدم النسيان أو الحفظ لما أُنزل عليه هو العامل المهمّ الذي يجب أن يتمتّع به ﷺ

وذلك لأجل التبليغ والدعوة إلى الله (عزّوجلّ).

(س) هل في الآية المباركة ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى﴾ زيادة وكمال لشخصية النبيّ ﷺ؟

(ج) لاشكّ أنّ الآية تزيد في شخصية النبيّ ﷺ ورسالته كمالاً وأمانةً وصدقاً، فالآية تُوقف المغرضين من المبشِّرين والمستشرقين وغيرهم في التزمير والتطبيل الشيطاني، بأنّه ﷺ نَسيَ شيئاً من القرآن.

۞ قال تعالى: ﴿إِلاَّ مَا شَاء اللهُ﴾.

(س) لماذا جاء استثناء المشيئة الإلهية في تحفيظ القرآن للنبيّ ﷺ، حيث قال (عزّوجلّ): ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى * إِلاَّ مَا شَاء اللهُ﴾؟

(ج) جاء الاستثناء لإفادة بقاء القدرة الإلهية على إطلاقها، إذ أنّ هذه العطية التي أعطاها لرسوله الكريم ﷺ لا تنقطع عنه بحيث لا يقدر بعدها على إنساءه، بل أنّ قدرته (عزّوجلّ) باقية على إطلاقها إن شاء يُنسي نبيّه متى شاء أو كان لا يشاء ذلك، فالاستثناء نظير الاستثناء في قوله (عزّ وجلّ): ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[1].

(س) هل يمكن القول: بأنّ المراد من الاستثناء في قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى * إِلاَّ مَا شَاء اللهُ﴾ هو إخراج بعض أفراد النسيان من عموم النفي، أي أنّه (عزّوجلّ) يُنسي نبيّه ما شاء؟

(ج) إنّ الآية جاءت لتخصّ النبيّ ﷺ وبلحن الامتنان في عدم النسيان لما يُقرأُ عليه، وأنّ كلّ إنسان يحفظ شيئاً ثمّ ينساه، فإذا نسي النبيّ ﷺ شيئاً بعدما حفظه فلا وجه للامتنان الخاصّ الذي تصرح به الآية للنبيّ ﷺ.

(س) ما علاقة قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى﴾ بقوله: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ *

---

(١) هود: ١٠٨.

إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ﴾[١] وقوله: ﴿ولاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[٢]؟

(ج) بعد أن تأيّد أنّ النبيّ ﷺ كان يقرأ بعد فراغ جبرئيل عليه السلام من الوحي وذلك مخافة النسيان، فلمّا نزلت الآية ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنْسَى﴾ لم ينس بعده شيئاً، لذا يقربُ من الاعتبار أنّ الآية ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَتَنسَى﴾ هي النازلة أوّلاً ثمّ قوله: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾، ثمّ قوله: ﴿وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ وكان ﷺ يعجل بالقراءة شوقاً وتلهّفاً فلذا أُمر بعدم الاستعجال بالقرآن من قبل إتمام الوحي، إذ أنّ في إتمام الوحي الزيادة في العلم.

(س) ما علاقة قوله (عزّوجلّ): ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ بقوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى﴾؟

(ج) الآية (إنّه يعلم. . .) في مقام التعليل للآية التي سبقتها ألا وهي (سنقرئك. . .) فيكون المعنى بصورة مجموعة للآيتين هو (سنصلح بالك في تلقّي الوحي وحفظه لأنّا نعلم ظاهر الأشياء وباطنها، منها إنّا نعلم ظاهر حالك وباطنه وما أنت عليه من الاهتمام بأمر الوحي والحرص على طاعته فيما أمر به.

۞ قال تعالى: ﴿ونُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾.

(س) لماذا قال (عزّوجلّ) لنبيّه: ﴿ونُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ ولم يقُل: «ونيسّر لك اليُسرى»؟

(ج) لأنّ الحديث حول تهيئة وتجهيز الله (عزّوجلّ) لنَفسِ نبيّه الشريفة ﷺ وجعلها صالحة وكاملة لأجل تأدية الرسالة ونشر الدعوة.

(س) ما هي اليُسرى التي وَعَدَ الله (عزّوجلّ) رسوله ﷺ بها؟

(ج) إنّه اليسرى في تطبيقه إذ سوف يجد أيسر الحياة حتّى في أعسر الظروف والمجالات، أو

---

(١) القيامة: ١٦ و ١٧.

(٢) طه: ١١٢.

اليسرى هي أعمال الخير التي تؤدّي إلى اليُسر، وقيل: إنّها معطوفة على ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى﴾ أي نوفّقك للطريقة التي هي أسهل وأيسر في حفظ القرآن.

(س) هل هناك مَثَلٌ في القرآن الكريم يُوضحُ المشيئة الإلهيّة في اقراء الرسول ﷺ القرآن الكريم حيث قال: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى * إلاَّ مَا شَاء اللهُ﴾ وهل يمكن أن تكون المشيئة في إنساء الرسول ﷺ شيئاً ما؟

(ج) إنّ استثناء المشيئة هنا قد يكون كما في شُعيب عليه السلام: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ * قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنَا..﴾ [1] فهل بالإمكان ـ واقعيّاً أو عقليّاً ـ أن يشاء الله عود رسوله والمؤمنين في ملّة الشرك فإذا كان ذلك فيمكن أن يشاء نسيان النبيّ ﷺ شيئاً من القرآن بعد اقراءه، وتعالى الله (عزّوجلّ) عن ذلك.

۞ قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتْ الذِّكْرَى﴾.

(س) لماذا جاءت الآية ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ في هذا الموقع من السورة أي بعد مرور مجموعة من الآيات؟

(ج) جاء الأمر بالتذكير وذلك بعدما أُمر بالتسبيح ووعده إقراء الوحي بحيث لا ينسى، ثمّ تيسيره لليُسرى، فبعدما توفّرت فيه الشروط الضرورية التي يتوقّف عليها نجاح الدعوة الإلهية، عندها أُمِرَ بالتذكير كما قال (عزّوجلّ): ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾.

(س) أليست التذكرة والدعوة إلى الله (عزّوجلّ) هي من مهامّ الرسول ﷺ وأنّه بُعث لكافّة الناس وأنّ كتابه هدى لجميع الناس، فلماذا نرى الآية المباركة تأمُرُ الرسول بالتذكير وذلك إذا نفع حيث قال (عزّوجلّ): ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾؟

(ج) إنّ الآية تأمر بالتذكير الثاني وذلك إذا انوجدت الأرضية لها، ولا تتحدّث عن التذكير

---

(١) الأعراف: ٨٩.

الأوّل فإنّ التذكير الأوّل واجب على الرسول ﷺ لجميع الناس ومن ضمنهم المعاندين والجاحدين وذلك لإتمام الحجّة عليهم ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ..﴾[(١)]، وأنّه ﷺ أُمِرَ بالتذكير الثاني وذلك بشرط النفع وإن لم ينفع كان لغواً، وتعالى الله (عزّوجلّ) عن أن يأمر باللغو.

(س) لماذا مُنِعَ النبيّ ﷺ من التذكرة للجاحد والمعاند إذ لعلّه يتأثّر بنور الإيمان ولو بعد مدّة طويلة؟

(ج) إنّ التذكرة للشقيّ والمُعرض لا تنفع ولو استمرّت معه فترة طويلة إذ أنّه لم يُرد إلاّ الحياة الدُّنيا لهذا قال (عزّوجلّ): ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[(٢)] وأنّهم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾[(٣)].

(س) هل في الآية ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتْ الذِّكْرَى﴾ خطابٌ للعلماء والمبلّغين؟

(ج) إنّ الآية المباركة تأمر المؤمنين وعلى رأسهم الرساليّين والمبلّغين في حمل لواء التذكير حينما وجدوا فرصةً لذلك وأن يحاولوا خلقَ مجالات كثيرة للذكر بين الناس لعلّهم يتذكّرون.

(س) قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ فيه أمر بالتذكير بشرط النفع، وأنّ التعليق بالشرط يحسن في حقّ من يكون جاهلاً بعواقب الأمور، فكيف يحسن الشرط بعلاّم الغيوب؟ أو هل ربّنا (سبحانه وتعالى) لا يعلم بمن يتذكّر ومن لا يتذكّر؟

(ج) إنّ أمر الدعوة والبعثة شيءٌ وعلمه تعالى بالمغيبات وعواقب الأمور شيءٌ آخر ولا يمكن بناء أحدهما على الآخر، روي في الكتب أنّه تعالى كان يقول لموسى ﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً

---

(١) النساء: ١٦٥.

(٢) النجم: ٢٩.

(٣) البقرة: ٦ و ٧.

لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[١] وأنا أشهد أنّه لا يتذكّر ولا يخشى.

(س) إنّ الرسول ﷺ مأمور بالتذكير، فهل أنّ هذا التذكير مضبوط ومعيّن مقداره بأن يُذكّرهم مثلاً عشرات المرّات أو أقلّ أو أكثر وكيف يعرف الرسول ﷺ أنّه قضى الواجب عليه؟

(ج) إنّ الضابط في ذلك هو العرف أو حسب قناعة وقابلية الشخص في التذكير والتبليغ والله العالم.

۞ قال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾.

(س) لماذا أُمر الرسول ﷺ بتعميم الدعوة والتذكير للناس في حين إنّه لا ينتفع من الذكرى إلاّ الذين يخشون الله (عزّوجلّ) وهم العلماء بالدرجة الأولى، قال (عزّوجلّ): ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٢]؟

(ج) ١- لمّا كان الانتفاع بالذكرى مبنيّاً على حصول الخشية في القلب، لذا فإنّ صفات ودرجات توجّه القلوب إلى الله (عزّوجلّ) لا يطلع عليها أحدٌ إلاّ الله (عزّوجلّ)، لذا وَجَبَ على الرسول ﷺ والرساليّين تعميم التذكير.

٢- إنّ المعاندين والرافضين لقبول الهداية والإيمان قليلون ونادرون جدّاً فالجميع يُحبّ التوجّه إلى ربّه الحقيقي وأنّه يتوجّهُ إليه أكثر إذا سَمِعَ بأنّ هناك عقاباً وثواباً بعد هذه الحياة لذا يجب على الرسول ﷺ تعميم الدعوة والتذكير لجميع الناس.

(س) إنّ الذي في قلبه خشية الله (عزّوجلّ) فهل يحتاج إلى التذكرة أيضاً، أوَلا هو من المتذكِّرين؟

(ج) إنّ الخشية الخالية والبعيدة عن التذكرة والعلم المستمرّ لا توصل صاحبها إلى الهدف المطلوب، بل قد يخسر كاملاً، لذا فإنّ هذه الخشية تحتاج إلى التربية والتذكرة المستمرّة وذلك لأجل إنمائها حتّى يصل صاحبها إلى منزلة العلماء الثابتين عندها يحصل على

---

(١) طه: ٤٤.

(٢) فاطر: ٢٨.

الخشية الكاملة من الله (عزّوجل) لهذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

❁ قال تعالى: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى﴾.

(س) من هو الأشقى الذي تقصده الآية الشريفة ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى﴾؟

(ج) المراد من الأشقى بقرينة الآية السابقة هو الذي ليس في قلبه شيء من خشية الله (تعالى).

(س) التذكير إنّما يكون للذي قد حصل العلم أوّلاً ثمّ نسيه، وأنّ الكثير لم يحصلوا على علماً ولاسيّما الكفّار فكيف سمّى الله (عزّوجلّ) تبليغ الرسول ﷺ بالتذكير؟

(ج) قوّةُ الدلائل والآيات الكثيرة التي تدلّ على الله (عزّوجلّ) والموجودة بين يدي الناس كأنّه هو العلم الذي يمتلكه الجميع، ولكن صار عليه شيئاً من الغبار والغطاء بسبب التقليد والعناد والفساد، لذا سمّى الله (عزّوجلّ) عمل الرسول ﷺ بالتذكير والله العالم.

(س) قوله (عزّوجلّ): ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى﴾ إنّه تعالى ذَكَرَ الأشقى فهل يستدعي هذا اللفظ وجود الشقيّ وهو الأقلّ درجة من الأشقى؟

(ج) إنّ لفظة الأشقى لا تقتضي وجود الشقي، إذ قد يستخدم القرآن الكريم ألفاظاً من غير وجود مشاركة فيها، كقوله (عزّوجلّ): ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾[1]، وكقوله (عزّ وجلّ): ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾[2].

❁ قال تعالى: ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾.

(س) قال (عزّوجلّ): إنّ الأشقى سوف ﴿يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾ فهل هناك نارٌ صغرى ونارٌ

(١) الفرقان: ٢٤.

(٢) فصّلت: ٤٦.

أوسط؟

(ج) قيل: إنّ النار الكبرى هي نـار جهنّم والصغرى نـار الدُّنيا وبينهما الوسطى والتي قد تكون في عالم البرزخ وقد هُيئت للكافر، فكما أنّ ذنوب الكفّار ومعاصيهم بدرجات متفاوتة، فهناك دركات متفاوتة أيضاً من النار الكبرى في يوم القيامة سوف يصلاها الكافر والعاصي بعد أن عاش في نار الدُّنيا وهو في غفلة عنها: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾[1].

❁ قال تعالى: ﴿ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا﴾.

(س) لماذا لا يسمح للكافر بالموت وهو في نار جهنّم بعد أن فقد الحياة الطيّبة فيها مدّة من الزمن؟ إذ قال (عزّوجلّ): ﴿ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا﴾؟

(ج) إنّ الموت للكافر وهو في نار جهنّم استراحة كبرى له، فلذا لا يؤذن له بذلك وكذلك لا يجد لحظة من الحياة الطيّبة فيها، جزاءً بما كسبت يداه، قال (عزّوجلّ): ﴿لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا..﴾[2]، وأنّ المراد من نفي الموت والحياة عنه معاً هو نفي النجاة نفياً كاملاً فإنّ الكافر يجد النجاة من نار جهنّم إمّا بموته أو برفع العذاب شيئاً ما.

(س) لماذا جاءت كلمة (ثُمّ) في قوله: ﴿ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا﴾ وذلك بعد قوله تعالى: ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾؟

(ج) (ثُمّ) تشير إلى تزايد حالة الشدّة والعذاب على الكافر وذلك بعدم موته في تلك النار وعدم حصوله على لحظة نافعة فيها، فهذه الحالة أعظم من الصلي كما ذكرته الآية السابقة، ولهذا السبب جاءت كلمة (ثُمَّ) في قوله: ﴿ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا﴾.

---

(١) طه: ١٢٤.

(٢) فاطر: ٣٦.

۞ قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾.

(س) ما هو المراد من التزكّي في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ والذي به يجد الإنسان الفلاح والنجاح الكامل في الدُّنيا والآخرة؟

(ج) التزكّي هو التطهير والمراد به هو التطهّر من ألواث التعلّقات الدنيوية سواء كانت مادّية أو معنوية، بدليل قوله: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، ويتمكّن الإنسان من تزكية نفسه وذلك عن طريق الرجوع إلى الله (تعالى) والتوجّه إليه، وبهذه الوسيلة يتطهّر من الإخلاد إلى الأرض.

۞ قال تعالى: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾.

(س) ما هو المراد من ذكر اسم الربّ في قوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾؟

(ج) لعلّه تكبيرة الإحرام (الله أكبر) التي هي افتتاحية الصلاة التي تُعلن عن تزكّي صاحبها ولعلّها البسملة التي هي مفتتح الحمد، فالصلاة بدون تكبيرة وبسملة كدخول الدار من دون أخذ الإذن من صاحبها، وهذا ما يفعله البعض من فرق المسلمين أن لا يعتبرون التكبيرة من الصلاة ولا البسملة من السورة!

(س) لماذا جاء ذكر اسم الربّ والصلاة في قوله ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ هو الشرط الثاني الذي يجب أن يكون في مَن أراد الفلاح، قال (عزّوجلّ): ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾؟

(ج) إنّ الصلاة معراج المؤمن إلى الله (عزّوجلّ) وبه يملأُ قلبه بالنور والإيمان وهو الشرط الأساس الثاني بعد تخلية القلب من التعلّقات الدنيوية، فبهذين الشرطين معاً يحصل الإنسان على الفلاح الكامل، بينما يفقد ذلك عند فقدان أحدهما.

(س) هل أنّ المراد من الزكاة والصلاة في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ هي زكاة وصلاة معيّنة أم أنها تشمل جميع أصناف الزكاة والصلاة؟

(ج) لاشكّ أنّها تشمل مختلف أصناف الزكاة والصلاة، عن النبيّ ﷺ: «... وذكر اسم

ربّه فصلّى : هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بمواقيتها» إذ تحتمل أيضاً إخراج زكاة الفطرة وصلاة العيد ، ويحتمل صلاة الميّت كما رُوي .

۞ قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.

(س) قوله (تعالى) : ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ لمَن وُجِّهَ؟

(ج) إنّ الخطاب مُوجّهٌ لعامّة الناس لما يدعو إليه طبعهم البشري من التعلّق بالدُّنيا والاشتغال بتعميرها .

(س) لماذا سُمّيت هذه الحياة بالدُّنيا؟

(ج) لأنّ كلّ ما فيها دان وهابط فلا يجد الإنسان فيها لذّة إلاّ وإلى جانبها غصّة وألم ومعاناة ، ويبقى الإنسان ملازماً للمشاقّ إلى أن يخرج من هذه الدُّنيا ، لهذا قال (عزّوجلّ) : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ ، وقال رسول الله ﷺ : «حُبُّ الدُّنيا رأسُ كلّ خطيئة» .

۞ قال تعالى: ﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾.

(س) قال (عزّوجلّ) : ﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ فهل في الدُّنيا خيرٌ وبقاء لكي تُقاس بالآخرة ، وأنّه (عزّوجلّ) عَدَّ الآخرة أبقى وهي باقية أبدية في نفسها؟

(ج) يوجد خيرٌ في الدُّنيا ولكن إذا أُريد به الله (عزّوجلّ) والآخرة وإلاّ فلا ، ولأنّ الآية في مقام الترجيح بين الدُّنيا والآخرة لذا يكفي في ترجيح وتفضيل الآخرة على الدُّنيا بأنّها خيرٌ وأبقى بقطع النظر عن كونها باقية أبدية .

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّ هذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى﴾.

(س) قوله تعالى : ﴿إِنَّ هذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى﴾ إلى أيّ آية تُشير من السورة المباركة؟

(ج) روي أنّ الآيات الأربع الأخيرة هي في الصحف الأولى ، وقيل : إنّه من باب التطبيق بل المشار إليه هو كلّ ما في السورة ، فالصحف الأولى تصدق ما في هذه السورة من خير

لنبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم[1].

۞ قال تعالى: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾.

(س) قوله تعالى: ﴿إِنَّ هذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ هل أنّ جميع الصحف الأُولى هي ما جاء به إبراهيم وموسى عليهما السلام؟

(ج) إنّ صحف إبراهيم وموسى (على نبيّنا وآله وعليهما السلام) من الصحف الأولى وليست كلّ الصحف.

(س) هل أنّ القرآن الكريم هو ما جاء به الأنبياء من قبل وأنّه ترجمة لتلك الصحف؟

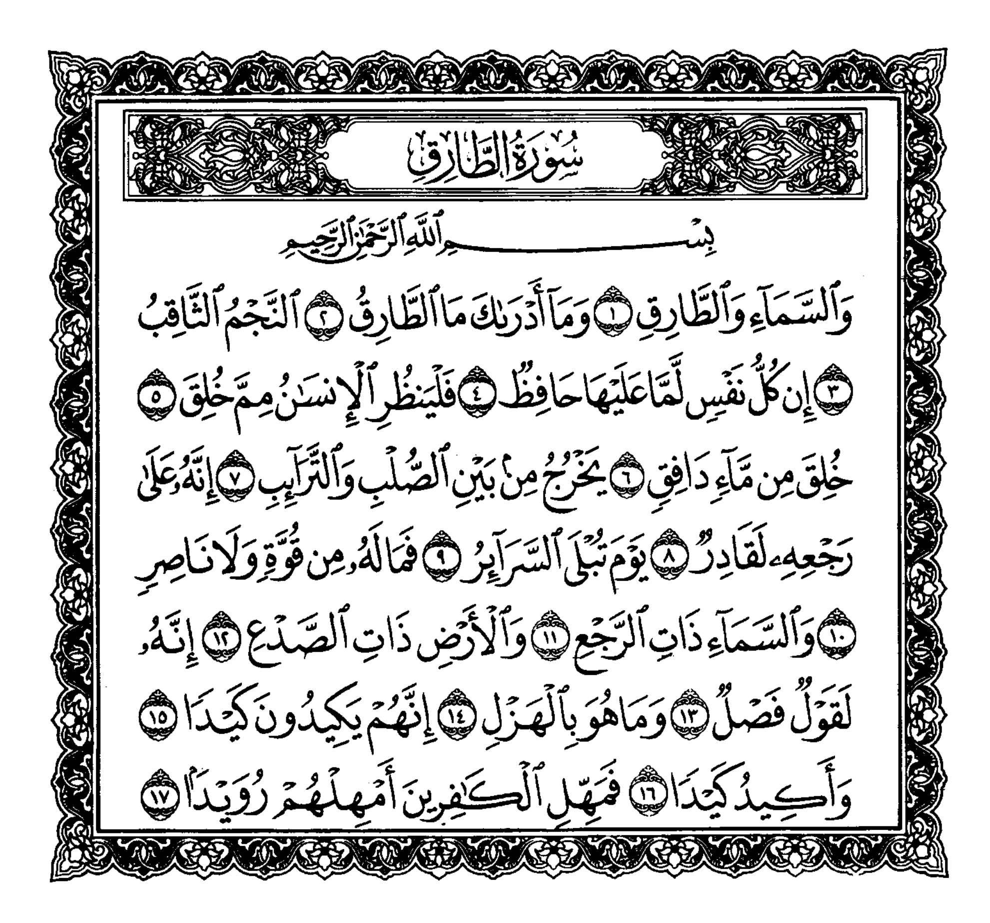
(ج) إنّ في القرآن ما جاء به الأنبياء عليهم السلام وزيادة، فيه نسخة ما في الصحف الأولى، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الأُولَى﴾[2].

---

(١) راجع تفسير الفرقان ج٣ ص٢٩٢.

(٢) طه: ١٣٣.

سورة الطارق


سورة الطارق

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق ﴿١﴾ وما أدراك ما الطارق ﴿٢﴾ النجم الثاقب
﴿٣﴾ إن كل نفس لما عليها حافظ ﴿٤﴾ فلينظر الإنسان مم خلق ﴿٥﴾
خلق من ماء دافق ﴿٦﴾ يخرج من بين الصلب والترائب ﴿٧﴾ إنه على
رجعه لقادر ﴿٨﴾ يوم تبلى السرائر ﴿٩﴾ فما له من قوة ولا ناصر
﴿١٠﴾ والسماء ذات الرجع ﴿١١﴾ والأرض ذات الصدع ﴿١٢﴾ إنه
لقول فصل ﴿١٣﴾ وما هو بالهزل ﴿١٤﴾ إنهم يكيدون كيدا ﴿١٥﴾
وأكيد كيدا ﴿١٦﴾ فمهل الكافرين أمهلهم رويدا ﴿١٧﴾

فضلها:

ابن بابويه باسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من كانت قرائته في فرائضه (والسماء والطارق) كانت له يوم القيامة، جاهاً ومنزلة، وكان من رفقاء المؤمنين وأصحابهم في

الجنة».

مفردات السورة:

الطارق: هو الآتي ليلاً سواء كان إنساناً أو حيواناً أو كوكباً أو مخلوقاً آخر، وأصل الطرق هو الضرب بشدّة يسمع له صوت ومنه المطرقة والطريق، ثمّ اختصّ بالآتي ليلاً في الغالب؛ لأنّه يجد الأبواب مقفلة فيطرقها، ثمّ شاع الطارق في كلّ ما يظهر ليلاً، ولا يكون الطارق نهاراً.

الثاقب: في الأصل هو الخارق، ثمّ صار بمعنى النَّيِّر المُضي لأنّه يثقب الظلام بنوره، ويأتي بمعنى العلو.

الدافق: المتصبّب بسرعة.

الصلب: الظهر.

الترائب: جمع تريبة وهي عظم الصدر.

الرجع: الإعادة.

تُبلى: البلاء هو الاختبار والتعرّف.

السرائر: السريرة هو ما أسرّه الإنسان وأخفاه في نفسه.

الفصل: إبانة أحد الشيئين من الآخر حتّى يكون بينهما فرجة.

الكيد: نوع من الحيلة.

الصدع: الشقّ.

موضوع السورة:

في السورة إنذارٌ بالمعاد وتستدلّ السورة عليه بإطلاق القدرة الإلهية على كلّ شيء منها حفظ جميع أعمال الإنسان، والقدرة على إرجاعه إلى حالته الأولى بعد موته وتناثر جسده، كما خلقه من قبل ولم يكن شيئاً، والسورة تشير إلى حتمية وحقيقة اليوم الآخر، وتختتم بوعيد الكفّار.

❖ ❖ ❖

الأسئلة والأجوبة

۞ قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾.

(س) لماذا وصف النجم الثاقب بالطارق بقوله: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾؟

(ج) وذلك لأنّه يبدو في الليل، أو لأنّه يطرق الجنّي أي يصكّه، فهذا النجم إلى جانب النجوم الأُخرى من المحافظين لأسرار السماء.

(س) ربُّنا (سبحانه وتعالى) عندما يقْسم بالسماء وذلك لعظمة أمرها وفائدتها، فهل هناك عظمة وفائدة في النجم الثاقب لكي يقسم الله (عزّوجلّ) به في قوله: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾؟

(ج) لاشكّ هناك فائدة في النجم الثاقب الذي ذكرته الآية الشريفة وإلاّ فإنّه (تعالى) لا يُقسم بشيء عديم الفائدة والعظمة، فمن فوائد هذا النجم أنّه من جانب يثقبُ ظلام الليل بنوره عند طلوعه، ثمّ بوجوده يُظلم الحياة على مسترقي السمع من الشياطين قال تعالى: ﴿إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾[1] فهو يحفظ الملأ الأعلى أن يُسمّع إليهم، ومن جانب ثالث هو نورٌ ودليلٌ لحياة المهتدين.

۞ قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾.

(س) ما هي العلاقة الموجودة بين السماء والطارق اللذين تُقسم بهما السورة المباركة، وبين المقسم لأجله وهو قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾؟

(ج) العلاقة هي للإشارة إلى أنّ حقيقة الحفظ الإلهي لا تختصّهما بل أنّها تعمّ كلّ نفس سواء كان بشريّ أو جنّي أو حيواني أو ملائكي حفظاً لما يصدرُ منها وما يتوجّه إليها،

(١) الحجر: ١٨.

كما أنّه حفظ السماوات والأرض ﴿إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ﴾[١].

(س) كلمةُ النفسِ في قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ تشمل جميع النفوس المخلوقة من قبل الله (عزّوجلّ) فمن هو الحافظ عليها فيما يصدرُ منها وإليها؟

(ج) ربُّنا (عزّوجلّ) هو الحافظ والقادر على ذلك دون غيره ﴿فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٢]، ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾[٣]، وقد يجعل الله (عزّوجلّ) حُفّاظاً وكلاءاً عنه في حفظ بعض مخلوقاته صادرين من أمره.

(س) من هم الحفظة الآخرون الذين يحفظون النفوس بأمر الله (عزّوجلّ) إلى جانب محافظة الله الكبرى؟

(ج) تارةً تكون الملائكة حَفَظَة للإنسان يحفظونهم في حياتهم من الأذى الخارجي أو غير ذلك صادرين من أمر الله تعالى، قال (عزّوجلّ): ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾[٤]، وقال (عزّوجلّ): ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ. كِرَاماً كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[٥]، وتارةً يكون الإنسان محافظاً لغيره بأمر الله وإرادته وأحياناً الأُمور الكونية محافظة أيضاً، وتارةً تكون مجموعة الرُّسل التي وُضعت بين يدي الإنسان لأجل إيصاله إلى ساحل النجاة والكمال في الدُّنيا والآخرة منها رسول العقل والفطرة ورسالة الكون ورسالة السماء والرسول المبعوث بالوحي الإلهي ورسول النفس التي هي آية أُخرى تحفظ الإنسان من الانزلاق في وادي المتاهات. فإذاً هناك الكثير من الحفّاظ يحفظون الإنسان وغيره بصورة مباشرة وغير مباشرة، وأنّ الهداية التكوينية

---

(١) فاطر: ٤١.

(٢) يوسف: ٦٤.

(٣) سبأ: ٢١.

(٤) الأنعام: ٦١.

(٥) الانفطار: ١١ و ١٢.

﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[1] هي نوع آخر من الحفظ الإلهي للنفوس.

(س) ماذا تحفظ الحَفَظة من النفوس التي وُكِّلت بها؟

(ج) إنّ الحَفَظَة يحفظون ذات الإنسان من الخطورات الخارجية الموجّهة إليها، ويحفظونها أيضاً من الانحراف والفساد، قال (عزّ وجلّ): ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ... ﴾[2]، وهكذا فإنّ هذه الحفظة تحفظ أعمال الإنسان وتسجّلها لتكون عليه شاهدة إلى جانب الشواهد الأُخرى قال (عزّ وجلّ): ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[3]، يوم الحساب والجزاء، وأنّ الله (عزّوجلّ) الذي هو خير الحافظين يحفظ النفوس إذا خرجت من أجسادها، وسوف يُرجعها إلى أبدانها حين إحيائها، قال (عزّوجلّ): ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ...﴾[4]، وهكذا فإنّ الحفظة يحفظون دُنيا الإنسان ورزقه وجسمه بالإضافة إلى رُوحه وآخرته (أجله).

(س) قال تعالى: ﴿فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[5]، لماذا نرى الآية تصف الخالق (جلّ وعلا) بأنّه أفضل الحافظين؟

(ج) وذلك لأنّ الله (عزّوجلّ) هو عَلاّم الغيوب وأنّه يعلم السرّ وأخفى ﴿...وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[6] فبما أنّ الله (عزّوجلّ) يعلم بالذي في السماوات والأرض وما يحتاجه لأجل

---

(١) طه: ٥٠.
(٢) الاشحزاب: ٣٤.
(٣) ق: ١٨.
(٤) الزمر: ٤٢.
(٥) يوسف: ٦٤.
(٦) الأنعام: ٥٩.

بقاءه فيوصل إليه ما ينفعه ويدفع عنه ما يضرّه، لهذا فهو خير الحافظين، والحافظون الآخرون لا يحفظون إلاّ من بعد إذنه.

(س) هل في قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ نوعٌ من التحفيز والحثّ للإنسان على السعي والاجتهاد في تحصيل المهمّات والخيرات وإعدادها لما بعد هذه الحياة؟

(ج) كما أنّ الآية المباركة تُشير إلى الحياة الأُخرى وإلى عرض الأعمال بعد أن حفظت وسجّلت على الإنسان، فكذلك تحثّ الإنسان على الاجتهاد والسعي في تحصيل أهم الأُمور التي تنفعه في دُنياه وآخرته. وقد تطابقت الشرائع والعقول على أنّ أهمّ المهمّات معرفة المبدأ والمعاد، ولهذا قال (عزّوجلّ): ﴿فَلْيَنظُرِ الإنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾.

(س) لماذا دعى الله (عزّوجلّ) الإنسان إلى النظر في خلقته الأولى قبل مجيئه إلى هذه الحياة، وذلك بعد أن قال (عزّوجلّ): ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾؟

(ج) إذا نظر الإنسان إلى مبدء خلقه وتذكّر أنّه خُلقَ من ماء دافق خرج من بين الصُلب والترائب فسوف يعترف بمجيء الآخرة وأنّ أعماله محفوظة عند ربّه وأنّه لم يخلقه عبثاً بل خلق لأجل هدف سامي، وذلك لأنّ الذي خلقه من ماء مهين يقدر على إرجاعه مرّة أُخرى.

۞ **قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الإنسَانُ مِمَّ خُلِقَ..﴾.**

(س) الآية المباركة تصفُ خلقة الإنسان من ماء واحد دافق، قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الإنسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاء دَافِق * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرائِبِ﴾ فكيف تصفه من ماء واحد في حين أنّ منشأ الإنسان من صلب الرجل وترائب المرأة؟

(ج) خُلقَ الأنسان من ماءين، ولكن الآية عبّرت بأنّه خُلقَ من ماء واحد، علّهُ بما أصبحا واحداً بعد الاختلاط والامتزاج والأمشاج ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ...﴾[1]، ولعلّ هذا من باب إطلاق اسم البعض على الكلّ، فلمّا كان أحد قسمي

(١) الإنسان: ٢.

المني دافقاً أُطلِقَ هذا الاسم على المجموع.

❁ قال تعالى: ﴿خُلِقَ مِنْ مَاء دَافِق * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾.

(س) ما هو الصلب وما هي الترائب في قوله: ﴿خُلِقَ مِنْ مَاء دَافِق * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾؟

(ج) الصلب هو الجزء المحصور من البدن بين جداريّ عظام الظهر، الذي فيه النخاع الشوكي وفيه مجمع الأعصاب، لهذا فلو انكسر الصلب أو أصيب باصطدام يُفقدُ الإنسان القدرة عندها على الجماع والتوليد، فمنشأ النطفة الرجولية هو الصلب، وإن كان المني ينحدر منه بصورة مستمرّة إلى الخصيتين، فماء الرجل يتدفّق من صلبه ومن البيضتين.

والترائب جمع تريبة وهو عظم الصدر، فالترائب هي ضلوع صدر المرأة أو مقاديم بدنها من الثديين إلى الوركين.

(س) هل كان الإنسان لا يعرف أصل خلقته ومنشأه لكي يقول القرآن الكريم له ذلك أنّه ﴿خُلِقَ مِنْ مَاء دَافِق * يَخْرُجُ...﴾؟

(ج) البشريةُ وعلى طوال تاريخها ما كانت لتعرف أنّ الجنين مخلوقٌ من هذين الماءين، بل كانوا يزعمون أنّه من ماء أبيه، أو الذكر من الذكر والأُنثى من الأُنثى، حتّى جاء القرآن الكريم وصرّح بحقيقة منشأه وحتّى أثبت العلم الحديث في منتصف القرن العشرين بأنّ في عظام الظهر الفقارية يتكوّن ماء الرجل وفي عظام الصدر العلوية يتكوّن ماء المرأة، وهذه من معاجز القرآن العظيم، إذ أخبَرَ بهذه الحقيقة قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة.

(س) إن قيل: بأنّ ماء الرجل يتكوّن في ظهره ولكن الواقع العملي في ساعة خروج المني من الرجل يدلّ على أنّ المني يتكوّن في جميع أجزاء جسمه، والدليل على ذلك حصول حالة التراخي والضعف فيه، وأنّ المُكثِرَ من الجماع يستولي عليه الضعف في جميع جسمه لاسيّما في دماغه وعينيه ورجليه، وكما ذكر بعض المختصّين أنّ المني يستقرّ ويُخزن في العروق الملتفّة بعضها ببعض في البيضة، فلماذا الآية تقول بأنّ منشأ خلقة

الإنسان من الماء الدافق الذي يخرج من بين الصلب والترائب؟

(ج) لاشكّ أنّ أعظم الأعضاء مؤونة في توليد المني هو الدماغ، وللدماغ خليفة وهو النخاع الشوكي الذي فيه مجمع الأعصاب إذ لو عطب النخاع يفقد الإنسان قدرة الإنجاب والتوليد، وأنّ للنخاع شعباً كثيرة منتشرة في جميع أجزاء الجسم ومنه إلى مقدّم البدن من المرأة وهي ضلوع صدرها، لذا فإنّ جميع الجسد يشترك في تكوين الماء لدى الرجل والمرأة ولهذا يظهر فيهما الضعف عند خروج مائهما، وما البيضتان عند الرجل إلاّ مخزنان احتياطيان للمني.

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾.

(س) كيف يدلّ النَّظر إلى كيفيّة خلقة الإنسان على وجود الله (تعالى) ومن ثمّ يدلّ بصورة قطعية على صحّة البعث والنشور؟

(ج) إنّ النظر إلى تولّد الإنسان عن النطفة يدلّ على وجود الصانع الحكيم، وذلك لأنّ وجود التركيبات العجيبة والعظيمة والكثيرة في بدن الإنسان، بعد أن كان نُطفةً بسيطة يدلّ دلالة واضحة على وجود قادر جبّار أعطى الحياة والقدرة للنطفة لكي تتحوّل إلى تراكيب كثيرة وعظيمة، وكذلك هذا الأمر يدلّ قطعاً على صحّة البعث والحشر والنشر، لأنّ حدوث النطفة إنّما يكون بسبب اجتماع أجزاء كانت متفرّقة في بدن الوالدين، بل في جميع العالم، فلمّا استطاع الخالق (جلّ وعلا) على جمع تلك الأجزاء المتفرّقة ليخلق منها إنساناً سويّاً فهو قادرٌ أيضاً على جمعه مرّةً أُخرى بعد موته وتلاشي أجزاء بدنه وجعلها خلقاً سويّاً، وبهذا يستدلّ الله (عزّوجلّ) على صحّة المعاد كما أنّه يستدلّ على المبدأ فقال: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾.

(س) لماذا لم تذكر الآية المباركة ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ الخالق (جلّ وعلا) وإنّما أشارت إليه بالضمير دون التصريح الواضح؟

(ج) إذ أنّ الخَلقَ يدلّ عليه (سبحانه وتعالى) فيكون المعنى أنّ الذي خلق قادرٌ على رجعه مرّة أُخرى، وإن لم يتقدّم ذكره لفظاً ولكن تقدّم ذكرُ ما يدلّ عليه، ولما تعرف العقول بأنّ الذي يقدر على هذه التصرّفات إلاّ الله (عزّوجلّ) لذا فهو كالمذكور، ولا يحتاج إلى

التصريح باسمه إذ يكفي الإشارة إليه بضمير.

(س) إلى ماذا يُرجع الله الإنسان بقدرته العظمى حيث قال (تعالى): ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾؟

(ج) إنّه (تعالى) قادرٌ على إرجاع الإنسان إلى أيّ مرحلة كانت من نشأته أو خلقته، فإنّ الذي قدر على بدئه لقادرٌ على إرجاعه أيضاً، قال (عزّوجلّ): ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ...﴾ [1]، الآية تتحدّث عن إرجاع الإنسان بعد موته وتلاشي جسده إلى ما كان عليه قبل موته لأجل محاسبته، فالقادر على خلق الإنسان من نطفة قادرٌ أيضاً على إحيائه وإعادته بعد الموت.

(س) هل يبقى شيءٌ من جسد الإنسان دون أن يُبلى في القبر؟

(ج) (سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن الميّت يُبلى جسده؟ قال: نعم، حتّى لا يبقى لحم ولا عظم إلاّ طينته التي خُلِقَ منها فإنّها لا تُبلى، تبقى مستديرة في القبر حتّى يُخلق منها كما خُلِقَ أوّل مرّة).

(س) ما هي الأُمور التي يُرجعها الله (عزّوجلّ) إلى الإنسان بعد موته؟

(ج) يُرجعُ إليه روحَهُ في القالب الذي كان عليه في الحياة الدُّنيا والذي عمل فيه ما عمل ليكون عليه شاهداً إلى جانب الشواهد الأُخرى، والأمر الآخر الذي يُرجعه الله (عزّوجلّ) إلى الإنسان هي الأعمال والأقوال التي صدرت منه.

۞ قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾.

(س) أين تختبئ السرائر لكي يظهرها الله (عزّوجلّ) يوم القيامة، بقوله: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾؟

(ج) السرائر تارةً تختبئ في النفس وتارةً في الأرض إذ تسُجِّل على الإنسان بعض أعماله فتبقى سرّاً إلى أن يكشفه الله (عزّوجلّ) وهناك مُسجّلات إلهية أُخرى تُسجّل على

(١) الروم: ٢٧.

الإنسان بأمر الله (عزّوجلّ) مثل الملائكة، أعضاء البدن و. . .، فمن هذه الشواهد تظهر أعمال الإنسان وأسراره.

(س) ما هي الأمور التي يمكن للإنسان إسرارها في حياته الدُّنيا بحيث يُوعده الله (جلّ وعلا) بإظهارها بقوله: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾؟

(ج) الأمور التي يسرّها الإنسان في نفسه عادةً إمّا تكون نوايا صالحة أو طالحة وشرّيرة وما يُظهره أيضاً يبقى سرّاً تسجّله المسجّلات الإلهية لتظهر له يوم القيامة فيُخبرُ بها ويُحاسب عليها بعد أن نَساها، قال (عزّوجلّ): ﴿وإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ﴾[1]، وهناك سرائر ذكرها النبيّ ﷺ في قوله عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: ضمن الله خلقه أربعة: الصلاة والزكاة وصوم رمضان والغسل من الجنابة وهنّ السرائر التي قال الله ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾. فالسرائر هي ما أسرّه الإنسان في قلبه من النيّات والعقائد وما أخفاه من الأعمال.

(س) لماذا (تُبلى السرائر) يوم القيامة؟

(ج) ليُحاسب الإنسان عليها، فما عمل من عمل وما نوى من نيّة سوف يُظهره الله (عزّوجلّ) ليجازيه عليها، قال (عزّوجلّ): ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾[2]، إذ أنّ الآخرة يوم حساب ولا عمل كما أنّ الدُّنيا يوم عمل ولا حساب.

۞ **قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ﴾.**

(س) هل يتمكّن الإنسان الدفاعَ عن نفسه بعد أن تُوضع أمامه أسراره وأعماله التي عملها في حياته الدُّنيا؟

(ج) قال (عزّوجلّ): ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ﴾ فلا يمتلك قوّة ذاتية ليدافع بها عن نفسه

---

(١) البقرة: ٢٨٤.

(٢) الزلزلة: ٧ و ٨.

ولا مُعيناً عرضياً ينصره بعد أن ظهرت أعماله وأسراره.

❁ قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾.

(س) لماذا ذكرت السورة أقساماً أُخرى إذ قال (عزّوجل): ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ وذلك بعد أن ذكرت أقساماً في بداية السورة في حتمية مجيء يوم القيامة؟

(ج) ذكرت السورة هذين القسمين إلى جانب القسمين الأوّليين لأجل تأكيد أمر القيامة والرجوع إلى الله (عزّوجل)، وأمّا رجوع السماء وانصداع الأرض دليلان آخران على حتمية مجيء اليوم الآخر أيضاً.

(س) ما هذه الصفة الرجعية التي تملكها السماء، حيث قال (تعالى): ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾؟

(ج) قيل: إنّ المراد من ذات الرجع هو ما يظهر للحسّ من سير السماء بطلوع الكواكب بعد غروبها وغروبها بعد طلوعها، وعن ابن عبّاس قال: أي ذات المطر إذ أنّها ترجع المطر مرّة بعد مرّة، وقيل: إنّها ترجع شمسها وقمرها بعد مغيبهما، وقيل: إنّها ترجع إلى ما كانت عليه أوّلاً قال (عزّوجل): ﴿...يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ [(١)]، وأنّها ترجع أماناتها الصاعدة إليها من أبخرة المياه الصاعدة وذلك من دون أي خيانة أو توقّف عن إطاعة الأوامر الإلهية.

(س) ماذا تريد الآية المباركة ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ قولَه لنا؟

(ج) الآية تقول لنا: بأنّ هذه السماء العظيمة ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ...﴾ [(٢)] لا تتوانى عن رجوعها لقيامتها ولا عن إرجاعها لإماناتها بالرغم من عظمتها فهل يستطيع الإنسان أن لا يرجع إلى ربّه (عزّوجل) أو أنّه قادرٌ على إخفاء بعض الأسرار عليه (تعالى).

---

(١) الدخان: ١٠.

(٢) النازعات: ٢٧.

۞ قال تعالى: ﴿وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾.

(س) ما هو المراد من انصداع الأرض في قوله تعالى: ﴿وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾؟

(ج) المراد من الصّدع هو الشقّ، عن ابن عبّاس قال: تنشقّ عن النبات والأشجار، فإنّ الأرض كالأمّ التي تلد، فبواسطة نُطف المياه السماوية وبالبذور المستورة في تراب الأرض تخرج مواليد النباتات ومن ثمّ الحيوانات وكلّها من بركات الله (تعالى).

(س) هل هناك صدعات أخرى تواجهها الأرض إلى جانب تصدّعها لأجل خروج النبات والأشجار؟

(ج) هناك صدعات وانشقاقات أخرى تواجهها الأرض في خلال مسيرة حياتها في هذه الدُّنيا ويوم تقوم القيامة، فمن جملة الانشقاقات التي تراها في حياتها الدُّنيا هي الزلازل التي تظهر بين الآونة والأُخرى لأسباب قد تكون صادرة من بطن الأرض وذلك بعد المشيئة الإلهية، وأيضاً تظهر البراكين فتنشق ليخرج ما تجمّع فيها، وهناك صدعات كبرها تلاقيها الأرض في حياتها الأُخرى تمهيداً لقيامتها ورجوعها إلى مولاها، فتنشقّ وتندكّ وتتزلزل وهي طائعة.

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾.

(س) ما هو الهدف من القَسَم بالسماء والأرض في قوله (عزّوجلّ): ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾؟

(ج) القَسَم جاء لأجل تأكيد الحقائق القرآنية المنزّلة وأنّ ما جاء به القرآن هو القول الفصل، الفاصل بين الحقّ والباطل وليس فيه شيءٌ من الباطل أو اللا جدّ فما يقوله حقّ لا ريب فيه وما يُبطله باطل، وما أخبر به من البعث والرجوع إلى الله (عزّوجلّ) حقّ لا ريب فيه، هذا ما تقصده الآية المباركة ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾. وقيل: إنّ الضمير في (إنّه) راجع لما تقدّم من خبر الرجوع والمعاد والوجه الأوّل أوجه.

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً﴾.

(س) قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً...﴾ ما هي صور الكيد والحيلة التي يُظهرونها على

الإسلام والرسول ﷺ؟

(ج) ١- منها بإلقاء الشبهات كقولهم: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾[١] وقولهم: ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[٢] و﴿أَجَعَلَ الأَلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[٣]، ﴿لَوْلاَ نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[٤] و﴿إِنْ هذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾[٥].

٢- ومنها الطعن بالنبيّ ﷺ بأنّه ساحر وشاعر ومجنون.

٣- ومنها كانوا يقصدون قتله كما قال (عزّوجلّ): ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ...﴾[٦].

۞ قال تعالى: ﴿وَأَكِيدُ كَيْداً﴾.

(س) الكيد هو نوعٌ من المكر والحيلة كيف يصحّ هذا الأمر من الله (سبحانه وتعالى) حيث قال: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً * وَأَكِيدُ كَيْداً﴾؟ وما هي صور كيد الله (عزّوجلّ) بالكافرين؟

(ج) إنّ مكر الله وكيده ليس كمكرهم وكيدهم الباطل، بل هو كيد حقّ جزاءً وعقاباً لهم على ما مكروا، ويكون مكر الله (عزّوجلّ) عن طريق:

١- تسجيل أعمالهم.

٢- والإملاء لهم ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[٧].

٣- وبالختم على قلوبهم.

٤- وعدم توفيقهم للصالحات لتركهم لها عمداً.

---

(١) الأنعام: ٢٩.

(٢) يس: ٧٨.

(٣) ص: ٥.

(٤) الزخرف: ٣١.

(٥) الأنعام: ٢٥.

(٦) الأنفال: ٣٠.

(٧) القلم: ٤٥.

٥- وأنّ كيده بهم يظهر أيضاً عن طريق دفع كيد الكَفَرَة عن نبيّهﷺ ومن ثمّ نصرته وإعلاء اسمه ودينه.

۞ قال تعالى: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾.

(س) كيف يُمهل الرسولﷺ الكافرين بقوله: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾؟

(ج) وذلك بأن ينتظر نزول أمر الله عليهم بالموت، وأن لا يطلب معاجلة العقوبة عليهم، فيكفيهم الكيد الإلهي بهم وهم أحياء، فمهّلهم يارسول اللهﷺ بعدم طلب الجزاء الكافي لهم فاليوم عملٌ ولا حساب، وغداً حسابٌ ولا عمل.

(س) الإمهال الذي وضعه الله (عزّوجلّ) للكافرين قليل، فما مدّة هذا القليل حتّى يُنزِل الله عليهم ما يريد وما يستحقّون؟

(ج) فلعلّ هذا الإمهال يكون إلى حين مجيء أمر الله (عزّوجلّ) بقتالهم وذلك عند توفّر المستلزمات الحربية الكافية للرسولﷺ والمسلمين، فينزل بهم انتقاماً عادلاً جزاءاً لمحاربتهم ومعاداتهم للإسلام، ومن ثمّ هناك عقاب آخر أكبر يجدونه في هذه الدُّنيا وذلك عند قيام مهدي هذه الأُمّة حيث يقتصّ ممّن محض الكفر محضاً فيدمّره تدميراً هذا بالإضافة إلى عذاب البرزخ ومن ثمّ عذاب القيامة الكبرى حيث يُلاقون الجزاء الكامل لكفرهم وفسادهم دون أن يُظلموا فتيلا.

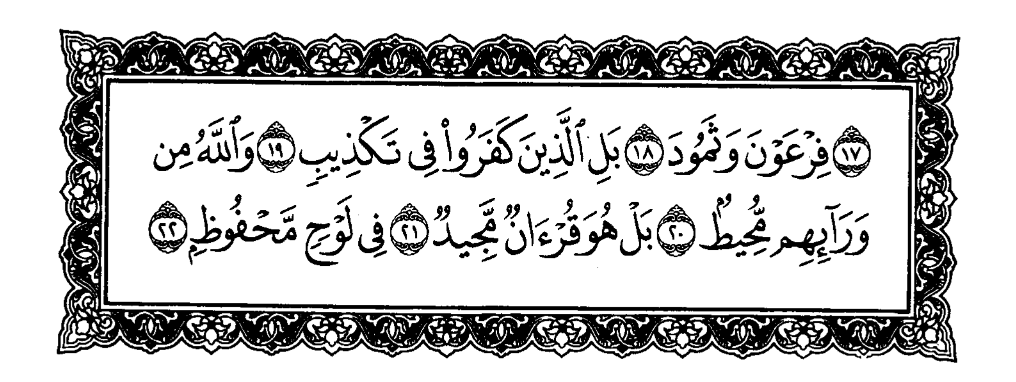
سُورَةُ الْبُرُوجِ



سُورَةُ الْبُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ
﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا
قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا
مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ
عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ
جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ
رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾
ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ



فضلها:

عن يونس بن طبيان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من قرأ (والسماء ذات البروج) في فريضة، فإنها سورة الأنبياء، كان محشرُهُ وموقفُهُ مع النبيين والمرسلين والصالحين».

مفردات السورة:

البروج: القصور العالية المتبرِّجة بالزينة.

الاخدود: شقّ في الأرض بشكل مستطيل وغائص.

الفتنة: أصل الفتن إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته.

البطش: تناول الشيء بصوله.

موضوع السورة المباركة:

في السورة إنذارٌ وتبشير ووعيد شديد للذين يفتنون المؤمنين والمؤمنات لإيمانهم بالله (تعالى) كما كان يفعل ذلك المشركون من أهل مكّة بالمؤمنين بالرسالة المحمّدية وذلك لكي يرجعوا عن إيمانهم إلى شركهم السابق فمنهم كان يرجع ومن كان يصبر، وأنّه تعالى أشار إلى قصّة أصحاب الاخدود وفيه تحريض للمؤمنين على الصبر في جنب الله تعالى، ثمّ أشار إلى حديث الجنود فرعون وثمود، وفي السورة تطييبٌ لنفس النبيّ صلى الله عليه وآله بوعد النصر وتهديد المشركين.



الأسئلة والأجوبة

۞ قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾.

(س) ما هي البروج التي يقسم بها الله (سبحانه وتعالى)؟

(ج) البروج هي القصور العالية المتبرّجة بالزينة واستعمل لها هذا اللفظ وذلك لظهورها للناظرين، وهذه البروج إمّا أن يكون مُعمّرها الله (تبارك وتعالى) أو سكّانها من العقلاء المتمدنين المخلوقين في تلك الكواكب[1].

(س) ما فائدة وجود البروج في الكواكب؟

(ج) ١- إنّها زينة قال (عزّوجلّ): ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾[2].

٢- إنّها حصون فيها القاذفات الجويّة التي تقذف مسترقي السمع من كلّ جانب ﴿لاَ يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُحُوراً وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾[3].

٣- ولعلّ هذه القصور محلّ سكن للملأ الأعلى وهي مزوّدة بمركز محافظة لهم عن سماع أسرارهم ﴿لاَ يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى﴾.

(س) هل يعود بعض هذه القصور إلى سكّان مدن السماء من الإنس؟

(ج) لعلّ بعض هذه القصور تعود لسكّان السماء من الإنس الذين خلقهم الله (عزّوجلّ) وكما سيجمعهم ويجمعنا يوم القيامة، قال (عزّوجلّ): ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾[4] وربُّنا (عزّوجلّ) قادرٌ على جمعنا معهم في هذه الدُّنيا ولعلّه يحدث ذلك عن قريب، وهذا الجمع ليس

---

(١) تفسير الفرقان: الآية.

(٢) الحجر: ١٦.

(٣) الصافات: ٨ و ٩.

(٤) الشورى: ٢٩.

ليوم الجمع كما قال صاحب الفرقان، فتارةً تكون هذه البروج إلهية وأُخرى ملائكية وأُخرى إنسية لعمّارها المتمدّنين.

(س) ما هي المناسبة الموجودة بين القَسَم بالسماء المحفوظة بالبروج وبين حقيقة الموضوع الذي تريد السورة إظهاره؟

(ج) إنّ المناسبة والعلاقة الموجودة بين القَسَم وبين ما تُريد السورة إظهاره هو هذا، فكأنّه قيل: أقسم بالسماء ذات البروج التي يدفع الله بها عنها الشياطين، إنّ الله يدفع كيد الشياطين وأوليائهم من الكافرين عن إيمان وحياة المؤمنين، ويقسم الله (عزّوجلّ) باليوم الموعود وشاهد ومشهود لبيان ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ...﴾ إلى آخر الآيتين.

(س) البروج هي القصور العالية المزيّنة فهل في الأرض بروج كما الموجودة في السماء؟

(ج) نعم، توجد في الأرض بروج ولكن بينها وبين التي في السماء فرقٌ كبير لا يعلمه إلاّ الله (سبحانه وتعالى)، قال(عزّوجلّ): ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾[1].

(س) هل جميع الكواكب ذات بروج؟

(ج) من الظاهر حسب النقل عن الكتاب والسنّة أنه ليست كلُّ الكواكب ذوات بروج وقوله (عزّوجلّ): ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ هو قسمٌ بالكواكب ذوات القصور المزيّنة والمتبرّجة بألوان الزينة، في رواية عن جابر بن عبدالله الأنصاري أنّ النبيّ(صلى الله عليه وآله) سُئل عن السماء ذات البروج فقال: الكواكب، وسُئل عن: ﴿الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً﴾[2] فقال: الكواكب، قيل: بروج مشيّدة، فقال: قصور.

---

(١) النساء: ٧٨.

(٢) الفرقان: ٦١.

۞ قال تعالى: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾.

(س) ما هو اليوم الموعود الذي يُقسم الله (عزّوجلّ) به بقوله: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ ولماذا سُمّي بهذا الاسم؟

(ج) اليوم الموعود هو يوم القيامة الكبرى وسمّي باليوم الموعود لأنّه اليوم الذي وعد الله (عزّوجلّ) فيه القضاء بين عباده.

۞ قال تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾.

(س) مَن هو الشاهد ومن هو المشهود الذي تقصده الآية المباركة في قوله: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾؟

(ج) إنّ الشهادة في (شاهد) (ومشهود) بمعنى واحد وهي الحضور مع المشاهدة، وليس المقصود من المشهود تأدية الشهادة إذ لو كان كذلك لوَجَبَ أن يقول (عزّوجلّ): «ومشهود عليه» إذ بهذا المعنى تتعدّى بعلى، فعلى هذا الأساس تنطبق كلمة (وشاهد) على النبيّ ﷺ لشهادته أعمال أُمّته ثمّ يشهد عليها يوم القيامة، ويقبل (مشهود) الانطباق على تعذيب الكفّار للمؤمنين وما فعلوا بهم من الفتنة أي الذي عُمِل في الدُّنيا من أعمال أيضاً تحضر ويشاهدها الجميع.

(س) روي عن ابن عبّاس أنّه قال: إنّ المشهود هو يوم القيامة والشاهد هو الجمع الذي يحضرون فيه، فما هو الدليل على صحّة هذا الاحتمال؟

(ج) ١- إنّه لا حضور أعظم من ذلك الحضور، إذ يجمع الله فيه خلق الأوّلين والآخرين من الملائكة والأنبياء، والإنس والجنّ.

٢- إنّه (عزّوجلّ) ذكر اليوم الموعود قبل ذكره لهذه الآية فهذا يناسب أن يكون الشهود من يحضر في ذلك اليوم من الخلائق وبالمشهود ما في ذلك اليوم من العجائب.

٣- إنّ الله (عزّوجلّ) وصف يوم القيامة بالمشهود، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ

النَّاسُ وَذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾[١] .

(س) لماذا جاءت كلمة (وشاهد) بصورة النكرة والمفرد في حين أنّ الشهود الذين سوف يشهَدُونَ على الإنسان يوم القيامة عدّة أمور وهي معروفة وأعرفها هو الله (عزّوجلّ) خالق الشُهداء فلماذا نكرة إذاً؟

(ج) إنّ الافراد والتنكير في «وشاهد» لا يعني بأنّ الشاهد واحدٌ ولا أنّه ليس بعظيم، بل إنّ ذلك يُفيد لتعظيم جنس الشاهد أيّاً كان ويفيد التعدّد أيضاً .

(س) من هم الشهود الذين سوف يشهدون على الإنسان يوم القيامة؟

(ج) الشاهد الأوّل هو الله (تعالى) خالق الشهداء، ثمّ النبيّون والملائكة والأرض وما عليها، والإنسان نفسه وبأعضاءه، وأشهد الشهداء من الأنبياء هو النبيّ محمّد ﷺ **﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاَءِ﴾**[٢] .

(س) ما هو المشهود في قوله: **﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾** ولماذا جاءت خالية ممّا يمكن التعلّق به من الضمائر إذ لم يقل «ومشهود عليه أو له أو فيه أو به»؟

(ج) المشهود هي الأعمال تلقياً، ولكي يشمل المشهود له وعليه وبه وفيه أي مكان الشهادة بنوعيها، لهذا أُلغيت ما يمكن التعلّق بها لتشمل الجميع .

۞ قال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ﴾

(س) ما هو الهدف من مجيء القَسَم في بداية السورة أو أين جواب القَسَم؟

(ج) إنّ جواب القَسَم محذوفٌ يدلّ عليه قوله: **﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾** إلى تمام آيتين ويشعر به أيضاً قوله: **﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ..﴾** الخ وهو وعيد للفاتنين ووعد للمؤمنين الصالحين عامّة بأنّ الله (عزّوجلّ) سوف يوفّقهم على الصبر ويُثبّتهم على الإيمان ويحفظهم من كيد الكائدين وذلك إذا أخلصوا دينهم لله

---

(١) هود: ١٠٣ .

(٢) النحل: ٨٩ .

(عزّوجلّ) كما فعل ذلك المؤمنون في قصّة الاخدود.

(س) مَنْ هم أصحاب الإخدود، وهل يمكن القول بأنّهم المؤمنون الذين أُحرقوا فيه؟

(ج) هناك روايات مختلفة في أصحاب الأخدود، فمنهم من قال: إنّه مهرويه بن بخت نصر ومنهم من قال: إنّه ذو نواس آخر ملوك حمير وروايات كثيرة أخرى مختلفة، فالأفضل الإجمال عنها كما القرآن أجمل إذ لا فائدة في ذكر أصحابها، ولا يصحّ القول بأنّ المراد من أصحاب الاخدود في الآية الشريفة هم المؤمنون والمؤمنات الذين أحرقوا فيه وقوله (قُتل) إخبار عن قتلهم بالإحراق، وذلك لأنّ الآيات التالية ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ و﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ و ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾ ترجع إلى الجبابرة الناقمون وليس إلى المؤمنين المعذّبين.

وقال صاحب تفسير الميزان: ولا يبعد أن يستفاد من الروايات المتعدّدة أنّ لأصحاب الإخدود وقائع متعدّدة وقعت بالحبشة واليمن وفارس وفي الآية إشارةٌ إلى جميعها بصورة مجملة.

(س) قوله تعالى: ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ الضمير يرجع إلى أصحاب الإخدود الجبابرة، فأين كانوا قاعدين من النار ولماذا قعدوا في ذلك المكان؟

(ج) إنّهم كانوا قاعدين في أطراف تلك النار المتأجّجة دون أن يتأثّروا بها إلاّ تفرّجاً وفرحاً بقتل المؤمنين، والمؤمنون ليسوا في حالة قعود وجلوس في ذلك الإخدود وإنّما كانوا في حالة اضطراب وفزع واضطرام وفي حالة طلب الهرب والخلاص من تلك النار ولكن بعد لحظات من العذاب الشديد وبعد تأييد الله (عزّوجلّ) لهم وإفراغ الصبر عليهم لاقوا ربّهم راضين مرضيّين ناجحين من البلاء العظيم.

(س) هل حافظ المؤمنون عندما أُنزلوا في الأُخدود المتأجّج بالنار على إيمانهم بالله (عزّوجلّ) وكيف استطاعوا ذلك وقد واجهوا بلاءاً كبيراً؟

(ج) إنّهم حافظوا على إيمانهم بشكل كامل وذلك بفعل تأييد الله (عزّوجلّ) لهم من خلال إعطاءهم الصبر الكافي لمواجهة تلك المحنة والمحافظة على إيمانهم من كيد الكائدين،

وإنّما أعطاهم الله (عزّوجلّ) هذه الأُمور بعد أن رأى صدقهم وسعيهم الكامل في السير في الطريق المستقيم الذي رسمه لهم وبعد أن سمع منهم الدُّعاء والطلب في إفراغ الصبر وحُسن العاقبة، فهم الذين قالوا: ﴿...رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[١].

(س) ما هو المراد من القتل في قوله (عزّوجلّ): ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأخْدُود﴾؟

(ج) قال صاحب تفسير الميزان العلاّمة الطباطبائي(رحمه الله): إنّ المراد من القتل هو اللعن والطرد، فالآية دعاء عليهم بالسوء، وقال صاحب تفسير الفرقان: إنّ المراد من القتل هو إخبارٌ عن قتل أرواحهم وضمائرهم وذلك عندما أقدموا على إحراق المؤمنين، فهم قتلوا أرواحهم الطاهرة وضمائرهم قبل قتلهم للمؤمنين، إذ وجود الروح الصالحة لدى الإنسان لا تسمح له بالقيام بالجرائم الكبيرة.

❁ قال تعالى: ﴿النَّار ذَاتِ الْوَقُود﴾.

(س) لماذا وصفت السورة الأخدود بالنار ذات الوقود، حيث قال (عزّوجلّ): ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأخْدُود * النَّار ذَاتِ الْوَقُود﴾؟

قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إلاّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالله الْعَزِيزِ الْحَمِيد﴾.

(ج) إنّ أصحاب الإخدود أضرموا النار في الشقّ الذي حفروه وجعلوا فيه الوقود، بحيث أصبح كلّه ناراً ملتهبة.

(س) إنّ أصحاب الأخدود كانوا يعذّبون ويحرقون الناس لإيمانهم الكامل بالله (عزّوجلّ) فهل هناك مَن يرجع عن إيمانه ودينه بعد أن قبلهما؟

(ج) لاشكّ أنّ ضعفاء الإيمان يرجعون عن إيمانهم وعقيدتهم وذلك إذا أصابتهم فتنةٌ وبلاء دنيوي، قال (عزّوجلّ): ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِالله فَإِذَا أُوذِيَ فِي الله جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ الله﴾[٢]، وقال (عزّوجلّ): ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْف فَإِنْ

(١) الأعراف: ١٢٦.
(٢) العنكبوت: ١٠.

أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾[1]، ولكن هناك ممّن يصبر ولا يرجع عن مبدئه مهما بلغ الأمر.

(س) من الاحتمال الكبير أنّ أصحاب الإخدود كانوا مشركين وأنّهم يؤمنون بوجود الله (عزّوجلّ) فلماذا انتقموا من المؤمنين الآخرين بسبب أيمانهم كما قال (عزّوجلّ): ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ..﴾ ؟

(ج) إنّ الإيمان الذي رآه أصحاب الاخدود عند المؤمنين الذين أُحرقوا وهم أحياء يختلف عن إيمانهم، كانوا يطيعون الله (عزّوجلّ) كاملاً وما كانوا يفترون شيئاً من أنفسهم، بينما المشركون يعبدون الله حسب رغبتهم وأهواءهم ومزاجهم، لذا فهم يحاربون من يخرج عن طريقتهم ومنهجهم كيفما شاءوا.

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾.

(س) إنّ أصل الفتنة من الفَتْنَ وتُطلق على إدخال الذهب في النار لتظهر جودته من رداءته، واستعمل في إدخال الإنسان النار وذلك لتطهيره من ذنوبه وسيّئاته وهكذا يكون في الآخرة، فهل كان قصد أصحاب الإخدود هو هذا؟ إذ قال (عزّوجلّ): ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾؟

(ج) إنّ أصحاب الأخدود أحرقوا المؤمنين بالنار انتقاماً منهم لإيمانهم الصالح وكراهيةً لهم وأنّهم لم يقصدوا من الفتنة معرفة المؤمن الحقيقي من المؤمن المتزلزل الذي يخرج عن عقيدته عند رؤية العذاب والبلاء، ولكن الفتنة الحقيقيّة جرت عليهم من قبل الله (عزّوجلّ) حيث وفّق جميعهم على النجاح في هذا الامتحان الكبير وذلك بإنزال الصبر عليهم وتوفيتهم مسلمين، وهذا ما يطلبه المؤمنون دائماً وخصوصاً عند الشدّة

---

(١) الحج: ١١.

والبلاء ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[١] .

❁ قال تعالى: ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾.

(س) لماذا أعدّ الله (عزّوجلّ) عذابين لأصحاب الإخدود، وذلك إذا لم يتوبوا من عملهم هذا، إذ قال: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾؟

(ج) إنّ أصحاب الاخدود يستحقّون نوعين من العذاب كما أذاقوا المؤمنين ذلك، فهم من جانب عذّبوا المؤمنين قبل الإحراق فلهذا فلهم عذاب جهنّم وبعدها أحرقوهم بالنار فلذا يستحقّون عذاب الحريق ﴿جَزَاءً وِفَاقاً﴾[٢] .

(س) كيف فصلت السورة بين عذاب جهنّم وعذاب الحريق وكلاهما واحد؟

(ج) المراد من عذاب جهنّم الذي ذكرته السورة الكريمة هو أنواع العذاب الآخر الموجود في جهنّم غير الإحراق، وذلك مثل الزقّوم والغسلين والمقامع والسلاسل فبالإضافة إلى هذا العذاب لهم عذاب الحريق أيضاً.

(س) ما هو الفرق بين الحريق الذي واجهه المؤمنون في الأخدود وبين الحريق الذي أعدّه الله (عزّوجلّ) لهم يوم القيامة؟

(ج) ١) إنّ الحريق أو النار الذي صَنَعُوه في الأخدود هو من النار الذي يوقدهُ الإنسان للعبه بينما حريق جهنّم من النار التي يُسجُرها الله (تعالى) لغضبه.

٢) نار الدُّنيا لحظات وتنتهي، بينما نار الآخرة ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً﴾[٣] .

٣) في حريق الدُّنيا رضى الله (عزّوجلّ) للمؤمنين وهم أعزّاء، بينما حريق الآخرة فيه غضب الله (تعالى) وخزيٌ كبير ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾[٤] .

---

(١) الأعراف: ١٢٦.
(٢) النبأ: ٢٦.
(٣) النبأ: ٢٣.
(٤) آل عمران: ١٩٢.

(س) هل يمكن للكافر أن يتوب بعد أن قام بمجموعة كبيرة وعظيمة من الذنوب والمعاصي وهل يوفّق لذلك، كأصحاب الإخدود مثلاً حيث قال (عزّوجلّ): ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾؟

(ج) إنّ باب التوبة مفتوح للجميع ما داموا على قيد الحياة وأنّ الله (عزّوجلّ) يطلب من الجميع وحتّى الذين ارتكبوا المعاصي الكبيرة، أن يعودوا إلى الإيمان والطاعة، قال (تعالى): ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾[1] وهذا يدلّ على عظمة رحمة الله وعفوه، وهناك شواهد تأريخية لأُناس كانوا في غاية الذنوب والمعاصي ولكنّهم أصبحوا من العُبّاد والصالحين بعد توبتهم.

(س) هل هناك فائدة من ذكر حادثة أصحاب الإخدود في هذه السورة المباركة؟

(ج) إنّ في السورة إنذاراً ووعيداً للذين يسلكون منهج أصحاب الاخدود أو يريدون ذلك، فكما كان المشركون من أهل مكّة يفعلون ذلك بالمؤمنين وبالنبيّ ﷺ ليرجعونهم عن إيمانهم، وأنّ في ذكر هذه القصّة دروس في التضحية والفداء، روي عن النبيّ ﷺ إنّه قال: «ما ذكرتُ أصحاب الاخدود إلاّ تعوّذتُ بالله من جهد البلاء»، وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «قد كان قبلكم قومٌ يقتلون ويُحرقون ويُنشرون بالمناشير، وتضيّق عليهم الأرض برحبها، فلم يردهم عماهم عليه شيء ممّا هم فيه... بل ما نقموا منهم إلاّ أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، فاسألوا ربّكم درجاتهم، واصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم»[2].

۞ قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

(س) لماذا ذكرت الآية المباركة صفة العزّة والجمال والملك والشهادة المطلقة لله (عزّوجلّ) بعد أن بيّنت سبب انتقام أصحاب الاخدود من المؤمنين، إذ قال (تعالى): ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ

(١) الزمر: ٥٣.

(٢) نور الثقلين ص٥٤٧ في روضة الكافي.

إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾؟

(ج) إنّ هذه الصفات الكريمة لله (عزّوجلّ) تُشير إلى مظلومية وحقّانية أولئك المؤمنين الذين أحرقوا في الاخدود إذ أنّهم آمنوا بالله (عزّوجلّ) الإيمان الكامل وذلك لاستحقاقه لهذا الإيمان والعبودية فهو العزيز أي الغالب غير المغلوب على الإطلاق وهو الجميل في جميع أفعاله على الإطلاق وهو مالك السماوات والأرض وهو الشاهد على خلقه يعطيهم ما يحتاجونه ، فعندما يكون الله (عزّوجلّ) على هذه الصفات العظيمة لذا فعلى الناس أن يؤمنوا به بالشكل المطلوب وليس لأحد الحقّ في التعرّض لهم بالسوء .

(س) ماذا على المؤمنين أن يفعلوا إذا واجهوا جبابرة وطغاة كأصحاب الاخدود وإذا أصبحوا في شدّة ومحنة كالمؤمنين الذين أحرقوا وقتلوا في ذلك الاخدود الملتهب؟

(ج) عليهم أن يعرفوا ويتيقّنوا بأنّهم على الحقّ بصورة كاملة وأن لا يستسلموا للطاغوت أبداً ومن ثمّ أن يطلبوا من الله (عزّوجلّ) أن يُفرغ عليهم الصبر الكافي لمواجهة هذه المحنة الشديدة وأنّه يُنزل الصبر على قدر المصيبة كما روي عن الإمام عليّ عليه السلام ثمّ يطلبون منه (تعالى) حُسن العاقبة ، كما طلب ذلك السحرةُ عندما آمنوا بموسى عليه السلام الإيمان الكامل وعندما واجهوا طاغوتاً كطواغيت الاخدود ، فقالوا لفرعون : **﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾**[1] .

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾.

(س) هل يرى المؤمن الجنّة في حياته الآخرة من دون أن يراها في المحطّات الأُخرى التي يعيش فيها؟

(ج) المؤمن لا يرى الجنّة في الآخرة فقط بل يراها ويلازمها من تلك الساعة التي عقد فيها

(١) الأعراف : ١٢٦ .

قلبه بالله (عزّوجلّ) وأصبح عبداً له، يرى الجنّة في حياته هذه وبعدها يعيش الجنّة في دُنيا البرزخ، ويعيش في خير وسعادة مع إمامه المهدي (سلام الله عليه) ويُبعث إلى ساحة القيامة وهو في خير وسعادة كاملة، إذاً فالمؤمن يعيش في جنّة دائمة حتّى لو واجه المحن والصعوبات في حياته الدُّنيا، وهناك شواهد قرآنية وتأريخية تُثبت ما نقول فنرى السَحَرَة يقولون لطاغوت زمانهم ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾[1]، ﴿لاَ ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾[2].

سأل الإمام الحسين عليه السلام ابن أخيه القاسم بن الحسن عليهما السلام: كيف ترى الموت عندك؟

قال: يا عمّ في سبيلك والله أحلى من العسل.

إنّ تألّق الحالة الروحية لدى الإنسان تُنسي عنده آلام الجسد ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾[3].

❁ قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾.

(س) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾، فهل هناك فوزٌ أكبر يحصله المؤمن بالإضافة إلى الفوز الكبير بسبب إيمانه وعمله الصالح؟

(ج) لاشكّ هناك فوز أكبر سوف يحصله المؤمن من الله (عزّوجلّ) وذلك بالإضافة إلى الفوز بالجنّات التي تجري من تحتها الأنهار، والفوز الأكبر هو الحصول على رضوان الله (عزّوجلّ) قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾[4]، وقال (تعالى): ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[5]، وقال البعض: إنّ ذلك في قوله (ذلك الفوز العظيم) يرجع إلى

---

(١) طه: ٧٢.

(٢) الشعراء: ٥٠.

(٣) يوسف: ١٢.

(٤) التوبة: ٧٢.

(٥) يونس: ٢٦.

اخبار الله (تعالى) بحصول هذه الجنّات، ولم يقل (تلك) إشارة إلى الجنّات، وأنّ الفوز الحقيقي هو الحصول على رضى الله (تعالى) لا الجنّات وحدها، ولهذا قال (عزّوجلّ): (ذلك الفوز العظيم) ولم يقل تلك.

(س) لماذا نرى القرآن الكريم يذكر دائماً صفة جريان الأنهار للجنّات التي وعدها للمؤمنين دون أن يذكر صفة أخرى؟ قال (عزّوجلّ): **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾**؟

(ج) النفسُ تميل إلى شيئين رئيسيّين ولا تملّ منهما أبداً مهما رأته وداومت عليه؛ أحدهما: رؤية الخضرة سواء كانت أشجار أم نباتات، والثاني: رؤية الماء وتزداد الرغبة إلى رؤية الماء إذا كان في حالة جريان وتحرّك وإخراج الصوت المسمّى بخرير الماء والذي يلتذّ به الإنسان بصورة كبيرة دون أن يملّ منه أبداً.

(س) هل يجد المؤمن شيئاً واحداً في أنهار الجنّة وهو الماء الزلال أم الأنهار مختلفة؟

(ج) حسب المستفاد من آيات الذكر الحكيم أنّها تصرّح باختلاف مادّة أنهار الجنّة، فهناك أنهار من لبن وأخرى من عسل وأخرى من خمر بالإضافة إلى أنهار المياه العذبة التي لا عينٌ رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قال (عزّوجلّ): **﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾**[١].

(س) ما فائدة مجيء قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾** بعد ذكر قصّة أصحاب الاخدود وتعذيبهم للمؤمنين؟

(ج) الآية المباركة وعدٌ جميل للمؤمنين الذين يلاقون أذىً من الكفّار وهذا الوعد يُطيّب نفوسهم ويبعث فيهم الصبر والأمل بالغد المشرق الخالي من المنغّصات والأذى.

---

(١) محمّد: ١٥.

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾.

(س) البطش هو أخذ الشيء بصولة أو بهجمة فلماذا قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ دون أن يقول: إنّ عذاب ربّك لشديد، فهل يأخذهم الله (عزّوجلّ) كما هم أخذوا المؤمنين؟

(ج) إنّ أخذ الكفّار المعتدين كان بصورة غاشمة ومتعنّتة غير راحمة ولا مستبصرة مفكّرة فلهذا يأخذون أخذ حقٍّ جزاءً وفاقاً لما عملوا ولما واجهوا به المؤمنين، وشتّان ما بين بطشهم وبين بطش الله (عزّوجلّ) إنّ بطشهم الهزيل الصغير كلّه ظلمٌ واعتداء، ولكنّ بطش الله (عزّوجلّ) العظيم والشديد كلّه عدل وجزاء وفاق.

(س) هل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ نوع من الخطاب والتطييب للنبيّ ﷺ؟

(ج) إنّ في إضافة البطش إلى الربّ ومن ثمّ إضافة الربّ إلى كاف الخطاب والموجّه إلى المؤمنين وعلى قمّتهم سيِّد الأنبياء محمّد ﷺ فيه تطييب له بالتأييد والنصر على أعداءه وفيه إشارة إلى أنّ لجبابرة أُمّته نصيباً من الوعيد المتقدّم.

(س) متى يظهر الله (عزّوجلّ) بطشته الكبرى؟ ولماذا يُؤخّرها إلى ذلك اليوم؟

(ج) يُظهر الله (عزّوجلّ) بطشته يوم القيامة الكبرى وليس التأخير إلاّ رحمةً منه على أولئك الظَلَمة لعلّهم يتوبون ويرجعون إلى ربّهم (تعالى) وذلك لأنّ الدُّنيا دار عمل ولا حساب، والآخرة دار حساب ولا عمل.

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾.

(س) ما هو الدليل على شدّة بطشة الله (عزّوجلّ) بقوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾؟

(ج) الدليل على شدّة بَطشَة الله (تعالى) هو قوله (عزّوجلّ): ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِء وَيُعِيدُ﴾ وتوضيح ذلك كما يلي:

١ - إنّه تعالى مُبدءٌ يوجد ما يريده من شيء دون أن يحتاج إلى أحد ولا يعجزه شيء فلذا فهو قادر أن يُعيد الفائت الزائل، فإذا كان (تعالى) هكذا فهو قادرٌ إذاً على تمهيل العبد المعتدي العذاب ما يستحقّه وما هو أكثر من ذلك وأن يُبقي العذاب دائماً عليه دون انقضاء،

قال (عزّوجلّ): ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا ولاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾[١].

٢- وأنّه تعالى قادرٌ على أن يعيد ما أفسده العذاب ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ إلى حالته الأولى ليذوق الظالم من العذاب من غير انقطاع ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾[٢].

٣- فكما أنّه حدّ العذاب والفتنة في الدُّنيا بالموت فهو قادرٌ على أن لا يحدّ العذاب على الكافر وذلك برفع الموت عنه لهذا فإنّ بطش الله (عزّوجلّ) أشدّ بكثير من بطش المُفسدين.

۞ قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾.

(س) إنّ مغفرة الله (عزّوجلّ) ومودّته في الدُّنيا تشمل جميع الناس التائبين إليه حتّى لو كانوا كأصحاب الاخدود مثلاً فالسؤال الذي يظهر هو كيف يبسط الله (عزّوجلّ) بساط مغفرته وعفوه للجميع وهناك من قام بجرائم كبرى كقتل المؤمنين والأتقياء والأنبياء؟

(ج) إنّ فتح باب التوبة والمغفرة والمودّة لجميع الناس سواء المؤمنين والكافرين في هذه الدُّنيا وذلك للأسباب التالية:

١- إنّ الدُّنيا دارُ عمل وسعي نحو الحصول على مرضاة الله (عزّوجلّ) ورحمته، فلذا فإنّ باب الرجوع إليه يجب أن يكون مفتوحاً للناس ما داموا على قيد الحياة، إذ لعلّ البعض يرجع إلى رُشده في آخر حياته والله (عزّوجلّ) يقبل توبته.

٢- إعطاء الفرصة الكافية للإنسان لأجل التوبة وأنّ هذه الفرصة تبقى إلى ساعة الموت والانتقال من هذه الحياة، عندها تنقطع فرصة التوبة ولا تُقبل منه لو تاب لأنّه انتقل إلى حياة الحساب والجزاء قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾[٣].

---

(١) فاطر: ٣٦.

(٢) النساء: ٥٦.

(٣) المؤمنون: ٩٩-١٠٠.

٣- إتمام الحجّة ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾[١].

٤- قد يكون بعض المجرمين والظالمين غافلين عمّا هم عليه ولا يعرفون سبيل التوبة، إذ لعلّهم يرجعون إلى رُشدهم وصوابهم في فترة من الفترات المناسبة لذلك، كما حدث هذا الأمر للسحَرَة في زمن فرعون.

٥- الله (عزّوجلّ) يُريد الرحمة لجميع خلقه ولا يريد ظلم أحد أبداً بل يريد من جميع الذين أسرفوا على أنفسهم واتّبعوا أهواءهم وشهواتهم أن يرجعوا إليه مرّة أخرى ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾[٢].

۞ قال تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾.

(س) ما هو المراد من مجيدية عرش الله (عزّوجلّ) حيث قال: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾؟

(ج) المجيد صفة من المجد وهو العظمة المعنوية وهي كمال الذات والصفات، فعندما يكون ذات الله (عزّوجلّ) وصفاته وأفعاله تختلف عمّا للمخلوقين بشكل كامل لذا فإنّ عرشه (تعالى) يختلف أيضاً فهو عظيم ومجيد بينما عروش المخلوقين ليست مجيدة بل مهزولة وزائلة.

(س) كيف يتجلّى لنا عظمة عرش الله (عزّوجلّ) ومجيديته؟

(ج) قوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ أي لا يصرفه عمّا يريُده صارفٌ لا من الداخل كضجر أو ملل أو ضعف أو تغيّر في الحال والإرادة ولا من الخارج كمانع يحُول بينه وبين ما يُريد، بينما أصحاب العروش المهزولة مغلوبٌ على أمرهم لا يستطيعون أن يفعلوا ما يريدون لكونهم ليسوا عُظماءاً وأمجاداً في ذواتهم وصفاتهم وعروشهم.

(س) لماذا ذكرت السورة المباركة صفتين من صفات الله (عزّوجلّ) وهما أنّه ﴿ذُو الْعَرْشِ

---

(١) طه: ١٣٣.

(٢) الزمر: ٥٣.

﴿الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ وذلك بعد ذكر آيات الوعيد للّذين فتنوا المؤمنين وآيات الوعد للمؤمنين بالجنّات؟

(ج) الآيتان جاءتا لتثبيت الوعيد للكافرين والوعد للمؤمنين، لأنّ الذي ذو العرش المجيد وفعّال لما يريد قادرٌ على أن يوعد الكافرين والظالمين بالعذاب وعلى أن يعد المؤمنين بالجنّات والخيرات.

۞ قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ* فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾.

(س) لماذا عطفت السورة بالإشارة إلى حديث هلاك فرعون وثمود، بقوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ ولماذا لم يذكر غيرهما من الأقوام الهالكين؟

(ج) إنّه (تعالى) لمّا بيّن حال أصحاب الاخدود وأذاهم للمؤمنين أشار في هذه الآية ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ بأنّ الذين كانوا قبلهم من الكفّار والطغاة على نفس السيرة الجائرة، وأنّه تعالى ذكر من المتأخّرين فرعون، ومن المتقدّمين ثمود الذين كانوا في بلاد العرب وقصّتهم مشهورة.

۞ قال تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾.

(س) ما فائدة قوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾؟

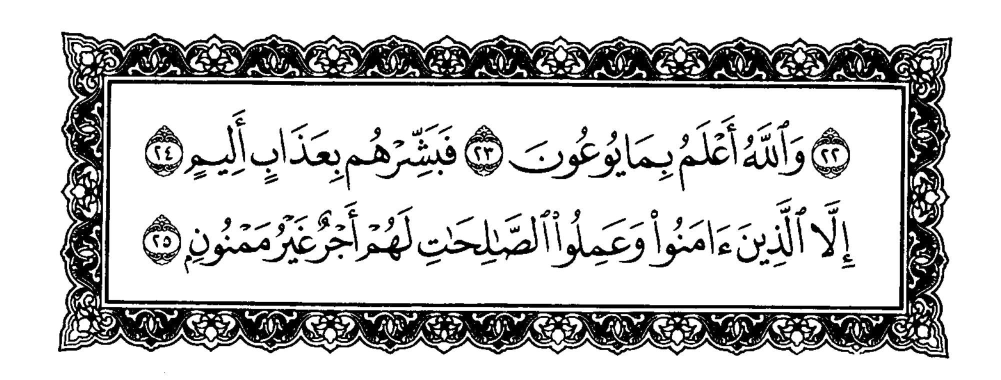
(ج) فيه إشارة إلى ما تقدّم بأنّ حال المؤمنين مع الكفّار في جميع الأزمان على هذا النهج، وفيه تطييبٌ لقلب النبيّ ﷺ حيث كان كفّار قريش يؤذون المؤمنين كما كان من قبلهم، وفي الآية إضرابٌ عمّا تقدّم من الموعظة والحجّة من حيث الأثر والفائدة، ومعنى ذلك أنّ الكفّار مصرّون على تكذيبهم لا ينتفعون بالموعظة مهما عظمت وكثرت، فلذا لا ينبغي رجاء الإيمان منهم.

سُورَةُ الانشِقَاقِ

سُورَةُ الانشِقَاقِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ
﴿٣﴾ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ
كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ
إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ
يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ﴿١٣﴾
إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ
بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾
لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ
عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَۤ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ



فضلها:

ابن بابويه باسناده عن الحسين بن أبي العلا ، قال سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول : «من قرأ هاتين السورتين ، وجعلهما نصب عينيه في صلاة الفريضة والنافلة (إذا السماء انفطرت) و(إذا السماء انشقت) لم يحجبه من الله حاجب ، ولم يحجزه من الله حاجز ، ولم يزل ينظر الله إليه حتى يفرغ من حساب الناس»[1] .

مفردات السورة:

الشقّ : هو الخرم الواقع في الشيء .

الإذن : الاستماع ومنه الاذن لجارحة السمع .

حُقّت : جُعلت حقيقة وجديرة بأن تسمع .

الكدح : السعي والعناء .

الثبور : كالويل .

يحور : يرجع .

الشفق : هو ضوء النهار المختلط بظلام الليل عند الغروب .

وسق : ضَمّ وجمع ما تفرّق .

إتّسق : اجتمع وانضمّ .

---

(١) تفسير البرهان ، م ٤ ، ص ٤٣٥ ، ح ١ .

الطبق: هو الشيء أو الحال أو المطابقة.

يوعون: الإيعاء جعل الشيء في وعاء.

موضوع السورة:

السورة تحمل عَرضاً لبعض مشاهد قيام الساعة حيث تذكر انشقاق السماء وامتداد الأرض وإلقائها ما في بطنها، كما أشارت سورٌ أخرى إلى حالات الانقلاب الكوني الذي يحدث عند قيام الساعة، ولكن التغيّر والانقلاب هنا يظهر في صورة الاستسلام الكامل لإرادة الله (جلّ وعلا)، وتذكر السورة أنّ للإنسان سيراً إلى ربّه حتّى يلاقيه فيحاسبه عندها حسب ما جاء في كتابه بما عملت يداه.



الأسئلة والأجوبة

❁ قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ﴾.

(س) الإنشقاق هو التصدّع والافتراق بعد الالتئام وهو الاختراق والتمزّق، ماذا يدلّنا هذا الأمر على طبيعة السماء وتكوينها؟

(ج) التمزّق أو الانشقاق الذي سيحدث في السماء يدلّ على أنّها جرم متراكم كالسقف وليست جوّاً خالياً فيه كواكب، والكواكب هي من أثقل أثقالها التي خُلقت من تجمّع أجزائها وأجرامها، وأنّها في توسّع دائم كما قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْيد وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[1].

(س) هل تنشقّ النجوم والكواكب مع أُمّهما السماء أم تُصيبها حالات أُخرى؟

(ج) إنّ النجوم ستنكدر أي تصبح مُظلمة أو تتساقط ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾[2] والكواكب

(١) الذاريات: ٤٧.

(٢) التكوير: ٢.

تنتثر ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾[١] وتنطمس، بينما الانكشاط والانشقاق مختصّ بالسماء.

(س) ماذا يحدث للسماء عند انشقاقها؟
(ج) تفقد صلابتها وتصبح واهية ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾[٢] وذلك بفعل فقدان تماسكها.

(س) ما هو الأمر الذي يؤدّي إلى انشقاق السماء وانكدار النجوم والكواكب؟
(ج) قد يكون عامل إذهاب الجاذبية العامّة هو السبب في ذلك، فالسماء مرفوعة يوم الدُّنيا ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[٣] فعندما يتوقّف العمد عن عمله وينسحب من الميدان، يحدث الانشقاق والانكدار والدمار في الكون.

(س) ماذا يحدث للسماء بعد انشقاقها؟
(ج) إنّها تكشط ﴿وَإِذَا السَّمَاء كُشِطَتْ﴾[٤] أي تنخلع عن جلدها وجَلدها، ثمّ تفرج ﴿وَإِذَا السَّمَاء فُرِجَتْ﴾[٥] وتُفتح ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاء فَكَانَتْ أَبْوَاباً﴾[٦]، وتُطوى ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[٧] فتصبح واهية تمور موراً، ووردةً كالدهان، وأخيراً تنقلب إلى ما كانت أوّلاً: دُخاناً غازاً متسانخ الأجزاء ﴿وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ﴾[٨] قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾[٩].

---

(١) الانفطار: ٢.
(٢) الحاقة: ١٦.
(٣) الرعد: ٢.
(٤) التكوير: ١١.
(٥) المرسلات: ٩.
(٦) النبأ: ١٩.
(٧) الأنبياء: ١٠٤.
(٨) الطارق: ١١.
(٩) الدخان: ١٠.

❁ قال تعالى: ﴿وأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وحُقَّتْ﴾.

(س) ما المراد من ﴿وأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وحُقَّتْ﴾؟

(ج) الإذن هو الاستماع، فالمراد من أذنت لربّها هو أنّها استمعت استماعاً تكوينياً لربّها وأجابت فهي منقادة وطائعة في انشقاقها فكانت في قبول ذلك التأثير أو الانشقاق كالعبد الطائع لأوامر سيّده المالك ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾، كما أنّها انقادت وأطاعت عند تكوينها مع زميلتها الأرض ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ * فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾[1]، والمراد من «وحُقّت» هو جعل حقّ الطاعة والسماع في ذاتها، وليس منفصلاً عن كيانها، فإنّها لا تملك لنفسها إلاّ أن تأذن، كما الكائنات كلّها (أُذن) لربّها في تعميرها وتدميرها. وذلك لأنّها مخلوقة إذ كما أنّها تطيع عند الخلق فكذلك تُطيع عند العدم.

❁ قال تعالى: ﴿وإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ﴾.

(س) ما نوعية المدّ الذي تقصده الآية المباركة ﴿وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ﴾؟ ولماذا تُمدّ وكيف؟

(ج) إنّه مدُّ التدمير الذي يحصل عند قيام القيامة الكبرى، على أثر زلزالها العنيف، وقيل: إنّ المراد به هو اتساعها، وقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾[2] وأنّها تُمَدُّ لكي يقف خلق الأوّلين والآخرين عليها إذاً فلابدّ من الزيادة في طولها وعرضها، وقد يكون المدّ بفعل إزالة الجبال التي عليها وتسوية ظهرها ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً﴾[3]، ولعلّه تُجفّف البحار التي تُغطّي ثلاثة أرباع الأرض بعد تفجيرها لكي تسع للخلائق الكثيرة.

(س) هل كان هناك مدّ للتعمير واجهته الأرض كما أنّها ستواجه يوم القيامة مدّ التدمير؟

---

(١) فصلت: ١١ و ١٢.

(٢) إبراهيم: ٤٨.

(٣) طه: ١٠٥.

(ج) نعم، إنّ الأرض شاهدت مدّاً لتعميرها وتبسيطها ليصلح عيش الكائنات عليها، وقد جعل الله (عزّوجلّ) في ذلك المدّ التعميري رواسي وأنهاراً، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً﴾[1].

۞ قال تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾.

(س) لماذا تلقي الأرض الذي في بطنها وتتخلّى عنه؟

(ج) لأنّ ذلك اليوم هو يوم حساب على الإنسان وغيره من المخلوقات العاقلة، فلذا لكونهم كانوا في بطن هذه الأرض بعد موتهم وأنّهم عاشوا على ظهرها فترةً من الزمن، فلذا تلقيهم عن نفسها وتخرج الكنوز الأُخرى التي كانت فيها والتي كان يهلك الإنسان نفسه عليها، قال تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[2]، ولاشكّ أنّ هذا الإلقاء والإخراج بأمر الله وقدرته، وإنّما وصفت الأرض بذلك على سبيل التوسّع.

(س) أين جواب (إذا) في قوله (تعالى): ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ... وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ﴾ هل أنّه محذوف ليذهب ذهن السامع إلى أيّ مذهب فيكون أدخل في التهويل أو هناك جواب في الآيات التالية لها؟

(ج) إنّ آية الكدح جملة معترضة لتزوّد الإنسان بالتوجّه ليوم الحساب، ثمّ تأتي بعدها آية الجواب لـ(إذا) وهي ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً﴾.

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاَقِيهِ﴾.

(س) هل الإنسان هو الكادح الوحيد السائر إلى ربّه دون غيره من المخلوقات؟

(ج) المخلوقات كلّها سواء كانت جمادات أو حيوانات أو إنس أو جنّ أو نبات كلّها سائرة إلى الله (سبحانه وتعالى)، دون أن تتخلّف وتتلكّأ في سيرها ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي

---

(١) الرعد: ٣.

(٢) الزلزلة: ٢.

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾[١].

(س) من أين يبدأ الكدح في الإنسان وإلى أين ينتهي؟

(ج) يبدأ الكدح في الإنسان منذ هو جنين في بطن أُمّه إلى ساعة خروجه من هذه الدُّنيا عندها ينتقل إلى عالم الجزاء والحساب على الأعمال ويكون القبر المحطّة الأولى التي يشاهدها ويعيشها الإنسان بعد كدحه وحالتها تتوقّف على نوعية الكدح الذي سلكه في حياته[٢].

(س) ماذا تريد الآية المباركة ﴿يَا أَيُّهَا الإنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاَقِيهِ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ قَوله؟

(ج) إنّ الآية الشريفة نوعٌ من التذكير للإنسان بنفسه وبهَدَف إيجاده في هذه الحياة، فتقول الآية مخاطبة كلّ إنسان: بأنّك أيّها الإنسان زُوِّدت بالطّاقات التي تُوصلك إلى خالقك الذي هو خالق السماوات والأرض، فما عليك إلاّ أن تنتبه إلى هذا الأمر وإنّك إنّما خُلقت في هذه الدُّنيا لكي تسير إلى ربّك وقد زُودت بالطاقات الكافية لذلك، لذا فعليك أن تأخذ بهذا المسير لكي تصل وأنت سعيد وإلاّ فإنّك لا تجد من تَخلُّفك إلاّ السوء والأسوء. وأنّ السير إلى ربّك متحتّمٌ عليك لأنّك عبدٌ مملوك لا تملك لنفسك إرادة ولا قوّة، لذا فعليك أن تُريد ما أراده الله (عزّوجلّ) لك وتترك ما أمرك تركه، لذا فالآية المباركة تتضمّن الحجّية على المعاد.

(س) هل يستطيع الإنسان أن لا يرجع إلى ربِّه؟

(ج) بما أنّ الإنسان عبدٌ مربوبٌ ومملوك ومُدبَّرٌ من قبل الله (عزّوجلّ) وأنّه يحتاج إليه في جميع أُموره لذا فهو سائرٌ إلى ربّه (جلّ وعلا) كسائر المخلوقات الأُخرى، وأنّه لا يستطيع أن لا يرجع إليه لأنّه أينما يذهب فَثَمَّ وجه الله (عزّوجلّ).

(س) ما نوع الكدح الذي يُواجهه الإنسان في سيره إلى ربّه؟

---

(١) الجمعة: ١.

(٢) تفسير الفرقان: الآية.

(ج) هناك نوعان من الكدح : كدحٌ تكويني وآخر تشريعي ، ويكون الإنسان سائراً إلى ربّه شاء أم لم يشأ ، فعليه في هذا المصير المحتوم أن يحسن السير لكي يُحسن مصيره ، ليكن كلّ كدحه وسيره إلى ربّه عن تقصّد وإخلاص .

(س) ما هي صور نتائج كدح البشر في الآخرة؟

(ج) إنّ نتائج كدح الناس في الآخرة على درجات مختلفة تكون نهايتها إمّا إلى سعادة أو إلى شقاء ، فكدح المؤمن الصالح هو الراحة والرضوان ، وكدح الإنسان الطالح يؤدّي به إلى شقاء وعذاب دائم .

(س) الضمير (هاء) (فَمُلاَقيه) في قوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الإنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاَقِيهِ**﴾ إلى ماذا يرجع ؟

(ج) إنّ الضمير في (فَمُلاَقيه) يرجع إلى كدح الإنسان سواء التكويني أو التشريعي ، ويرجع إلى الربّ أيضاً إذ أنّه سيُلاقي ربّه ويرجع إليه كما سيُلاقي كدحه ، عند ذلك سوف يعيّن له مكانه الأخير في حياة الاستقرار والخلود .

(س) إنّ من جملة الكدح الذي سيلاقيه الإنسان في الآخرة هو الكدح التكويني ، فهل هناك فائدة وثواب لملاقاته لهذا الكدح ؟

(ج) لاشكّ أنّه سوف يجد أجراً وثواباً على كدحه التكويني وذلك إذا سار وفق الفطرة السليمة والكمال العقلي ، فمن جملة الكدح التكويني رعاية الأطفال والسعي لأجل معاشهم واحتياجاتهم ، فهو جهاد يُؤجر عليه الإنسان حيث وُرد في الحديث الشريف : «الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله» .

(س) ما هو الواجب على الإنسان بعد أن عرف إنّه كادحٌ إلى ربّه وملاقي جزاء كدحه كما أنّه ملاقي ربّه (تعالى)؟

(ج) إنّ الواجب على الإنسان وهو أمام هذا الواقع اللا مفرّ منه أن يحسن السير في كافّة مجالات الحياة مهما استطاع في ذلك وكما أمره ربّه (عزّوجلّ) ومن ثُمّ أن يجعل سيرَهُ كلّه لله (عزّوجلّ) سواء كان العمل عبادي أو سياسي أو اقتصادي أو ثقافي أو حربي

صغيره وكبيره.

۞ **قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً﴾.**

(س) ما هو المراد من الكتاب في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾؟

(ج) المراد من الكتاب هو صحيفة أعمال الإنسان بقرينة ذكر الحساب، وهي الحالة الثابتة من الأعمال والنيّات والأقوال، بما استنسخها الله (تعالى) بأقلام الأمواج على الصحائف المختلفة سواء الأعضاء أو الأجواء أو الأرض و... ﴿هذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1] وأنّه ﴿لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾[2].

(س) لماذا قالت الآية المباركة ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ دون أن تقول فأمّا من أُعطي كتابه..؟

(ج) الإيتاء يكون في الواجب وتستعمل في الأشياء العظيمة، بينما الإعطاء يدلّ على التفضّل ويستعمل في القليل والكثير.

(س) متى يُؤتى الإنسان كتابه؟

(ج) يظهر من مجموع الآيات التسع أنّ إيتاء الكتاب ونشر الصحف قبل الحساب، قال (عزّوجلّ): ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً﴾ ولم يقل سيحاسب الذي يدلّ على القرب الزماني الأكثر من كلمة (سوف). وهكذا بالنسبة لأصحاب الشمال، قال: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً﴾، ويدلّ عليه أيضاً قوله (تعالى): ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً﴾[3].

يُستفاد من الآيات المباركات بأنّ هناك حساباً وعقاباً قبل الحساب والعقاب الأكبر، وذلك في عالم البرزخ.

---

(١) الجاثية: ٢٩.

(٢) الكهف: ٤٩.

(٣) الإسراء: ١٣.

(س) ما هي طبقات ومنازل الناس أمام الحساب الذي أعدّه الله (عزّوجلّ) يوم القيامة الكبرى؟

(ج) عن الإمام علي أمير المؤمنين (سلام الله عليه) في حديث طويل يذكر فيه أحوال القيامة وفيه يقول: «. . والناس يومئذ على طبقات ومنازل، فمنهم مَن يُحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً، ومنهم الذين يدخلون الجنّة بغير حساب لأنّهم لم يلبسوا من أمر الدُّنيا بشيء، وإنّما الحساب هناك على من تلبّس بها هاهنا، ومنهم من يحاسب على النقير والقطمير ويصير إلى عذاب السعير»، فالذين يدخلون الجنّة بغير حساب هم السابقون والداخلون بحساب يسير هم أصحاب اليمين، والذين يحاسبون على الصغيرة والكبيرة هم أصحاب الشمال.

۞ **قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً﴾.**

(س) ما هو الحساب اليسير الذي سيتعرّض له أصحاب اليمين؟

(ج) إنّ أصحاب اليمين سوف لا يواجهون حساباً لأنّ من يُحاسب يُعذّب ويهلك، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كلّ محاسب معذَّب، فقال له قائل: يارسول الله فأين قول الله (عزّوجلّ): **﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً﴾**؟ قال: ذلك العَرض يعني التصفّح، وعن عائشة قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في بعض صلاته: اللّهمّ حاسبني حساباً يسيراً، فلمّا انصرف قلت: يارسول الله صلى الله عليه وآله ما الحساب اليسير؟ قال: أن ينظر في كتابه فيتجاوز عنه، إنّه من نُوقِشَ في الحساب هَلك.

(س) هل يمتلك أصحاب اليمين السيّئات لكي يُصفَح عنها، وكيف حصلوا على هذا الصفح؟

(ج) قد يرتكب المؤمنون بعض السيّئات واللمم، ولكن بسبب اجتنابهم للكبائر يُكفِّر الله عنهم ذلك برحمته الخاصّة، قال (عزّوجلّ): **﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً﴾**[1].

---

(١) النساء: ٣١.

(س) ماذا لو حُوسبَ المؤمن يوم القيامة؟

(ج) لو حُوسب المؤمن يوم القيامة على حياته الدُّنيا سوف لا يحصل على شيء في الآخرة أبداً حتّى لو كان في أعلى درجات التقوى والإيمان والطاعة لأوامر الله (عزّوجلّ)، وذلك لأنّ الطاعات التي قام بها حَصَلَ على خيرها وجزائها في حياته الدُّنيا، فلهذا لا يستحقّ على الله شيئاً بعد ذلك، ولكن الله (عزّوجلّ) برحمته وفضله الواسع يُدخل المؤمنين في الجنّة وفي رضوانه كما وعد ذلك، فلهذا لا يُحاسب المؤمن على شيء من فضائل الله ونعَمه، بل يُؤمر به إلى الجنّة فضلاً من الله ورحمته.

(س) لماذا يُحاسَب المؤمن حساباً يسيراً بخلاف الكافر؟

(ج) لإنَّ المؤمن ترك الكبائر، قال (عزّوجلّ): ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً﴾[1]، وإنّه عاش نادماً وتائباً من اللمم ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ﴾[2].

(س) مَن هم أهل أصحاب اليمين الذين سيَنقَلبون إليهم مسرورين يوم القيامة كما قال (عزّوجلّ): ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾؟ هل هم ولده وزوجته أو أقاربه القريبون أو البعيدون؟

(ج) إنّ الأولاد والزوجة والأقرباء لا يمكن أن يكونوا أهل المؤمن يوم القيامة إذا كانوا بعيدين عن الإيمان والصلاح إذ يفرّ منهم ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾[3]، وأمّا الأقرباء ﴿فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءلُونَ﴾[4]، فأهل المؤمن في الجنّة هم اليمينيّون الصالحون الذين كانوا معه في الحياة الدُّنيا أو هم الأهل الذين أعدّهم الله (عزّوجلّ) له في الجنّة من الحور العين والولدان المخلّدين الذين يقومون بخدمته

---

(١) النساء: ٣١.

(٢) النجم: ٣٢.

(٣) عبس: ٣٤ـ٣٦.

(٤) المؤمنون: ١٠١.

والغُلمان وغيرهم وكلاهما محتمل ، وأنّ البعيد المؤمن يعتبره القرآن من الأهل بينما القريب الكافر لا يعتبره من أهل المؤمن كما في ابن نوح قال (عزّوجلّ) : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [١] .

(س) هل كان المؤمن غير مسرور بين أهله المؤمنين في حياته الدُّنيا لكي ينقلب إليهم مسروراً في الآخرة ، بينما وَعَدَ الله (عزّوجلّ) الحياة الطيّبة للمؤمن في الدُّنيا ، قال (عزّوجلّ) : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ ؟

(ج) المؤمن كان مسروراً بين أصحابه المؤمنين في الدُّنيا وذلك بفعل إيمانه وعمله الصالح ولكن شتّان بين سرور الدُّنيا وسرور الآخرة ، إذ في سرور الآخرة لا عين رأت ولا أُذنٌ سمعت ولا خطرَ على قلب بَشَر ، بينما سرور الدُّنيا مشوب بالأذى والزوال والانتقال من حال إلى حال .

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿وأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً﴾.

(س) لماذا يُؤتى الكفّار كتابهم من وراء ظهورهم؟

(ج) لعلّ السبب يكون بفعل طمس وجوههم وردّها على أدبارها ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا..﴾ [٢] ، ولكونهم جعلوا كتاب الله (تعالى) وراءهم ظهريا وعمُوا عن رؤية آيات الله (عزّوجلّ) لهذا يُحشرون دون أن يكون لهم بَصَر : ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً﴾ [٣] ، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ [٤] .

---

(١) هود: ٤٦ .

(٢) النساء: ٤٧ .

(٣) الإسراء: ٧٢ .

(٤) طه: ١٢٤ ـ ١٢٦ .

(س) هل هناك فرقٌ بين إيتاء الكتاب من وراء الظهر وبين إيتاءه بالشمال؟

(ج) حسب الظاهر من الآيات في سورة الواقعة والحاقّة وغيرها إنّ الذين يُؤتون الكتاب بشمالهم أو من وراء ظهورهم هم الكفّار خاصّة دون غيرهم.

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾.

(س) هل جزاء الذي يكون مسروراً في أهله أن يؤتى كتابه من وراء ظهره كما تقول الآيات: **﴿وأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً * وَيَصْلَى سَعِيراً * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾**؟

(ج) السرور والفرح في الأرض بغير الحقّ هو المذموم وهو الذي يوجب عذاب الله وسخطه وغيره لا، قال (عزّوجلّ): **﴿ذلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾**(1) وأنّ سبب حصول حالة السرور بما نال من متاع الدُّنيا أدّى به إلى إنكار الرجوع إلى الله (عزّوجلّ) للحساب والجزاء، ولهذا قال تعالى: **﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾** أي لن يرجع إلى ربه أبداً.

(س) كيف يكون الكفّار مسرورين في حياتهم على زعمهم وكما يصوّر القرآن ذلك؟

(ج) قد يتصوّر الكافر أنّ السرور يحصله من جرّاء الابتعاد عن أداء العبادات التي فيها شيء من المشقّة مثل أداء الصلاة والصوم والجهاد والخمس وغير ذلك من الأوامر الإلهيّة ومن ثمّ ارتكاب المعاصي والشهوات والتحلّل على كلّ القيود والأوامر الإلهية ومن ثمّ عدم الإيمان والتفكير بيوم الحساب فإنّ ذلك يجلب له السرور، ولكن سرعان ما يُبدّل الله هذا السرور الكاذب بغمٍّ دائم وكبير لا ينقطع وذلك بعد موته، هذا بالإضافة إلى الغمّ الذي كان يلازمه في حياته الدُّنيا شاء أم أبى **﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً﴾**.

---

(1) المؤمن: ٧٥.

❁ قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً﴾.

(س) ما سبب دعاء الكافر بالثبور والويل والهلاك كما قال (عزّوجل): ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً﴾ أي واثبوراه واهلاكاه؟

(ج) إنّ سبب الهلاك والويل والثبور الذي يصرخ منه الكافر يوم القيامة هو لحمله وجمعه للثبور في كيانه ونفسه إذ كان في حياته الدُّنيا كلّه ثبور لنفسه ولمجتمعه في أعماله وأقواله وفي عقائده وأفكاره، ولكنّه ما كان يدري بذلك بصورة مشاهدة ويقين، ولكنّه يتجلّى له حالة ثبوريّته منذ ساعة انتقاله من هذه الحياة ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[1].

(س) من أين يُؤتى المؤمنون العُصاة كتابهم، فهل يؤتَونه بيمينهم أو بشمالهم أو من وراء ظهورهم؟

(ج) إنّ الآيات التي تخصّ إيتاء الكتاب من وراء الظهر والشمال تشمل الكفّار والذين يؤتون الكتاب بيمينهم هم أصحاب اليمين الذين يحاسبون حساباً يسيراً، وأمّا المؤمنون العُصاة الذين ارتكبوا بعض الكبائر يدخلون نار جهنّم مدّة من الزمن ثمّ يخرجون منها بالشفاعة فهؤلاء يُؤتون كتابهم كغيرهم من الناس، قال (عزّوجل): ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾[2] إذ تشمل جميع الناس دون أن تترك أحد، فعلى قول صاحب تفسير الميزان(رحمه الله)إنّ اليُسر والعُسر معنيان إضافيان، فإنّ حساب العُصاة من أهل الإيمان يسيرٌ بالإضافة إلى حساب الكفّار المخلّدين في النار ولو كان عسيراً بالإضافة إلى حساب المتّقين، فهم قد يُؤتون كتابهم بيمينهم أيضاً وذلك بعد هذه المحاسبة (والله العالم).

---

(١) ق: ٢٢.

(٢) الإسراء: ١٣.

۞ قال تعالى: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾.

(س) ما المراد من الشفق في قوله تعالى: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ ولماذا لم يُقسم الله به بينما أقسم بالليل والقمر كما قال (عزّوجلّ): ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾؟

(ج) إنّ المراد من الشفق هو الحمرة ثمّ الصفُرة ثمّ البياض الذي يحدث بالمغرب، أو هو ضوء النهار المختلط بظلام الليل عند الغروب، وسُمّي بهذا الاسم وذلك لحمله لصفة الخوف والإشفاق والخشوع والرهبة، وأنّه تعالى لم يقسم به لأنّه مشتبه خليط من الخوف والرجاء فلا يُقسم به لأجل إثبات حقيقة ناصعة، بينما أقسم بغيره لوضوحه.

۞ قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾.

(س) ماذا يجمع الليل بمجيئه وحلُوله، بحيث يُقسم الله (تعالى) به في قوله: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾؟

(ج) يُقسم الله (سبحانه وتعالى) ببعض الأشياء وذلك لإلفات نظرنا إلى عظمة أمرها، والليل يُوسقُ أي يَضُمُّ بمجيئه وحلوله كلّ ما تفرّق وانتشر في النهار، سواء كان إنساناً أو حيواناً انتشر في النهار لأجل رزقه فيرجع إلى مأواه ليلاً لأجل السكون والراحة، قال (عزّوجلّ): ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً﴾[1].

۞ قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾.

(س) ما المراد من اتّساق القمر في قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾؟

(ج) أي اجتماع وانضمام بعض نوره إلى البعض الآخر حتّى الاكتمال والتبدّر، فالآية قسمٌ بالقمر في ليلة بدره وتمامه، إذ يفيض في ذلك الوقت نوره الساطع على جميع الأرض فيُنوِرهُ.

---

(١) النبأ: ٩ـ١١.

(س) ما علاقة القَسَم بالليل ووسقه وبالقمر حين اتّساقه بصلب الموضوع الذي تريد السورة طرحه؟

(ج) إنّ الليل وما جمع، إذ يجمع ويأي جميع المتفرّقات من الحيوانات والناس شاءت أم لم تشأ، على غفلة أم لا، فكذلك حياة التكليف للإنسان والمهمّة التي جاء لأجلها فإنّه كادح إلى ربّه كدحاً فملاقيه فإنّ جميع أقواله وأفعاله وروحه سوف تذهب إلى ربّه وأنّ ما صدر عنه سُجِّلَ عليه شاء أم لم يشأ، وكما أنّ قمر الدُّنيا إذا اتّسق سوف يكشف ما أستره الظلام، فكذلك قمر الساعة يوم يقوم الحساب سوف يتّسق ويكشف ما أضمره الإنسان في نفسه وما أضمرته المسجّلات الأُخرى بإذن الله (عزّوجلّ) عندها يرى الناس جميع أعمالهم بفعل حديدية بصرهم ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾.

❁ **قال تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾.**

(س) ما هي الطبقات التي يركبها الإنسان في حياته كما قال (عزّوجلّ): ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾ كما أقسم (عزّوجلّ) بذلك في الآيتين التي سبقتها، وإلى أين تؤدّي به هذه الطبقات أخيراً؟

(ج) إنّ الطبقات التي يركبها الإنسان هي الحالات والمراحل التي يَقطعها في كدحه إلى ربّه، فكلّ حالة لهي طبقٌ عن سابقتها ونتيجة عنها، فالطبق هو المطابقة، فالحياة الدُّنيا أوّلاً هي طبقات بعضها عن بعض ﴿مَنْ جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾، ﴿وَجَزَاء سَيِّئَة سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ والبرزخ طبقٌ عن الدُّنيا والآخرة طبقٌ عنهما تطابقاً في نتائج المساعي ﴿وأَنْ لَيْسَ لِلإنسَانِ إلاَّ مَا سَعَى﴾[1]، رُوي عن النبيّ ﷺ أنّ قوله طبقاً عن طبق معناه: حياة ثمّ موت ثمّ بعث ثمّ جزاء.

(س) لماذا قال (عزّوجلّ): ﴿طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾ دون أن يقول: «طبقاً بعد طبق»؟

(ج) إنّ القول طَبَقاً بعد طَبَق يُشير إلى انفصال كلّ طبق عن الآخر دون أن يوجد بينهما

---

(١) النجم: ٣٩.

رباط، بينما قوله (عزّوجلّ): ﴿طَبَقاً عَنْ طَبَق﴾ تُشير إلى ترابط الطبقات أو الحالات شيئها بشيء أو بعضها بالبعض الآخر دون أي انفصال، وهذه هي حقيقة حياة الإنسان ومراحل سيره إلى ربّه (تعالى) إذ أنّ مراحل حياته الحالية مرتبطة بارتباط وثيق بالمراحل السابقة سواء كانت قريبة أو بعيدة، وهكذا حياة البرزخ هي طبق عن الدُّنيا والآخرة طبق عن البرزخ والدُّنيا.

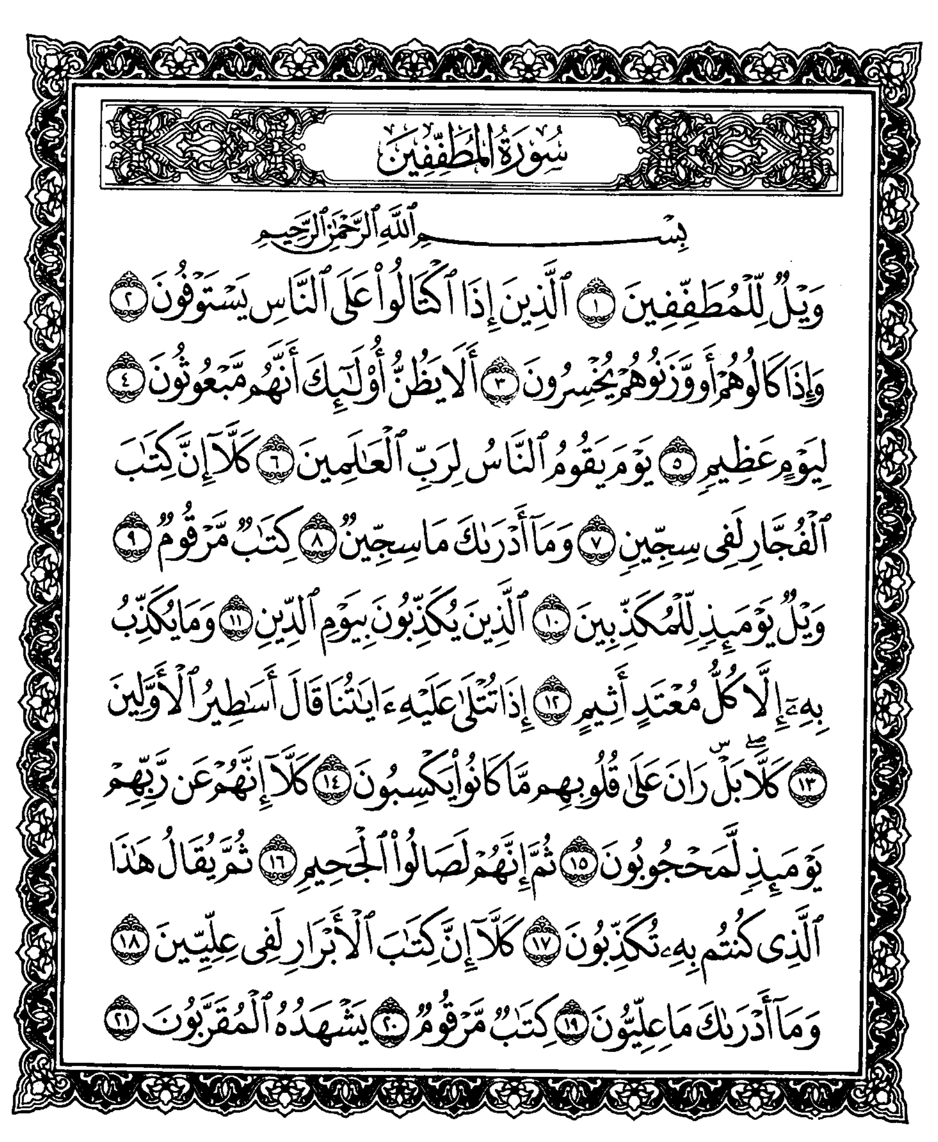
(س) هل جميع الناس يركبون طبقاً عن طبق أو هناك ممّن يُعطى الدرجات دون كدٍّ مسبق؟

(ج) ربّنا (سبحانه وتعالى) لا يعطي أحداً شيئاً من دون سعي يبذله إن كان قادراً، قال تعالى: ﴿وأَنْ لَيسَ لِلإنسَان إلاَّ مَا سَعَى﴾ حتّى أنّ الرسول ﷺ والمعصومين عليهم السلام من أئمّة أهل البيت إنّما يعطون الدرجات والجنّات جزاء ما سعوا وصبروا وجاهدوا في حياتهم الدُّنيا، وأمّا الذين لم يقدروا على الكدح والسعي إلى ربّهم مثل الذين لم يصلوا إلى سنّ التكليف وانتقلوا عن هذه الحياة، فإنّهم سوف ينالون حظّهم من الآخرة فضلاً من الله (عزّوجلّ) بالرغم من عدم دخولهم في معترك الصراع مع الحياة وعدم مكابدتهم لمشاقّ الحياة كغيرهم.

(س) هل الآية المباركة ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَق﴾ تُشير إلى الحالة الفردية لجميع الناس دون أن تشير إلى مجموعهم كأُمّة تحذو وتسير حَذو الأُمم السابقة لها؟

(ج) حسب الروايات الواردة أنّها تُشير أيضاً إلى الطبقات الجمَاعية لأُمّة الإسلام وعلى مرّ الزمن إذ أنّها تحذو حَذوهم وتفعل كما فعلوا وهم مخيّرون لا مسيَّرون، عن الإمام عليّ عليه السلام في حديث تفسيراً للآية «أي: لتسلكن سبيل من كان قبلكم من الأُمم في الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء»، وعن الإمام الباقر عليه السلام في الآية، قال: يا زرارة! أولم تركب هذه الأُمّة بعد نبيّها طبقاً عن طبق في أمر فلان وفلان وفلان؟» يعني الخلفاء الثلاث، إذاً هذه الأُمّة استنّت بالأُمم السابقة في عدم إطاعة رسولها فيما قال وأوصى.

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ



سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾
لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ
ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ
بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا قَالَ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ
﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ
يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَـٰذَا
ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾
وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾

إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

فضلها:

عن صفوان الجمّال، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «مَن قرأ في الفريضة (ويل للمطفّفين) أعطاه الله الأمن يوم القيامة من النار، ولم تره ولم يرها، ولم يمرّ على جسر جهنّم ولا يُحاسَب يوم القيامة».

مفردات السورة:

ويل: تأتي بمعاني: حلول الشرّ، الحزن، الهلاك.

روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «لم يجعل الله الويل لأحد حتّى يسمّيه كافراً،

قال (عزّوجلّ): ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[1]»[2].

المطفّفين: التطفيف نقص المكيال والميزان، وأصل التطفيف من (الطفّ) وهو جوانب الشيء وأطرافه، إنّما قيل لكربلاء المقدّسة بوادي الطفّ وذلك لوقوعها على ساحل نهر الفرات، وقد حُرم الإمام الحسين وأهل بيته الأطهار عليهم السلام أن يشربوا منه ظلماً وعدواناً.

اكتالوا: الاكتيال الأخذ بالكيل.

يستوفي: الاستيفاء أخذ الحقّ كاملاً.

مرقوم: من الرقم، قال الراغب: الرقم الخطّ الغليظ.

الأثيم: كثير الآثام.

أساطير: ما سطروه وكتبوه، والمراد بها في السورة أباطيل الأمم الماضية.

ران: الرين هو الصدأ.

عليّين: علوّ على علوّ.

السجّين: مبالغة من السجن كسكّير مبالغة من السُكر.

سبب نزول السورة:

قال ابن عبّاس: لمّا قدم نبيّ الله صلى الله عليه وآله المدينة، كانوا من أبخس الناس كيلاً، فأنزل الله هذه الآية، فأحسنوا الكيل بعد ذلك.

وقيل: كان تجّار المدينة يطفّفون، وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة، فنزلت هذه الآية، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فقرأها عليهم وقال: «خمسٌ بخمس»، قيل: يا رسول الله، وما خمسٌ بخمس؟

قال صلى الله عليه وآله: «ما نقض قوم العهد إلاّ سلّط الله عليهم عدوّهم!

وما حكموا بغير ما أنزل الله إلاّ فشا فيهم الفقر!

وما ظهرت فيهم الفاحشة إلاّ فشا فيهم الموت!

---

(١) مريم: ٣٧.

(٢) أصول الكافي ج٢ ص٣٢.

ولا طفّفوا الكيل إلاّ مُنعوا النبات وأُخذوا بالسنين!

ولا منعوا الزكاة إلاّ حُبس عنهم المطر!»[١].

وروى العلاّمة الطبرسي في مجمع البيان: أنّ رجلاً كان في المدينة يُقال له «أبو جهينة» كان له صاعان، يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر، فنزلت هذه الآيات[٢].

موضوع السورة:

١- تفتتح السورة بوعيد أهل التطفيف في الكيل والوزن، وتنذرهم بأنّهم مبعوثون للجزاء في يوم عظيم وهو يوم القيامة.

٢- تبيّن السورة المباركة بأنّ سبب الذنوب الكبيرة هو عدم رسوخ الإيمان بالبعث والقيامة.

٣- ثمّ تعرض جوانب من عاقبة الكفّار، وجوانب من النعم الإلهية التي أعدّها للمتّقين المحسنين.

٤- وأخيراً تشير إلى جزاء استهزاء الكفّار بالمومنين وعاقبة ذلك في اليوم الآخر.



الأسئلة والأجوبة

❁ قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾.

(س) ما هي العلاقة الموجودة بين سورة المطفّفين والسورة التي سبقتها؟

(ج) إنّ اتّصال سورة المطفّفين بآخر السورة المتقدّمة ظاهر، حيث ذكر في آخر السورة السابقة أنّ يوم القيامة ﴿يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ للهِ﴾، وفيه تهديد عظيم للعصاة ومنهم المطفّفون، ولهذا قال (عزّوجلّ) بعد تلك الآية ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾.

---

(١) تفسير الفخر الرازي، المجلّد الأخير ص٨٨.

(٢) مجمع البيان ج١٠ ص٤٥٢.

(س) ما هو التطفيف ومَن هو المطفّف؟

(ج) التطفيف هو البخس في المكيال والميزان بالشيء القليل على سبيل الخفية وذلك لأنّ الكثير يظهر فيمنع منه، والقليل إذا ظهر منع أيضاً.

وأمّا المطفّف، قال البعض: هو الذي يأخذ عند الشراء أكثر من حقّه، وعند البيع يعطي أقلّ من الحقّ الذي عليه، ولكن هذا القول غير صحيح بدليل قوله تعالى ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ وهو الآخذ بالكامل، ولا تدلّ الكلمة إلى أنّهم عند الشراء يأخذون الأكثر بل يأخذون حقّهم، ولكن عند البيع ينقصون حقّ الآخرين، كالذي يأتي في الوقت المقرّر عندما يريد أن يأخذ دَينه، ويتأخّر عن الموعد عندما يريد أن يعطي حقّ الآخرين، قال (عزّوجلّ) ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾.

(س) لماذا سُمّي المطفّف بهذا الاسم؟

(ج) إنّ طفّ الشيء هو جانبه، يُقال طفّ الإناء، إذا بلغ الذي فيه حرفه ولم يمتلئ فهو طفافه، ويقال هذا طف المكيال وطفافه، إذا قارب ملأه لكنّه لم يمتلئ، ولذا قيل للذي يسيء الكيل ولا يوفيه بالمطفّف.

وقال الزجّاج: إنّما وصف المطفّف بهذا الاسم وذلك لأنّه لا يسرق من المكيال والميزان إلاّ الشيء الطفيف أي اليسير.

(س) الاكتيال من الناس الأخذ منهم بالكيل، فلماذا قالت الآية المباركة: ﴿.. الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ..﴾ دون من الناس؟

(ج) إنّ التعدّي بعلى وذلك لإفادة الضرر، إذ إنّهم يفكّرون في منفعتهم دون أن يفكّروا ذلك للآخرين.

(س) لماذا عُدّ المطفّف مفسداً في الأرض كما فيما حكاه (عزّوجلّ) من قول شعيب عليه السلام: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي

الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[١]؟

(ج) إنّ المطفّف يراعي الحقّ لنفسه دون أن يراعيه للآخرين وفيه إفساد للاجتماع الإنساني المبني على حفظ الحقوق المتقابلة بين الناس وفي إخلاله إخلال وفساد كبير، ولهذا نرى الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوصي ولده الإمام الحسن عليه السلام وهي وصيّةٌ لنا، قال: «يا بنيّ اجعل لنفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك، فاحبب لغيرك ما تحبّ لنفسك واكره له ما تكره لها. . . »[٢]، فإذا انفقدت صفة حبّ الخير للآخرين تحوّلت الحياة إلى جحيم وغابة تضمّ مجموعة من الوحوش الكاسرة تفترس بعضها بعضاً.

في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «كان أمير المؤمنين علي عليه السلام يغتدي كلّ يوم بكرة من القصر، فيطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً، ومعه الدرّة على عاتقه (لمعاقبة المخالفين)، فينادي: يا معشر التجّار اتّقوا الله (عزّوجلّ)، فإن سمعوا صوته عليه السلام ألقوا ما بأيديهم، وأرعوا إليه بقلوبهم وسمعوا بآذانهم، فيقول عليه السلام: قدّموا الاستخارة، وتبرّكوا بالسهولة واقتربوا من المتباعدين، وتزيّنوا بالحلم، وتناهوا عن اليمين، وجانبوا الكذب، وتجافوا عن الظلم، وأنصفوا المظلومين، ولا تقربوا الربا، وأوفوا الكيل والميزان، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا في الأرض مفسدين، فيطوف عليه السلام في جميع أسواق الكوفة ثمّ يرجع فيقعد للناس»[٣].

❁ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾.

(س) لماذا عُدّ أخذ الحقّ بالكامل مذموماً حتّى أنّه هدّد عليه بالويل؟

(ج) أخذ الحقّ بالشكل الكامل ليس سيّئاً ولكن عدم إعطائه للآخرين هو السيّئ فالآية المباركة توعد مثل هذا الإنسان بالويل والعذاب الشديد.

---

(١) هود: ٨٥.

(٢) نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام.

(٣) أصول الكافي ج٥ ص١٥٠ ح٣.

❁ قال تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾.

(س) لماذا ذكرت الآية المباركة (الكيل) عند الشراء، بينما ذكرت الكيل والميزان عند البيع حيث قال (عزّوجلّ): ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾؟

(ج) ١ - كان التجّار الكبار لتلك الأزمان يستعملون المكيال عند شرائهم للكمّيات الكبيرة من المواد، لأنّهم ما كانوا يمتلكون الميزان الذي يستوعب وزن تلك المواد.

٢ - وقيل: إنّهم كانوا يفضّلون استعمال المكيال عند الشراء لصعوبة الغشّ فيه ويستغلّون الميزان عند البيع لسهولة الغشّ فيه.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ ولم يقل: وإذا كالوا لهم أو وزنوا لهم يخسرون؟

(ج) إنّه من كلام أهل الحجاز ومَن جاورهم، حيث يحذفون حرف الجرّ ويوصلون الضمير بالفعل فيقولون مثلاً: صدتُك أي صدتُ لك وكسبتُك أي كسبتُ لك.

(س) هل التطفيف منحصر بالكيل والوزن أم يمكن أن يشمل مفاهيم أخرى؟

(ج) الآيات الأولى من سورة المطفّفين تحدّثت عن التطفيف في الكيل والميزان، ولكن لا ينبغي حصر المفهوم بهما، فالتطفيف يمكن أن يشمل:

١ - العدد.

٢ - إنقاص الخدمة مقابل الأجر كما لو سرق العامل أو الموظّف من وقت عمله فسيكون بلا شكّ من حضيرة المطفّفين.

٣ - وتوسّع البعض في مفهوم الآية الشريفة بحيث قال: إنّه يشمل أيّ تجاوز لحدود الله تعالى، وأي إنقاص أو إخلال في الروابط الاجتماعية والضوابط الأخلاقية. مع أنّ ظاهر ألفاظ الآية لا يشير إلى هذه المعاني، ولكنّها لا تخلو من مناسبة[١].

عن ابن عبّاس أنّه قال: «الصلاة مكيال، فمن وفى، وفى الله له، ومن طفّف، قد

---

(١) تفسير الأمثل: سوررة المطفّفين: الآية.

سمعتم ما قاله الله في المطفّفين»[١].

❁ قال تعالى: ﴿أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾.

(س) ما المراد من الظن في الآية المباركة: ﴿أَ لاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، ولماذا قال ذلك؟

(ج) قال كثير من المفسّرين: إنّ الظنّ الوارد في الآية بمعنى العلم واليقين كقوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاَقُوا اللهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ﴾[٢]. وروي عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال في تفسير الآية: ﴿أَ لاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ قال: «أليس يوقنون أنّهم مبعوثون»[٣]. وقال البعض: إنّ الظنّ هنا هو الظنّ المتعارف (مع أنّ الواجب هو الاعتقاد العلمي بالمعاد) فإنّ مجرّد حسبان الخطر والضرر يوجب التجنّب عنه والتحرّز من اقترافه، فهذا الظنّ من شأنه أن يردع صاحبه عن اقتراف الذنب العظيم الذي يستتبع العذاب الأليم.

(س) لماذا أشار عن المطفّفين بـ(أولئك) التي تفيد للبعيد؟

(ج) وذلك للدلالة على بعدهم من رحمة الله تعالى بسبب عملهم اللاإنساني.

❁ قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

(س) ما سبب وكيفية وكمّية القيام لربّ العالمين؟

(ج) ١- سبب القيام لأجل الحساب، وعندها يظهر مدى خطورة التطفيف الذي كانوا يظنّونه بأنّه حقير لا يستحقّ العقوبة الكثيرة.

٢- وأمّا كيفية القيام، فإنّ الله (عزّوجلّ) يردّ الأرواح إلى أجسادها فتقوم تلك الأجساد من مراقدها، روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «يقوم أحدكم في رشحه ألى أنصاف

---

(١) مجمع البيان ج١٠ ص٤٥٢.

(٢) البقرة: ٢٤٩.

(٣) تفسير البرهان ج٤ ص٤٣٨.

أذنيه».

٣- وأمّا كميّة القيام، روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «يقوم الناس مقدار ثلثمائة سنة من الدنيا لا يؤمر فيهم بأمر».

وعن ابن مسعود: «يمكثون أربعين عاماً ثمّ يُخاطَبون».

وقال ابن عبّاس: وهو في حقّ المؤمنين كقدر انصرافهم من الصلاة، قال تعالى: ﴿لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [(١)]. وقال: ﴿مَنْ جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ﴾ [(٢)].

(س) هل هناك كتاب آخر، تُسجَّل فيه أعمال الإنسان بالإضافة إلى كتابه الخاصّ الذي يحمله بيمينه إن كان صالحاً وبشماله إن كان طالحاً؟

(ج) القرآن الكريم يشير إلى وجود كتابين آخرين بالإضافة إلى الكتاب الخاصّ، فالكتاب الثاني هو الكتاب الأُممي، وهو ما تُسجّل فيه أعمال الأمم، قال (عزّوجلّ): ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعى إلى كِتَابِهَا﴾ [(٣)].

أمّا الكتاب الثالث: هو صحيفة كلّ الأبرار أو الفجّار والذي أشار القرآن إليهما باسم (سجّين) و (علّيين)[(٤)].

وبهذا التعدّد للكتب سوف لا يبقى عذر للإنسان عند حسابه.

۞ قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّين * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾.

(س) ما هو السجّين وكيف يكون كتاب الفجّار فيه؟

(ج) يوجد تفسيران للآية أعلاه:

---

(١) الأنبياء: ١٠٣.

(٢) النّمل: ٨٩.

(٣) الجاثية: ٢٨.

(٤) تفسير الأمثل: سورة المطفّفين: الآية.

١- المراد من (الكتاب): هو صحيفة الأعمال، و (السجّين) هو الكتاب الجامع لكلّ صحائف أعمال الفجّار عموماً، بينما تُجمع أعمال الصالحين في كتاب آخر اسمه (علّيين).

الذي يؤيّد هذا الرأي:

أ) غالباً ما ورد في القرآن كلمة (كتاب) بمعنى صحيفة الأعمال.

ب) ظاهر الآية ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ يشير إلى أنّه تفسير لـ(سجّين).

جـ) قيل إنّ معنى سجّين هو سجّيل بمعنى (الكتاب الكبير)[١].

٢- قيل إنّ المراد من (سجّين) هي جهنّم، و (كتاب الفجّار) هو ما قُرّر لهم من عاقبة ومصير فيكون المراد هو: أنّ جهنّم هي المصير المقرّر للسيّئين، وذكر القرآن الكريم كلمة (كتاب) بمعنى الحكم والمصير كما في قوله (عزّوجلّ): ﴿وأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ الله﴾[٢]، أي فيما قرّره وجعله من الأحكام.

يؤيّد هذا الرأي:

عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «السجّين الأرض السابعة. وعلّيون السماء السابعة»[٣].

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «إنّ الملَك لَيصعد بعمل العبد مبتهجاً فإذا صعد بحسناته يقول الله (عزّوجلّ): اجعلوها في سجّين، إنّه ليس إيّاي أراد فيها»[٤].

على أيّة حال لا مانع من الجمع بين التفسيرين، وإن كان الأقرب أن يكون المراد من سجّين هو المبالغة في السجن، كقولنا: سكّير أي كثير السكر.

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾.

(س) مَن هم هؤلاء المكذّبين؟

---

(١) روح المعاني ج٣٠ ص٧٠.

(٢) الأنفال: ٧٥.

(٣) تفسير علي بن إبراهيم ج٣ ص٤١٠.

(٤) نور الثقلين ج٥ ص٥٣٠ ح١٩.

(ج) إنّهم الكفّار الذين يكذّبون بيوم القيامة تكذيباً صريحاً دون أيّ مجاملة وتردّد، ولا تشمل الآية الفسقة من أهل الإيمان منهم المطفّفين، اللّهمّ إلاّ إذا شملت الآية التكذيب العملي عندها تشمل المطفّفين كما الكفّار، ويؤيّده قوله تعالى: ﴿أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾(١).

(س) ماذا يُفهم من قوله (عزّوجلّ): ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾؟

(ج) الذي يُفهم من قوله تعالى هو أنّ منكري القيامة لا يستندون إلى منطق عقلي سليم ولا إلى تفكير صحيح، بل إنّه نابع من الاعتداء على الحقّ ومن ارتكاب الذنوب والآثام المختلفة، وكلمة (أثيم) تدلّ على استمرارية ذلك الإنسان في ارتكاب الموبقات التي تدعوه إلى التكذيب بيوم الجزاء. الآية كقوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾(٢).

❁ قال تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾.

(س) لماذا نرى البعض يتّهم القرآن بالباطل فيقول مثلاً إنّه أساطير الأوّلين، أو إنّه لا يمتلك علاقة ومسايرة مع التطوّر الحضاري المستمرّ؟

(ج) إنّ الاتّهام الذي يصدر من هؤلاء بشان القرآن الكريم، بأنّه قصص وحكايات الغابرين أو ليس له مسايرة مع متطلّبات الإنسان والحضارة، إنّ هذا الكلام يصدر ممّن توغّل في الاعتداء المسبق على الحقّ والمقدّسات ومن ثمّ استمرّ في الإثم والمعاصي، وأنّه لم يؤمن بالله (عزّوجلّ) الإيمان المطلوب ولم يتورّع عن الإثم والمحرّمات، بل يرتكبها كلّما صارت أمامه. ولهذا جاءت هذه الصفة بعد ذكر الصفتين للمكذّب بيوم الدين وهما ﴿مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾، وهذا هو كلام الطغاة والظالمين على مرّ الزمان والعصور، الذين يرمون الحقّ وأهله بالسحر والكذب والأساطير وغير ذلك.

---

(١) المطففين: ٤.

(٢) القيامة: ٥.

❁ قال تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

(س) ما هي الدروس التي يمكن أن نستلهمها من الآية المباركة؟

(ج) ١- إنّ للذنوب والأعمال السيّئة دوراً كبيراً في إماتة القلب، وإبعاده عن نور الله(عزّوجلّ). روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «إيّاكم والمحقرات من الذنوب، فإنّ الذنب يوقد على صاحبه جحيماً ضخمة»[1].

٢- إنّ التعدّي على المبادئ الإلهية والاستمرار في الذنوب يودّيان إلى ظهور الرَين على القلب، والرين هو صدأ يعلو الشيء الجليل، كما قال الراغب: فيعمى القلب من معرفة الخير من الشرّ.

٣- النفس بطبعها وبخلقتها الأولى تعرف الخير والشرّ بصورة كاملة، ولكنّ الإنسان هو الذي يميتها ويعميها عن معرفة الحقّ، قال (عزّوجلّ): ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[2].

(س) ما هو المقصود من (كلاّ) في قوله تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾؟

(ج) إنّه ردع عن مقالتهم الباطلة بأنّ القرآن (أساطير الأوّلين)، إنّ الذي دعاهم أن يقولوا ذلك هو الرَين المظلم الذي كسى قلوبهم حتّى حال بينهم وبين الهدى ونور الله (عزّوجلّ).

(س) من أين يأتي الرَين على القلب؟

(ج) الرَّينُ يأتي من الذنب الدي يقترفه الإنسان، قال تعالى: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3]، فيُجزى الإنسان بالحسنة أضعافها وبالسيّئة بالمثل، قال تعالى: ﴿وَجَزَاء

(١) التفسير الكبير ج٣١ ص٩٤.
(٢) الشمس ٧-٨.
(٣) الصّافات: ٣٩.

﴿سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾[١]، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «إنّ العبد إذا أذنب ذنباً نُكتت في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب ونزع واستغفر صُقل قلبه، وإن عاد زادت حتّى تعلو قلبه فذلك الرَّين الذي ذكره الله في القرآن: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»[٢].

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾.

(س) لماذا قالت الآية المباركة: ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ ولم تقل عن الله (تعالى)؟

(ج) إنّ الحجاب الذي سيكون يوم القيامة هو بينهم وبين ربّهم الرحيم الذي كان يرحمهم في الدنيا، فلا رحمة لهم ولا كرامة بعد هذه الحياة، لأنّهم استمرّوا في الذنوب التي كانت تحول بينهم وبين ربّهم الكريم، ثمّ ليس هناك حجاب بينهم وبين الله تعالى، فإنّ المعرفة التامّة به سوف تحصل للجميع، قال (عزّوجلّ): ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾[٣]، وقال (عزّوجلّ): ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[٤]، و(كلاّ) هنا ردع لهم عن كسب الذنوب الحائلة بين القلب وإدراك الحقّ.

والآية بشكل عامّ ردّ لقول البعض كما ذكره القرآن الكريم حيث قال: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾[٥]، فجاءت الآية لتقول: ليس الأمر كما يقولون بل: ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾.

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾.

(س) متى يصلون الجحيم؟

(ج) يدخلون الجحيم الكبرى بعد أن ثبت عليهم أنّهم لا يستحقّون أيّ رحمة وكرامة بعد أن

---

(١) الشّورى: ٤٠.

(٢) الدرّ المنثور ج٦ ص٣٢٥.

(٣) النّور: ٢٥.

(٤) غافر: ١٦.

(٥) فُصّلت: ٥٠.

كانوا يعيشون في طيش واعتداء وفساد في حياتهم الدنيا، لذلك يدخلون النار التي أعدّوها لأنفسهم بفعل أفعالهم الخبيثة، و(ثمّ) هنا وما بعدها للتراخي.

۞ **قال (عزّوجلّ): ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.**

(س) لماذا يُقال لهم مثل هذا الكلام وهم في جهنّم؟

(ج) يُقال لهم ذلك لأجل التوبيخ واللوم والإهانة، أي لتعذيبهم روحياً كما أنّهم يُعذّبون جسدياً، والقائل خزنة جهنّم أو أهل الجنّة. يقول القرآن الكريم: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[1].

۞ **قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾.**

(س) ما المراد من العلّيين في الآية المباركة، ولماذا جاءت بصيغة الجمع؟

(ج) (علّيين) جمع (عليّ) وهو المكان المرتفع، جاءت بصيغة الجمع للتأكيد على علوّ شأنهم ومكانهم، أو أنّهم (علوٌّ في علوّ)، وتفسير الآية يشبه تفسير كتاب الفجّار.

قال المفسّرون:

١- إنّ صحيفة أعمال الأبرار تُجمع في الديوان العامّ (علّيين) وهو ديوان عالي المقام والشرف.

٢- وقال البعض الآخر: إنّ صحيفة أعمال الأبرار تكون في أشرف مكان أو في أعلى مكان في الجنّة وهذا يكشف عن علوّ شأنهم ورفعة كرامتهم عند الله تعالى.

جاء في الحديث الشريف: «علّيون في السماء السابعة تحت العرش»[2].

والمراد من ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ هنا هو أمرٌ مكتوب ومقضيّ قضاء حتميّ لا إبهام فيه بل متبيّن.

---

(١) آل عمران: ١٩٢.

(٢) القرطبي ١٠ / ٧٠٥٣.

عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إنّ الله (عزّوجلّ) خلقنا من أعلى علّيين وخلق قلوب شيعتنا ممّا خُلقنا منه، وخلق أبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوي إلينا لأنّها خُلقت ممّا خُلقنا، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾، وخُلق قلوب عدوّنا من سجّين وخُلق قلوب شيعتهم ممّا خُلقهم منه وأبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوى إليهم لأنّهم خُلقوا ممّا خُلقوا، ثمّ تلا هذه الآية: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّين * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾».

❁ قال تعالى: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ* يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾.

(س) مَن هم المقَرَّبون الذين يشهدون وينظرون إلى كتاب الأبرار بقوله (عزّوجلّ): ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾؟

(ج) هم قومٌ من أهل الجنّة، أعلى درجة من عامّة الأبرار ولهم مقام مرموق، يتمكّنون من خلاله مشاهدة صحيفة أعمال الأبرار والصالحين، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[1].

(س) هل يمكن القول بأنّ المراد من المقرّبين في الآية المباركة ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ هم الملائكة؟

(ج) إنّ الاية التي ستأتي بعدها وهو قوله تعالى: ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ لا يمكن أن تقبل القول بأنّ المراد بهم هم الملائكة.

❁ قال تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيم * عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾.

(س) قال (عزّوجلّ): ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيم﴾ كيف يتجلّى لنا هذا الأمر، أو كيف نعرف أنّهم في نعيم؟

---

(١) الواقعة: ١٠ ـ ١١.

(ج) ١- ﴿عَلَى الأرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾.
٢- ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾.
٣- ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾.

(س) لماذا الجلوس على الأرائك وهي الأسرّة الفاخرة المزيّنة، أوَليس الجلوس على الأرض هو الأفضل والأكثر تواضعاً لله تعالى؟

(ج) ليس في الجنّة حساب وكتاب، بل للأنسان فيها ما تشتهي نفسه، قال (عزّوجلّ): ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأنْفُسُ وَتَلَذُّ الأعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [١]، وفي الجلوس على الأريكة لذّة أكثر ممّا على الأرض.

۞ قال تعالى: ﴿عَلَى الأرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾.

(س) إلى ماذا ينظر الأبرار وهم جلوس على الأرائك؟

(ج) جاءت كلمة (ينظرون) مطلقة وذلك لإعطاء مفهوم السعة والشمول فيُسمح لهم النظر إلى جميع ألطاف الله (عزّوجلّ) ونعمه على خلقه في الجنّة الباهرة والى ما أودع فيها من جمال وكمال وبهاء، وفي هذا النظر اللذّة والكرامة الكبرى للإنسان[٢]، وقيل ينظرون إلى الحور العين والولدان المخلّدين والى أنواع الأطعمة الأشربة والملابس والمراكب[٣].

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾.

(س) كيف حصل الأبرار على السعادة الكبرى الطافحة على وجوههم، حتّى إذا نظر الإنسان إليهم يعرف فيهم نضرة النعيم وهي إشارة إلى نشاطهم وأريحيّتهم؟

(ج) إنّ السعادة العظمى جاءت لهم بفعل نضر الله (عزّوجلّ) ونظرهم إليه فهم ليسوا

---

(١) الزخرُف: ٧١.
(٢) تفسير الأمثل: الآية.
(٣) التفسير الكبير: الآية.

كأولئك الذين باعوا دينهم بثمن بخس لأجل متاع الدنيا، قال (عزّوجلّ): ﴿إنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الأْخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... ﴾[1]، فهم ينظرون بقلوبهم إلى ربّهم تعالى، قال (عزّوجلّ): ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذ نَاضِرَةٌ * إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[2]. ولهذا ترى في وجوههم ﴿نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾.

(س) كيف يَعرف الناظر إلى الأبرار أنّهم في نعيم؟

(ج) ١- يعرف ذلك من ضحكهم واستبشارهم، قال (عزّوجلّ): ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾[3].

٢- قيل إنّ الله (تعالى) يزيد في وجوههم من النور والحُسن والبياض.

٣- قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ما أضمر ابن آدم شيئاً إلاّ وظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه».

فلهذا يُعرف عند النظر إلى الأبرار أنّهم في غاية السعادة والسرور والكمال.

۞ **قال (عزّوجلّ): ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيق مَخْتُوم﴾.**

(س) ما هو الرحيق ولماذا يُختم؟

(ج) الرحيق هو الشراب الصافي الخالص من الغشّ، ولعلّه نوع آخر من الخمر، وهو أفضل من الخمر الذي يجري بصورة أنهار، قال (عزّوجلّ): ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْر لَذَّة لِلشَّارِبِينَ﴾[4].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا عليّ مَن ترك الخمر لله سقاه الله من

(١) آل عمران: ٧٧.

(٢) القيامة: ٢٢ـ٢٣.

(٣) عبس: ٣٨ـ٣٩.

(٤) محمّد: ١٥.

الرحيق المختوم»[١].

وعن الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام أنّه قال: «مَن سقى مؤمناً من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم»[٢].

وهذا النوع (المختوم) إشارة إلى أنّه يحمل صفات مميّزة تميّزه عن غيره من الأشربة وفيه تأكيد لخلوصه وطهارته، لكونه مختوم بختم إلهي لا يمكن الوصول إليه وإدخال الغشّ فيه، كما تحدث في الأشربة الدنيوية، حيث يمكن التلاعب بالمختومات بالرغم من ختمها[٣].

(س) إنّما يُختم على الأشياء مخافة الغشّ والتلاعب، فهل في الجنّة شيءٌ من هذا لكي يُختم عليه، قال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾؟

(ج) إنّ الختم هنا لم يوضع مخافة مفسدة، بل وُضِع لأجل الاحترام والتكريم الخاصّ على ما جرت به العادة من ختم ما يُكرم ويُصان، وهذا الختم لا يُفتح إلاّ بيد الأبرار.

۞ قال تعالى: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾.

(س) لماذا بيّن الله تعالى نوع الختام الذي استُعمل في ختم الرحيق، فقال ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾؟

(ج) وذلك لأجل التمييز والتفريق بين هذا الختم والختوم التي تستعمل في الدنيا فمن الفروق الموجودة بين هذين الختمين:

١- إنّ ختوم الدنيا تلوّث الأيدي، بينما في الجنّة لا يحصل هذا.

٢- عند فتح المختوم يرمى الختم في سلّة الأوساخ، بينما في الجنّة يُستفاد منه.

٣- ليس لختوم الدنيا رائحة طيّبة تفتح القلب، ولكن في الجنّة الختم مسك يبعث البهجة والسرور إلى القلب[٤].

---

(١) نور الثقلين ج٥ ص٥٣٤ ح٤٠.

(٢) نور الثقلين ج٥ ص٥٣٤ ح٣٧.

(٣) تفسير الأمثل: سورة المطفّفين: الآية.

(٤) تفسير الأمثل: الآية.

۞ قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾.

(س) ما هو المقصود من قوله (عزّوجلّ): ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾، والى ماذا يشير ذلك؟

(ج) (المنافسة): مجاهدة النفس للتشبّه بالأفاضل واللحوق بهم من غير إدخال ضرر على غيره. الآية المباركة من القطع البلاغية القرآنية الرائعة، (الواو) و (الفاء) في ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ حرفا عطف، وسبب وجودهما معاً هو وجود شرط محذوف والتقدير: (وإن أُريد التنافس في شيء فليتنافس في ذلك المتنافسون) فحُذفت أداة الشرط والجملة الشرطية وقدّمت (في ذلك).

فيكون المعنى فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله (عزّوجلّ) لكي يكون تنافسهم في مثل ذلك النعيم العظيم الدائم الذي ذكره في الآيات السابقة، لا في النعم المكدّرة والسريعة الفناء.

۞ قال تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾.

(س) ما هو الفرق بين (الرحيق المختوم) وبين ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾؟

(ج) بما أنّ المقرّبين هم أعلى درجة من الأبرار لذا فإنّ الشراب الذي أُعدَّ لهم أفضل وأكمل، إنّ شراب المقرّبين من الرحيق المختوم ولكنّه ممزوج بالتسنيم. وهذا الشراب الممزوج فيه من اللذّة والدرجة ما ليس في الرحيق المختوم المختصّ بالأبرار، والتسنيم هو أشرف شراب في الجنّة لأنّه لا يشربه إلاّ المقرّبون، ومعناه في اللغة هو الماء الذي يجري من الأعلى إلى الأسفل.

(س) مَن هم الأبرار والمقرّبون؟

(ج) إنّ الأبرار هم أصحاب النفوس الطاهرة والأبيّة الذين يخلطون القول بالعمل الصالح لوجه الله (عزّوجلّ) ورضوانه.

وأمّا (المقرّبون) هم الذين ينالون مقام القرب عند الله (تبارك وتعالى).

وما بينهما عموم وخصوص مطلق، حيث كلّ المقرّبين أبرار، وليس كلّ الأبرار

مقرّبين.

روي عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام أنّه قال: «كلّما في كتاب الله (عزّوجل) من قوله ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ﴾ فوالله ما أراد به إلاّ عليّ بن أبي طالب وفاطمة وأنا والحسين» عليهم السلام[1]، وأنّهم أفضل مصاديق الأبرار والمقرّبين كما يصرّح القرآن بذلك، ولا يمنع انطباق كلمة الأبرار على غيرهم أيضاً.

❁ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾.

(س) هل للآية سببٌ للنزول؟

(ج) ذكر الفخر الرازي في تفسيره، أنّها نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وذلك.. أنّه كان في نفر من المسلمين جاءوا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فسخر منهم المنافقون، وضحكوا، وتغامزوا... فنزلت الآية قبل أن يصل عليّ عليه السلام وأصحابه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله[2].

(س) ما علاقة الآيات بما سبقتها؟

(ج) الآيات السابقة تحدّثت حول النعم الإلهية الكبرى التي أُعدّت للأبرار والصالحين في الحياة الآخرة، وأمّا الآيات التالية لها تتحدّث حول بعض الأزمات والمحن التي واجهها المتّقون في حياتهم الدنيا من أعداء الله (عزّوجلّ) وهم المجرمون، حيث كانوا ينقصون من شأنهم من دون علم وفهم وعقل. نعم الذي كان يدفعهم هو الطغيان والتكبّر والابتعاد عن الله (سبحانه وتعالى).

(س) ما هي صور معاملة الكفّار للمؤمنين؟

(ج) الآيات المباركات تشير إلى أنّ الكفّار كانوا يمتلكون أربعة أساليب مع المؤمنين:

١- كانوا يضحكون ويستهزئون بهم. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ

---

(١) نور الثقلين ج٥ ص٥٣٣ ح٣٣.

(٢) التفسير الكبير: الآية.

آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ .

٢- يتغامزون بينهم لأجل التنقيص بهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ .

٣- يشعرون بنشوة النصر والفخر من عملهم القبيح هذا. قال تعالى: ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ .

٤- اتّهام المؤمنين بالضلال والخسارة. قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ .

(س) إنّ المراد من الذين آمنوا هم الأبرار الموصوفون في الايات، فلماذا عبّر عنهم هنا بالذين آمنوا؟

(ج) وذلك للإشارة إلى السبب الذي دفع المجرمين إلى الضحك عليهم، وهو الإيمان بما أمر الله (سبحانه وتعالى) به. قال (عزّوجلّ): ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ .

۞ قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾.

(س) ما هي بعض صور الغمز الذي كانوا يمارسونه على المؤمنين؟

(ج) ١- عندما كان يمرّ المؤمنون من أمامهم، كان أحدهم يؤشّر إلى الآخر ويقول: انظر إلى هؤلاء الحفاة العراة السذّج يدّعون القرب عند الله، ويدّعون نزول الوحي ويدّعون بأنّهم سوف يدخلون الجنّة بعد أن تصير أجسامهم تراباً.

٢- ويقولون هذا الكلام عندما يمرّون هم بالمؤمنين ولكنّه أقلّ جرأةً وتهكّماً لأنّهم لا يستطيعون فعل ذلك أمامهم وهم جمعٌ كثير.

٣- أحياناً يؤشّرون بالجفن والرأس أو اليد أو الرجل لأجل الاستهزاء بالمؤمنين.

۞ قال تعالى: ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾.

(س) ما هو السبب الذي يدعوهم إلى الفرح والضحك عند الرجوع إلى أهلهم بقوله (تعالى): ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾؟

(ج) إنّهم يتصوّرون قد حقّقوا نصراً كبيراً وعملاً عظيماً عندما ضحكوا على المؤمنين فهم من جانب يتفكّهون بذكر المؤمنين بالسوء، ومن جانب آخر معجبون بأنفسهم وبما هم فيه من الكفر والمعصية والنفاق.

۞ قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾.

(س) لماذا نرى الكفّار والمجرمين يصفون المؤمنين بالضلال والخسارة، قال (عزّوجلّ): ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾؟

(ج) يتّهمونهم بالضلال والخسارة للأسباب التالية:

١- إنّهم تركوا سنّة الآباء والأجداد والعشيرة، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾[1].

٢- تركوا اللذائذ الطيّبة الحاضرة ويتوقّعون هناك لذّة كبيرة ولكنّها غائبة.

٣- الذي يتّبع الرسل هو الفقراء والضعفاء ولو كان خيراً ما تركناه، قالوا: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾[2].

۞ قال تعالى: ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾.

(س) ما مناسبة مجيء الآية المباركة، بعد ذكر صور من معاملات وتقوّلات الكفّار الباطلة على المؤمنين؟

(ج) الآية المباركة جاءت لتردّ المستهزئين بأجمل وأعظم ردّ، فتقول لهم إنّ الله (تعالى) لم يبعثكم رقباء ومسؤولين على المومنين تحفظون عليهم أعمالهم وتعيبونهم على ما يعتقدون وتتّهمونهم بالضلال، هل إنّ مهمّتكم في الحياة هي هذه، كلاّ إنّكم لم تُخلقوا لأجل هذا، بل أنتم مأمورون بإصلاح أنفسكم وأخلاقكم، قال تعالى: ﴿كُلُّ

---

(١) الزخرُف: ٢٣.

(٢) هود: ٢٧.

نَفْس بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[١]، وقال ﴿كُلُّ امْرِئ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[٢].

۞ قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾.

(س) ما هو الأمر الذي يجعل المؤمنين يضحكون من الكفّار يوم القيامة؟

(ج) ١ - العذاب والبلاء الذي سيدخلونه، فإنّهم في الدنيا كانوا يضحكون من المؤمنين بسبب ما هم فيه من ضُرّ وفقر، ولكن في الآخرة سينعكس الأمر، إذ سيكون المؤمنون في خير وعزّ وسعادة ورفاه بينما الكفّار سيكونون في بلاء وشقاء دائمَين، عندها سيضحك المؤمنون على الكافرين.

٢ - الاستهزاء الذي يواجهونه ذلك اليوم ﴿جَزَاءً وِفَاقاً﴾[٣] بما كانوا يستهزئون بالمؤمنين في الحياة الدنيا، قال (عزّوجلّ): ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٤].

روي أنّه يُقال لأهل النار وهم فيها: اخرجوا، وتفتح لهم أبوابها، فإذا رأوها قد فُتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم وهم على الأرائك، فإذا انتهَوا إلى أبوابها غُلّقت دونهم، فهذا أحد أسباب الضحك.

۞ قال تعالى: ﴿عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾.

(س) إلى ماذا ينظرون؟

(ج) قيل إنّهم ينظرون إلى مناظر الجنّة العظيمة وإلى ما فازوا به من الألطاف الإلهية من النعيم المقيم، وإلى ما أصاب الكفّار والمجرمين من العذاب الأليم.

۞ قال تعالى: ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

(س) هل للكافر ثوابٌ في الآخرة؟

---

(١) المدّثّر: ٣٨.

(٢) الطُّور: ٢١.

(٣) النبأ: ٢٦.

(٤) الصّافات: ٣٩.

(ج) بما أنّ الكفّار كانوا في الحياة الدنيا يتعاملون مع الشيطان الرجيم ويطيعونه بالشكل الكامل ولهذا فهم يُردّون إليه يوم القيامة ليعطيهم جزاءهم ولكن عندما يأتونه لا يجدونه إلاّ وقد تبرّأ منهم ومن عملهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

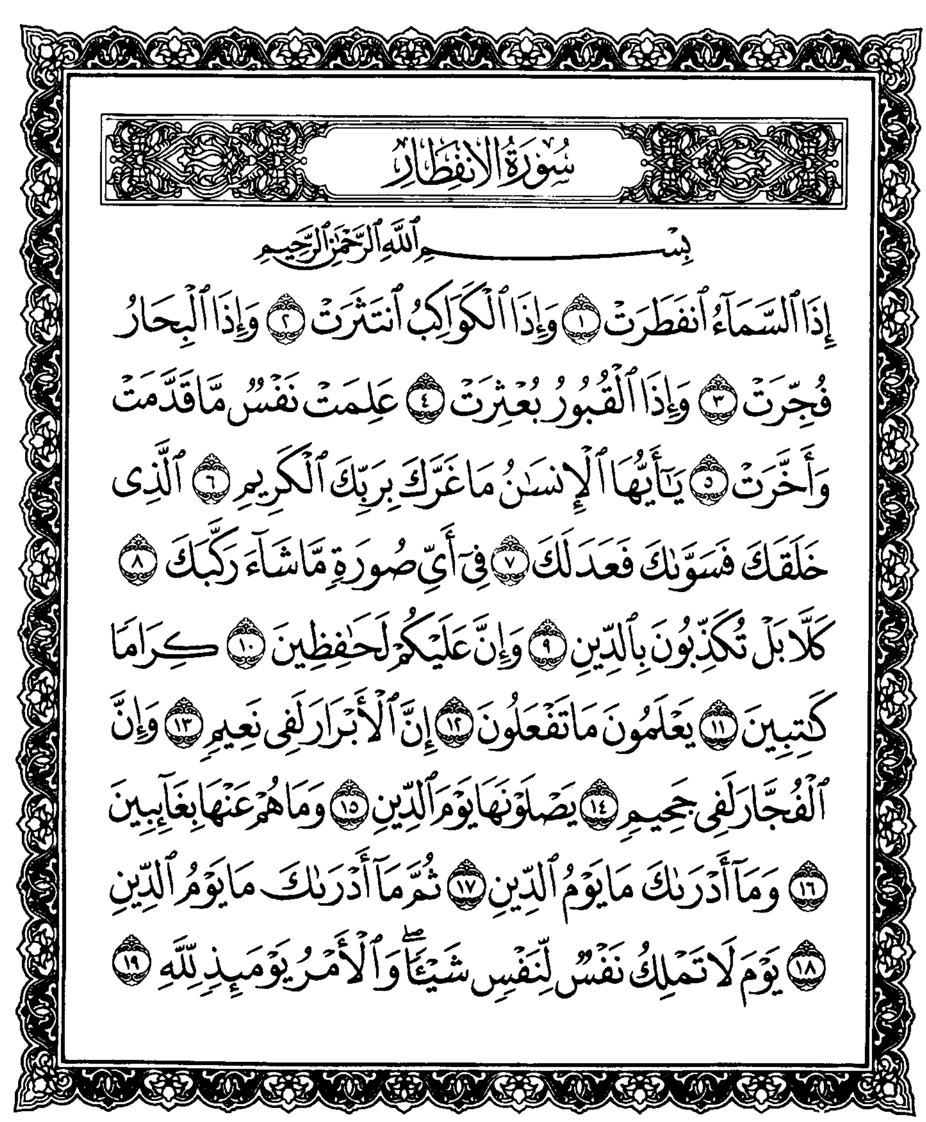
وقد حذّر الله تعالى خلقه من مغبّة إطاعة الشيطان وذلك على مدار الخطّ من عالم الذرّ إلى عالم التكليف. قال تعالى: ﴿أَ لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لاَ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَ فَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾[2].

---

(١) إبراهيم: ٢٢.

(٢) يس: ٦٠ ـ ٦٢.

سُورَةُ الانفِطَار



سُورَةُ الانفِطَار

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ
فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ
وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى
خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾
كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا
كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ
ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ
﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ
﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

فضلها:

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «مَن قرأ هاتين السورتين: (إذا السماء انفطرت) و (إذا السماء انشقّت) وجعلهما نصب عينيه في صلاة الفريضة والنافلة، لم يحجبه من الله حاجب، ولم يحجزه من الله حاجز، ولم يزل ينظر إلى الله وينظر الله إليه حتّى يفرغ من حساب الناس»[١].

مفردات السورة:

انفطرت: الفطر الشقّ والانفطار الانشقاق.

انتثرت: تفرّقت.

فُجّرت: التفجير الخرق ومنه الفجور لانخراق صاحبه بالخروج إلى الذنوب.

بُعثرت: البعثرة هو إثارة الشيء بقلب باطنه إلى ظاهره.

جحيم: الجحمة شدّة تأجّج النار.

موضوع السورة:

السورة المباركة تذكر بعض الحوادث التي ستحدث مع قيام الساعة، عندها يعلم الإنسان جميع أعماله التي قام بها في حياته الدنيا، ثمّ تستفهم الإنسان وتسأله ما الذي دعاه أن يبتعد عن ربّه الكريم الرحيم الذي أغدق عليه الكثير الكثير حتّى قال (عزّوجلّ): ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ الله لاَ تُحْصُوهَا﴾[٢]، ثمّ تذكر السورة المباركة بأنّ أعمال الإنسان محفوظة عليه بواسطة الملائكة الموكلين، وسيرى الجزاء عليها فإذا كان صالحاً بارّاً فهو إلى نعيم، وإذا كان فاجراً ظالماً لنفسه فإلى جحيم، وأخيراً تذكر بأنّ يوم القيامة ﴿لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله﴾.



(١) مجمع البيان ج١٠ ص ٤٤٧.

(٢) إبراهيم: ٣٤.

الأسئلة والأجوبة

۞ قال تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاء انْفَطَرَتْ﴾.

(س) ما المراد من انفطار السماء وماذا يحدث عندها؟

(ج) انفطار السماء أي انشقاقها، قال (عزّوجلّ): ﴿إِذَا السَّمَاء انْشَقَّتْ﴾[1]، وقال: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾[2]، وقال (عزّوجلّ) ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاء فَكَانَتْ أَبْوَاباً﴾[3]، فعندما تنفطر السماء وتنشقّ تتناثر النجوم وتتفرّق، ﴿.. وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾.

(س) ما هي العوامل التي تؤدّي إلى انفطار السماء وانتثار الكواكب وتفجّر البحار وغير ذلك من التغييرات العظيمة التي ستحدث مع قيام القيامة الكبرى؟

(ج) قيل يحدث ذلك بسبب إحداث خلل في التعادل الموجود في الجاذبية، قال تعالى: ﴿..رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾[4]. وقيل إنّ ثمّة قوّة هائلة ستفعل ذلك.

ويقول العلم الحديث: إنّه بسبب التوسّع المستمرّ الحاصل في العالم كما قال (عزّوجلّ): ﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[5]. والحقّ لا يستطيع أحد أن يتكهّن سبب ذلك بدقّة، بل علمه عند الله (تبارك وتعالى).

(س) ذكر القرآن الكريم الحوادث والمستجدّات التي ستطرأ على الكون في عدّة سور وأكّد ذلك تكراراً ومراراً وبصور مختلفة، فمرّة قال في سورة النبأ ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ

---

(١) الانشقاق: ١.

(٢) الرّحمن: ٣٧.

(٣) النبأ: ١٩.

(٤) الرعد: ٢.

(٥) الذّاريات: ٤٧.

مِيقَاتاً * يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً * وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً ﴾[١] ، وقال في سورة التكوير : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾[٢] ، وذكر ذلك في سورة الانشقاق والزلزلة والقارعة وفي هذه السورة أيضاً ، فما هو الهدف من تكرار ذكر الحوادث التي ستحدث للكون مع مجيء يوم القيامة؟

(ج) قد يكون السبب في التأكيد القرآني لهذا الأمر هو:

١- لأجل تحذير الإنسان بأن لا يتّخذ هذا العالم الفاني هدفه من الحياة والخلق ، ممّا يؤدّي به إلى انشغاله عن خالقه بالشكل الكامل ، وقد قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[٣] ، فالآيات في هذا الصدد تقول للإنسان : دع عنك هذا التفكير الباطل إنّك سوف تنتهي بل وحتّى السماوات والجبال والأرض والبحار سوف تنتهي وتتلاشى .

٢- لعلّ الهدف هو لأجل تعريف الإنسان بما سيحدث في المستقبل لكي لا يندهش ولا يستغرب ، وهذا ما سيكون عليه المؤمنون حيث : ﴿لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾[٤] .

❁ قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾.

(س) كيف تُفجّر البحار وما سبب ذلك؟

(ج) إنّ البحار متّصلة اليوم فيما بينها بنوع ما ، ولكن هذا الاتّصال سيكون بشكل آخر يوم القيامة ، فبسبب زلزلة الأرض الكبرى : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[٥] ، وبسبب تحطيم الجبال ووقوعها في البحار ، هذه الأمور ستؤدّي إلى تمزّق الحدود الموجودة بينها

---

(١) النبأ : ١٧ ـ ١٩ .

(٢) التكوير ١ ـ ٣ .

(٣) الذّاريات : ٥٦ .

(٤) الأنبيَاء : ١٠٣ .

(٥) الزلزلة : ١ .

كما قال (عزّوجلّ): ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَ يَبْغِيَانِ﴾[1]، ومن ثمّ فيضانها حتّى تصير بحراً واحداً يشمل جميع الأرض فيختلط العذب منها بالمالح بعد أن كان بينهما برزخ وحاجز.

وهناك احتمال، بأنّ البحار سوف تسجَّر أيضاً يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[2] والتسجير هو الانفجار والاحتراق.

(س) كيف نفهم علمياً عملية انتهاء مياه البحار والمحيطات، التي تغطّي ثلاثة أرباع الأرض وبأعماق كبيرة بحيث تغرق فيها البواخر العظيمة؟

(ج) الماء يتكوّن من عنصرين شديدي الاشتعال، فكلّ جزيئة ماء تتكوّن من ذرّتي هيدروجين وذرّة أوكسجين (H2O)، فعند تحليل الجزيئة وفصل الهيدروجين عن الأوكسجين، تكفي عندها شرارة نارية صغيرة لجعلها قطعة نارية ملتهبة. وقيل إنّ البحار تتغيّر عن صورتها الفعلية وذلك بسبب تغيّر الأرض وتبدّلها عن صفتها الأولى كما قال (عزّوجلّ): ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾[3]، وأمّا تغيّر الجبال يكون بسبب النسف الربّاني لها ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً * فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً﴾[4].

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾.

(س) ما المراد من بعثرة القبور ولماذا تُبعثَر؟

(ج) البعثرة هو إثارة الشيء بقلب باطنه إلى ظاهره، فالمراد من بعثرة القبور هو قلب تراب القبور لإخراج الموتى، وبعثهم أحياء للجزاء، فالهدف الأوّل من بعثرة القبور هو إخراج الناس لأخذهم إلى محكمة العدل الإلهية.

---

(١) الرّحمن: ١٩ ـ ٢٠.

(٢) التكوير: ٦.

(٣) إبراهيم: ٤٨.

(٤) طه: ١٠٥ ـ ١٠٦.

وقيل: إنّ القبور تُبعثر لأجل إخراج ما في بطنها من ذهب وفضّة وهو من أشراط الساعة وهناك هدف من وراء ذلك كما قيل هو للمحاسبة والمعاتبة والتوبيخ، أو لأجل تعذيب الذين كانوا يكنزونها ظلماً وعدواناً ولا ينفقونها في سبيل الله، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[1].

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾.

(س) أوَلا يعلم الإنسان ما هي الأعمال التي قام بها في حياته الدنيا، وأنّه طالما يتذكّر ذلك بشكل كامل بين الحين والآخر، فيتأسّف ويتحسّر لكثير منها حتّى يبيض شعره؟

(ج) صحيح، الإنسان يعلم بما عمل في حياته الدنيا ولكن بصورة إجمالية، لأنّ حبّ الذات والاشتغال بهموم الدنيا ومتطلّباتها وشهواتها، ومن ثمّ وجود حالة النسيان وتزايده مع تزايد عمر الإنسان، يُنسي الإنسان الكثير ممّا قام به في حياته، وإذا تذكّر لا يهتمّ بذلك إلاّ قليلاً، أمّا في ذلك اليوم الحقّ فلا تهاون ولا نسيان ولا ظلم إنّه يوم الجزاء الأكبر، وسيتحوّل مصادر علم الإنسان إلى حديد، فيرى ما قدّمت يداه حتّى الذرّة منها، قال (عزّوجلّ): ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[3].

(س) أوَلا تُطبَق صحيفة عمل الإنسان مع موته، فلماذا تلحق به ثمار الأعمال التي تركها في حياته الدنيا بقوله ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾؟

(ج) إنّ صحيفة عمل الإنسان تُطبَق مع انقطاع العمل ولكن آثار الأعمال تبقى تدرّ عليه سواء كانت خيراً أو شرّاً، فالمؤمن بعمله الصالح سنّ سنّة حسنة في الحياة وهكذا بالنسبة للكافر ولهذا فإنّ الثواب والعقاب لا ينقطع عن الوصول إلى صحيفة عمل

(١) التوبة: ٣٥.

(٢) ق: ٢٢.

(٣) الزلزلة: ٧ـ٨.

الإنسان.

عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلاّ ثلاث خصال: صدقة أجراها في حياته فهي تجري بعد موته، وسنّة هدى سنّها فهي يُعمل بها بعد موته، وولد صالح يستغفر له»[(١)].

ولهذا قال (عزّوجلّ): ﴿.. مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾[(٢)]، وقال (عزّوجلّ): ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[(٣)].

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾.

(س) ماسبب مجيء الاستفهام التوبيخي بعد ذكر أربع صور من مشاهد يوم القيامة؟

(ج) الآية المباركة جاءت لتدعو الإنسان إلى كسر حاجز الغرور والغفلة الموجودة في نفسه التي جعلته يبتعد عن ربّه، بعد أن ذكرت له بأنّ هناك عقبة صعبة أمامه لا ينفع الإنسان شيء سوى العمل الصالح، والاستفهام جاء بمنتهى اللطف والجمال ممّا يدعو الإنسان إلى الرجوع إلى الله (سبحانه وتعالى) بكلّ جدٍّ واجتهاد، الآية الشريفة تذكّر الإنسان بإنسانيته، وتذكّره بأنّه لا ينبغي له الابتعاد عن ربّه الذي ربّاه منذ أن كان علقة في رحم أمّه، وأنّ هذا الربّ كريم أنعم على الإنسان من دون مقابل ولا استحقاق، وورد في الدعاء: «.. يا مَن يعطي مَن سأله ويا مَن يعطي مَن لم يسأله ولم يعرفه تحنّناً منه ورحمة»، فبعد هذا الفضل الكبير والتربية الصالحة لا ينبغي لمن له عقل أن يبتعد عن ربّه ولو للحظة واحدة، فهذا هدف الآية المباركة وليس المراد بأن يجيب الإنسان غرّني سترك المرخى عليَّ، ثمّ يستمرّ في انحرافه وفساده كما ورد في بعض الأقوال وهو مخالف تماماً لمراد الآية المباركة.

---

(١) بحار الأنوار ج٧١ ص٢٥٧.

(٢) المائدة: ٣٢.

(٣) يس: ١٢.

وقد ورد عن النبيّ محمّد ﷺ عند تلاوته لهذه الآية المباركة، أنّه قال: «غرّه جهلُه»[١].

(س) هل يمكن الاعتذار يوم القيامة، فيجيب الإنسان إذا سئل عن سبب بقائه في كفران نعمة ربّه، فيقول: غرّني سترك المرخى عليّ وغرّني كرمك ورحمتك؟

(ج) لا ينفع مثل هذا الكلام في الآخرة، إنّه تعالى قضى وبلّغ بلسان أنبيائه جميعاً بـ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٢]، فلا نفع للمدح والاعتذار والندم، إنّ رحمته وكرمه لا تشمل هؤلاء، قال (عزّوجلّ): ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[٣].

وبيّن (تعالى) في نهاية هذه السورة عاقبة أهل الإيمان والكفر، حيث قال: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾[٤].

قال (سبحانه وتعالى): ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾.

(س) الآية المباركة تعرض جانباً من كرم الله ولطفه على الإنسان بعد وصف ذاته المقدّسة بالكرم، فكيف عدّ هنا الخلق والتسوية كرماً منه أيضاً؟

(ج) الخلق والتسوية والتعديل والتركيب حسب المشيئة الإلهية نوع من الكرم الكبير على الإنسان، إذ الوجود خير من العدم، والحياة خير من الموت، قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ..﴾[٥]، ثمّ التسوية والتعديل من النعم الكبيرة أيضاً فكم من معاق يتمنّى أنّه كسائر الناس.

---

(١) مجمع البيان ج١٠ ص٤٤٩.

(٢) إبراهيم: ٧.

(٣) الأعراف: ١٥٦.

(٤) الانفطار: ١٣-١٤.

(٥) البقرة: ٢٨.

(س) ما المراد من التسوية والتعديل في قوله تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾؟

(ج) المراد من التسوية هو وضع كلّ عضو في ما يناسبه من الموضع على ما تقتضيه الحكمة ثمّ إعطاؤه القدرة الكاملة لأداء هدفه ووضيفته بالشكل المطلوب ، وأمّا التعديل بقوله : ﴿فَعَدَلَكَ﴾ هو جعل التوازن والتعادل بين أعضاء البدن الواحد فما يضعف عنه عضو يقوى عليه عضو فيتمّ به فعله ، مثال على ذلك الأكل فإنّ الفم يبتدئ بالتقام اللقمة ولكنّه يضعف عن قطعها ونهشها وطحنها ، فتأتي الأسنان لتقوم بهذا الدور ، ثمّ تحتاج اللقمة إلى القلب والتحويل من جانب إلى جانب ليتمّ الهضم بالشكل الكامل ، فاللسان هو الذي يؤدّي هذا العمل ، ثمّ بالنسبة إلى التقام اللقمة ، الفم وحده لا يستطيع التقام الطعام ، فيوصل ذلك عن طريق اليد ويتمّ العمل بالكفّ والأصابع على اختلاف أعمالها ، ثمّ يحتاج الإنسان للحصول على الطعام إلى الانتقال المكاني ، فيكون ذلك بالرجل ، وهكذا بالنسبة لسائر الجوارح ، فكلّ هذا من تدبير الله (عزّوجلّ) وفضله على الإنسان .

۞ **قال تعالى: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاء رَكَّبَكَ﴾.**

(س) ما الحكمة من اختلاف التصوير الإلهي للإنسان بقوله (عزّوجلّ) : ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاء رَكَّبَكَ﴾؟

(ج) لو لم يكن هناك اختلاف كامل في التصوير الإلهي للناس ، لاختلّ توازن النظام الاجتماعي البشري بأكمله ، إذ مع الاختلاف الصوري للإنسان قدّر الاختلاف الداخلي أيضاً لهذا نرى القابليات والاستعدادات والأذواق والرغبات والطموحات مختلفة ومتباينة وفي هذا يتمّ تشكيل المجتمع الكامل والسليم ، قال تعالى : ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً.. ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ

---

(١) الزخرف : ٣٢ .

أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ.. ﴾[١]، ولهذا نرى الذكر والانثى والأبيض والأسود والطويل والقصير والوسيم والقبيح والقويّ والضعيف والذكيّ والغبيّ وغير ذلك، وكذلك بالنسبة لأعضاء بدن الإنسان البعض يحتاج إلى البعض الآخر، والكلّ من تدبّر ربّ العالمين وهو أكرم الأكرمين.

❁ قال تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾.

(س) لأيّ أمر جاء حرف الردع (كلاّ) الإنكارية؟

(ج) جاء لردع الإنسان عن اغتراره الواهم والكاذب بكرم الله (عزّوجلّ) وجعل ذلك ذريعة إلى الكفر والمعصية، وذلك إذا سئل يوم القيامة عن سبب كفره وعصيانه هو أن يقول: غرّني سترك ورحمتك، فلا نفع لهذا الكلام الباطل، بل إنّ سبب الغفلة والعصيان هو إنكار يوم القيامة والتكذيب بها فقط، وهذا ما ورد بعد (بل) حيث قال (عزّوجلّ): ﴿كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾، فلو كان عندهم مقدارٌ من الإيمان بالآخرة لارتفع الغرور وابتعدت الغفلة عن النفوس.

❁ قال (عزّوجلّ): ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

(س) ما سبب جعل الملائكة رقباء على الإنسان وأنّه (عزّوجلّ) ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[٢]؟

(ج) قال الإمام الصادق عليه السلام: «استعبدهم بذلك، وجعلهم شهوداً على خلقه ليكون العباد لملازمتهم إيّاهم أشدّ على طاعة الله مواظبة، وعن معصيته أشدّ انقباضاً، وكم من عبد يهمّ بمعصية فذكر مكانهما فارعوى وكفّ، فيقول ربّي يراني، وحفظتي عليَّ بذلك تشهد...»[٣].

(س) ألم يقل الله (سبحانه وتعالى) في الآيات السابقة عند مجيء يوم القيامة ووقوف

---

(١) الرُّوم: ٢٢.

(٢) طه: ٧.

(٣) نور الثقلين ج٥ ص٥٢٢.

الإنسان فيها بأنّه يعلم جميع أعماله التي قام بها في الدنيا حيث قال: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وأَخَّرَتْ﴾[(١)]، ثمّ إنّه (عزّوجلّ) خاطبه قائلاً: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾[(٢)]، فلماذا إذاً الملائكة الحفظة بقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ﴾؟

(ج) إشارة إلى أنّ أعمال الإنسان حاضرة محفوظة يوم القيامة من طريق آخر غير حضورها عند الإنسان العامل عن طريق تذكّره وعلمه الكامل بها بعد كشف الأغطية عنه بقوله: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[(٣)].

(س) هناك آيات عديدة في القرآن الكريم تقول بأنّ معكم ملائكة يشهدون ويكتبون جميع الأعمال التي تصدر منكم، فلماذا هذا التأكيد، أوَليس الله فوق جميع الشهداء بقوله: ﴿وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[(٤)]؟

(ج) جعل ملائكة بصورة دائمة مع كلّ إنسان وذلك لزيادة تحسيس الإنسان بعظم مسؤولية ما يؤدّيه، ولعلّه يكون رادعاً له عن القيام بالمعاصي بعد أن يشعر وجود المراقبين بالقرب منه، قال (عزّوجلّ): ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[(٥)].

۞ قال تعالى: ﴿كِرَاماً كَاتِبِينَ﴾.

(س) لماذا وصف الله (سبحانه وتعالى) الملائكة الحفظة بأنّهم كرام حيث قال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ﴾؟

(ج) الكريم هو مَن له شأن كبير ومنزلة عالية، فوصف الملائكة بأنّهم (كراماً) وذلك لكي يكون الإنسان أكثر دقّة في مراقبة نفسه وأعماله، إذ أنّ الشهود الملازمين له ليسوا خلقاً

---

(١) الانفطار: ٥.

(٢) الإسراء: ١٤.

(٣) ق: ٢٢.

(٤) يونس: ٦١.

(٥) ق: ١٨.

كسائر الخلق، ولعلّ المراد بأنّهم محفوظون عن الإثم والمعصية كما قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[١]، وقال: ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[٢].

(س) ما علّة وصف الملائكة بـ(كَاتبِينَ) حيث قال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ﴾؟

(ج) وذلك للتأكيد على أنّهم لا يكتفون بالمراقبة والحفظ دون تسجيل، بل إنّهم يسجّلون بكلّ دقّة حتّى يندهش الإنسان يوم القيامة من شدّة ما كُتب عليه، قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا..﴾[٣].

۞ قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ولم يقل: يكتبون ما تفعلون أو غير ذلك؟

(ج) للدلالة على أنّ الكتبة يعلمون بالنيّات أيضاً، فعلمهم بالأفعال يكمل مع العلم بالنيّات.

سئل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن الملكين، هل يعلمان بالذنب إذا أراد العبد أن يفعله، أو الحسنة؟ فقال الإمام عليه السلام: ريح الكنيف وريح الطيب سواء؟ قال: لا. قال عليه السلام: إنّ العبد إذا همّ بالحسنة خرج نفسه طيّب الريح فيقول صاحب اليمين لصاحب الشمال: قم فإنّه قد همّ بالحسنة، فإذا فعله كان لسانه قلمه وريقه مداده، فأثبتها له، وإذا همّ بالسيّئة خرج نفسه منتن الريح، فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين: قم فإنّه قد همّ بالسيّئة، فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده وأثبتها عليه[٤].

ولهذا قال صلى الله عليه وآله: «إنّما الأعمال بالنيّات» فالعلم بنيّات الإنسان يجعل عمل الملائكة

---

(١) الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) عبس: ١٦.

(٣) الكهف: ٤٩.

(٤) أصول الكافي ج٢ ص٤٢٩ ح٣.

دقيقاً وكاملاً، ومن دونه يكون ناقصاً.

(س) هل هناك شهود آخرون إلى جانب شهادة الله (عزّوجلّ) والملائكة؟ فأين إذاً حرّية الإنسان بعد وضع المراقبين عليه؟

(ج) القرآن الكريم يذكر بأنّ هناك شهوداً آخرين، سيشهدون على الإنسان يوم القيامة إلى جانب شهادة الله تعالى وشهادة الملائكة، وهم:

١- الأنبياء والأوصياء، قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾[1].

٢- أعضاء بدن الإنسان، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]؟

٣- الأرض، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾[3]، ولهذا كان الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إذا فرّغ بيت المال يكنسه ويصلّي فيه ركعتين وكان يقول: لتشهد علَيَّ أنّي ملأتها بحقّ وأفرغتها بحقّ.

٤- الزمن، قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ما من يوم يمرّ على ابن آدم إلاّ قال له ذلك اليوم: يابن آدم أنا يوم جديد وأنا عليك شهيد»[4].

وهؤلاء المراقبون والشهود لا يقيّدون إرادة الإنسان وحرّيته، بل إنّ حرّية الإنسان ثابتة وباقية بالشكل الكامل وإلاّ فما قيمة تسجيل الأعمال وهل يبقى للتشويق والتحذير من معنى؟

---

(١) النساء: ٤١.

(٢) النّور: ٢٤.

(٣) الزلزلة: ٤.

(٤) سفينة البحار ج٢ ص٧٣٩.

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّ الأبْرَارَ لَفِي نَعِيم * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيم * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾.

(س) لماذا جاءت لفظة (نعيم) و (جحيم) بصيغة النكرة؟

(ج) جاءتا بصيغة النكرة وذلك لتفخيمهما وتعظيمهما، فأمّا عن عظمة الجنّة قال (عزّوجلّ): ﴿فلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُن جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].
وأمّا عن عذاب جهنّم قال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً﴾[2].

(س) متى يكون الأبرار في نعيم والفجّار في جحيم، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الأبْرَارَ لَفِي نَعِيم * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيم﴾؟

(ج) الأبرار يكونون في نعيم دائماً سواء كانوا في هذه الدنيا أو في عالم البرزخ أو مع ظهور الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، أو في الآخرة وهكذا بالنسبة للفجّار فإنّهم يكونون في جحيم على طول الخطّ. قال (عزّوجلّ): ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَر أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[3]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً..﴾[4].

۞ قال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾.

(س) ما المراد من عدم غياب الكفّار عن النار بقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾؟

(ج) المراد أنّهم ليسوا بعيدين عنها في هذه الحياة قال (عز وجل): ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ

---

(١) السّجدة: ١٧.
(٢) الفرقان: ٦٥ـ٦٦.
(٣) النّحل: ٩٧.
(٤) طه: ١٢٤.

بِالْكَافِرِينَ﴾[١]، ثمّ لا يغيبون منها في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[٢].

۞ **قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله﴾.**

(س) ما هو الدين الذي سيأتي يومه الأخير وفيه يُجازى العبد على ما قدّم؟

(ج) إنّ الدين هو الطاعة وله يومان، يوم تطبيق عملي وهو في الدنيا، ويوم النتيجة والجزاء وهو اليوم الثاني والأخير وفيه يكون الجزاء إمّا وفاقاً أو فضلاً.

(س) لماذا قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ ولم يقل: وما يدريك، وهل كان للرسول ﷺ علم ومعرفة بيوم القيامة؟

(ج) إنّ الأوّل سؤال عمّا تحقّق، والثاني عمّا بالإمكان أن يتحقّق، عن ابن عبّاس: «كلّ ما في القرآن من قوله تعالى: ما أدراك، فقد أدراه، وكلّ ما فيه من قوله (عزّوجلّ): وما يدريك، فقد طوي عنه. وللرسول ﷺ علم بيوم القيامة، أدراه إيّاه وحي السماء، كأنّه رآه وأكثر إلاّ وقت قيامها، فإنّ علمه عند الله تعالى لا يجلّيها لوقتها إلاّ هو»[٣].

(س) ما هي الأمور التي يمكن أن نعرفها عن يوم القيامة؟

(ج) ذكر القرآن الكريم بعض التغييرات التي سوف تحدث بالموجودات والكون وبعض الحالات النفسية والروحية التي سيواجهها الإنسان في ذلك اليوم. منها:

١- ﴿يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً﴾[٤].

٢- ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ

---

(١) العنكبوت: ٥٤.

(٢) البقرة: ١٦٧.

(٣) تفسير الفرقان: سورة الانفطار: الآية.

(٤) الانفطار: ١٩.

شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[١].

٣- ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ مَا سَعى﴾[٢].

٤- ﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[٣].

٥- ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾[٤].

٦- ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾[٥].

وغير ذلك من الأمور الشدائد التي سيصير إليها الإنسان الذي لا يحمل معه زاد التقوى، وأمّا كيف وأين ومتى فلا يعلمه إلاّ الله تعالى.

---

(١) عبَس: ٣٤ـ٣٧.

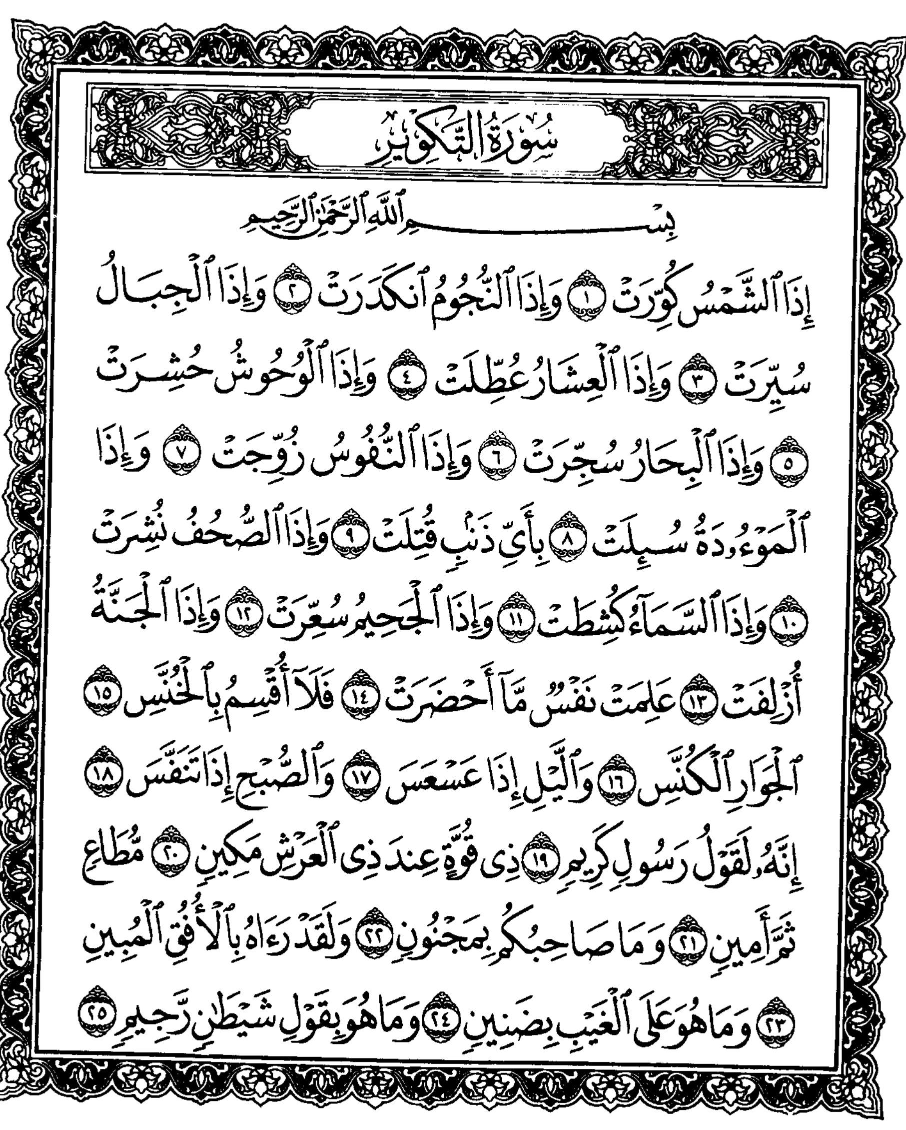
(٢) النازعات: ٣٥.

(٣) الشّعراء: ٨٨ـ٨٩.

(٤) الفرقان: ٢٧.

(٥) الحج: ١.

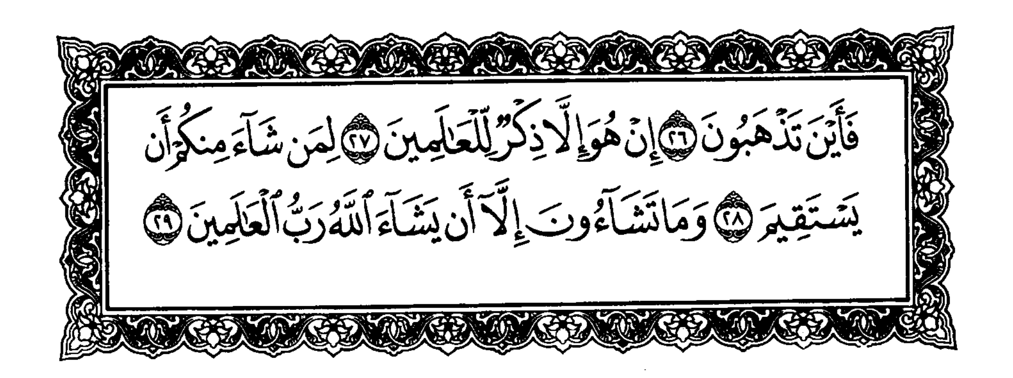
سُورَةُ التَّكْوِيرِ



سُورَةُ التَّكْوِيرِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾



فضلها:

عن النبيّ الأكرم ﷺ قال: «مَن قرأ سورة (إذا الشمس كوّرت) أعاذه الله تعالى أن يفضحه حين تُنشر صحيفته».

وقال ﷺ: «مَن أحبّ أن ينظر إلى يوم القيامة فليقرأ (إذا الشمس كوّرت)».

مفردات السورة:

كوّرت: التكوير هو اللفّ على جهة الاستدارة، كلفّ العمامة على الرأس.

انكدرت: سقطت، انكدار الطائر من الهواء انقضاضه نحو الأرض.

العشار: جمع عشراء وهي الناقة الحامل التي أتت عليها عشرة أشهر، فتسمّى عشراء حتّى تضع حملها وهي من أنفس المال عند العرب.

عُطّلت: تُركت مهملة.

سجّرت: التسجير هو إضرام النار.

الموؤدة: البنت التي تُدفن حيّة.

كُشطت: الكشط هو القلع عن شدّة التزاق.

أُزلفت: قُرّبت.

الخنّس: جمع خانس وهو الانقباض والتأخّر والاستتار.

الجوار: جمع جارية، والجري هو السير السريع.

الكنّس: جمع كانس، والكنوس دخول الوحش كناسه أي بيته للاستقرار.

عسعس : العسعسة تطلق على إقبال الليل وإدباره ، وإنّها من الأضداد .

ضنين : بخيل .

موضوع السورة:

السورة المباركة تذكر ثمانية علائم من علامات يوم القيامة وما يقع فيها ، وتصفه بأنّه يوم ينكشف فيه للإنسان اعماله التي عملها في حياته الدنيا ، ثمّ تصف القرآن بأنّه أُلقي إلى النبيّ الأكرم ﷺ من قبل رسول سماوي وهو مَلَك الوحي وليس بإلقاء شيطاني وأنّ النبيّ ﷺ ليس بمجنون ولا يمسّه الشيطان ، والسورة من السور العتائق النازلة في أوائل البعثة حيث تنزّهه ﷺ ممّا رموه من الجنون .



الأسئلة والأجوبة

۞ قال تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾.

(س) ما المراد من تكوير الشمس بقوله (عزّوجلّ) : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾؟

(ج) المراد من تكوير الشمس هو طيّها وخفاؤها بعد أن كانت ظاهرة للعيان بل ومضرب للمثل في الوضوح والظهور ، وسبب طيّها هو ما يعتريها من الخراب ، الشمس في وضعها الحالي عبارة عن كرة ملتهبة ، ولكن عند حلول نهاية العالم ، سيخمد اللهيب المروّع ويطفأ ذلك النور الساطع ويصغر حجمها حتّى كأنّها لم تكن شيئاً مذكوراً. قال (عزّوجلّ) : ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[١] .

(س) إذا جمع الله (سبحانه وتعالى) نور الشمس مع مجيء وحلول يوم القيامة الكبرى ، فهل يبقى العباد بلا ضياء ونور أو في ظلمة؟

(ج) لا شكّ أنّ الله تعالى سوف يُحدِث لهم ضياءً غيره ، قال (عزّوجلّ) : ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ

---

(١) الأنبياء : ١٠٤ .

الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[١]، والله العالم.

❁ قال تعالى: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾.

(س) ما علاقة انكدار النجوم بتكوير الشمس؟

(ج) لا شكّ هناك ترابط وعلاقة حياتية بينهما، فإنّ مع تكوير الشمس تفقد النجوم نضارتها وجمالها ونورها الذي كانت تستمدّه من الشمس، وتواجه من جانب آخر صدمات وقوارع هائلة حتّى تنثرها وتحطّمها.

(س) كيف تنكدر النجوم بقوله (عزّوجلّ): ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾؟

(ج) سوف تفقد النجوم إشعاعها وتتناثر وتسقط في هاوية الفناء، فهي من جانب سوف تسودّ وتظلم وتفقد نورها ومن جانب آخر تتلاشى وتتناثر وتسقط، قال (عزّوجلّ): ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾[٢]، ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾[٣]. قال الكلبي: تمطر السماء يومئذ نجوماً فلا يبقى نجم في السماء إلاّ وقع على وجه الأرض.

❁ قال (عزّوجلّ): ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾.

(س) أين تسير الجبال؟

(ج) إنّها تسير عن وجه الأرض كقوله (عزّوجلّ): ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً﴾[٤]، أو في الهواء كقوله ﴿تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾[٥] بعد أن تصير هباءً منبثّاً، قال (عزّوجلّ): ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً﴾[٦].

---

(١) إبراهيم: ٤٨.
(٢) الانفطار: ٢.
(٣) المرسلات: ٨.
(٤) النبأ: ٢٠.
(٥) النمل: ٨٨.
(٦) الواقعة: ٥ ـ ٦.

(س) كيف تسير الجبال؟
(ج) تسير بفعل زلزلة الأرض الكبرى ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[(١)] وبفعل الدكّة العظمى التي ستواجهها مع الأرض، قال (عزّوجلّ): ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[(٢)]، فمرّة بفعل الزلزلة تُسير على الأرض، ومرّة بفعل الدكّ لها مع الأرض تصبح كالعهن المنفوش في الفضاء والله العالم.

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾.

(س) ما هي العشار التي سوف تترك بلا راعي وتُهمل، ولماذا لا يعتنى إليها؟
(ج) العشار: هي النوق الحوامل، أتت عليها عشرة أشهر، وبعد الوضع تُسمّى عشاراً أيضاً وهي أحبّ وأثمن النوق عند العرب، وإنّما تُهمل وتُترك لأنّ هول ووحشة يوم القيامة تُنسي الإنسان أحبّ الأشياء لديه ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[(٣)]، بل حتّى عندما تخرج الأرض كنوزها ومجوهراتها لا يلتفت إليها أيضاً، قال (عزّوجلّ): ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[(٤)].

(س) أين تكون هذه العشار المعطّلة وأين أصحابها؟
(ج) إنّها تكون يوم القيامة إذ تُحشر أيضاً قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ وأنّها تُبعث لأسباب إلهية، وأصحابها موجودون في عرصات القيامة ولكن لا تنفعهم شيئاً ولا يمكن لهم أن يستفيدوا منها إذا لا سبيل لهم إليها، وإن استطاعوا السبيل لا تفيدهم شيئاً ﴿يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً... ﴾[(٥)]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ

(١) الزلزلة: ١.
(٢) الحاقّة: ١٤.
(٣) عبَس: ٣٤-٣٧.
(٤) الزلزلة: ٢.
(٥) الانفطار: ١٩.

عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾[١]، ولذا لا يقتربون منها فتبقى معطّلة.

❁ قال (عزّوجلّ): ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾.

(س) لماذا تُحشر الوحوش يوم القيامة وما مصيرها بعد الحشر؟

(ج) تُحشر لأجل الاقتصاص من بعضها لبعض، وأمّا مصيرها بعد الحشر فلم يرد في كلامه تعالى ولا فيما يُعتمد عليه في الأخبار، نعم ربما استفيد من قوله في آية الأنعام: ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾، ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾، لعلّ بعضه الذي فيه سرور لبني آدم كالطاووس وغيره يبقى وما لا يفيد يصير تراباً.

(س) هل جميع الحيوانات تُحشر يوم القيامة؟

(ج) الآية المباركة تقول إنّ الحيوانات الوحشية كالسباع وغيرها هي التي تُحشر، والتي فيها طبع وحشي ولعلّ الحيوانات الأخرى أيضاً تُحشر لقوله (عزّوجلّ): ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[٢].

(س) هل وحوش البحر تُحشر أيضاً؟

(ج) كلاّ لقوله (عزّوجلّ): ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ... إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[٣]. ولعلّه تُحشر أيضاً إذا اعتبرنا البحر جزءاً من الأرض وحيواناتها من ضمن دوابّ الأرض.

(س) ما هو الهدف من ذكر الآية ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾؟

(ج) ١ - إنّه (عزّوجلّ) يذكر بأنّ الوحوش تُحشر لأجل القصاص والعدل، فكيف يجوز مع

(١) آل عمران: ١٠.
(٢) الأنعام: ٣٨.
(٣) الأنعام: ٣٨.

هذا أن لا يَحشر المكلّفين من الإنس والجنّ.

٢- إنّ اجتماعها مع وحشيّتها وشدّة نفرتها من الإنسان في الدنيا يدلّ على عظمة هول يوم القيامة.

٣- إنّ الوحوش والحيوانات بعضها غذاء لبعض، فإنّ وقوفها جميعاً في صفّ واحد، دليل آخر لشدّة هول ذلك اليوم.

(س) ذُكر أنّ السبب في حشر الوحوش هو لأجل الاقتصاص من بعضها لبعض أو من الإنسان الظالم لها، فكيف تُجزى الدابّة ولا عقل لها ولا شرعة ولا منهاجاً؟

(ج) إنّ الجزاء يوم القيامة يعمّ جميع ذوي الشعور، عاقلة كانت أم لا والمدار في الجزاء هو معرفة الله (عزّوجلّ) وكيانها الوجودي الذي له شخصيّته، قال (عزّوجلّ): ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّات كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾[1].

فلولا شعور الحيوانات من الظلم فلماذا تفرّ منه عندما تشعر من وجوده واقترابه، ولماذا تعضّ وتركل وتفترس.

عن الفقيه أنّ النبيّ ﷺ أبصر ناقة معقولة وعليها جهازها فقال: أين صاحبها؟ مروه فليستعدّ غداً للخصومة[2].

وعن أبي ذرّ عليه السلام قال: «لقد تركنا رسول الله ﷺ وما يقلب طائر جناحيه في السماء إلاّ ذكرنا منه علماً»[3].

في المجمع عن أبي ذرّ قال: «بينا أنا عند رسول الله ﷺ إذا انتطحت عنزان فقال رسول الله ﷺ: أتدرون فيما انتطحا؟ فقالوا: لا ندري! قال: ولكن الله يدري وسيقضي بينهما»[4].

---

(١) النّور: ٤١.

(٢) نور الثقلين ج١ ص٥٩٢.

(٣) الدرّ المنثور ج٣ ص١١.

(٤) تفسير الأمثل: سورة التكوير: الآية.

وعن الكافي بالإسناد عن سماعة بن مهران قال: أخبرني الكلبي النسّابة قال: قلت يابن محمّد عليه السلام ما تقول في المسح على الخفّين؟ فتبسّم ثمّ قال: إذا كان يوم القيامة وردّ الله كلّ شيء إلى شيئه، وردّ الجلد إلى الغنم فترى أصحاب المسح أين يذهب وضوؤهم؟».

۞ قال (عزّوجل): ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾.

(س) ما المراد من تسجير البحار وكيف تسجّر؟

(ج) فُسّر التسجير بإضرامه النار، وفُسّر بالملأ، فالمعنى على الأوّل: وإذا البحار أُضرمت ناراً، وعلى الثاني: وإذا البحار مُلئت.

(س) هل تُسجر بحار السماء أيضاً؟

(ج) كلمة البحار في قوله تعالى ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ مطلقة لذا فهي تشمل بحار السماوات أيضاً وإنّها تُسجر لأنّ السماوات سوف تُبدّل إلى غيرها، قال تعالى: **﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ..﴾**[١]، والدليل على أنّ في السماء بحاراً قوله تعالى: **﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾**[٢]، وقال تعالى: **﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾**[٣].

(س) كيف توقد البحار بالنار وكيف تمتلئ على القول الثاني؟

(ج) هناك عدّة أقوال في كيفية تسجير البحار، منها أنّه تعالى يُلقي الشمس والقمر والكواكب فيها فتضطرم ناراً، وقيل إنّه يخلق فيها نيراناً عظيمة حتّى تسخن مياهها وغير ذلك وفي هذه الأقوال تكليف، فإنّ القادر على تخريب الدنيا وإقامة الآخرة، قادرٌ على أن يقلب مياه البحار إلى نيران من دون حاجة إلى إلقاء الشمس[٤] أو غير ذلك فيها.

---

(١) إبراهيم: ٤٨.

(٢) المؤمنون: ١٨.

(٣) القمر: ١١.

(٤) تفسير الأمثل: سورة التكوير: الآية.

وقيل إنّ البحار تفجّر حتّى تصبح واحدة، قال (عزّوجلّ): ﴿وإذا البحار فُجِّرت﴾[١]، ولا يُبعد أن يحصل هذا بفعل تفجّر الأرض وزلزالها بمادّة البراكين المتفجّرة من باطن الأرض فبعد أن يفيض بعضها على بعض وتصير بحراً واحداً عندها تشتعل ويذهب ماؤها. قال (عزّوجلّ): ﴿والبحر المسجور﴾[٢]، وحينئذ تصير البحار والأرض شيئاً واحداً في غاية الحرارة والاحتراق، عن القمّي، عن الصادق عليه السلام في الآية قال: «تتحوّل البحار التي حول الدنيا كلّها نيراناً»[٣].

وقيل تفجّر البحار وتُبخّر بفعل خروج الكرة النارية المذابة في بطن الأرض.

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿وإذا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾.

(س) الزواج هو إقران وجمع كلّ شيء إلى نظيره، فكيف تُزوّج النفوس يوم القيامة، وهي مختلفة فمنها شقية ومنها سعيدة؟

(ج) ١- نفوس السعداء تُزوّج بنساء الجنّة، قال (عزّوجلّ): ﴿لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾[٤]، وقال: ﴿وزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾[٥].

أمّا نفوس الأشقياء فبقرناء الشياطين، قال (عزّوجلّ): ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وأَزْوَاجَهُمْ ومَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾[٦]، وقال: ﴿ومَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[٧].

٢- قيل إنّ المراد من تزويج النفوس هو إقرانها بأجسادها عند النشأة الآخرة، وأنّ يوم القيامة هو يوم الذهاب والتوجّه إلى المنزل الذي بناه الإنسان واعده بأعماله الصالحة أو

---

(١) الانفطار: ٣.
(٢) الطّور: ٦.
(٣) نور الثقلين ج٥ ص٥١٤ ح٦.
(٤) النساء: ٥٧.
(٥) الدّخان: ٥٤.
(٦) الصّافات: ٢٢.
(٧) الزخرُف: ٣٦.

الطالحة، ثمّ يكون الهناء بالحور العين في جنان الخلد وليس في عرصات يوم القيامة، إذاً فالمراد بالتزويج هنا هو إقران النفوس بأبدآنها لأجل الذهاب إلى المنزل الأخير. وأمّا التزويج بالجنّة فهو بالحور العين[١].

٣- وقيل هو أقران كلّ ساع بسعيه ﴿وأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إلاّ مَا سَعى﴾[٢].

أخرج ابن مردويه عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ﴿وإذا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ هما الرجلان يعملان العمل يدخلان الجنّة والنار. أي يقرن الرجل في الجنّة بقرينه الصالح في الدنيا، السيّئ بعمله السيّئ في النار.

۞ **قال (عزّوجلّ): ﴿وإذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْب قُتِلَتْ﴾.**

(س) مَن هي الموؤدة ولماذا سمّيت بهذا الإسم؟

(ج) الموؤدة هي البنت التي كان أهل الجاهلية يدسّونها بالتراب كراهية لها وسمّيت بالموؤدة بمعنى المثقولة وذلك لأنّهم كانوا يثقلون عليها التراب وهي حيّة وأنّهم كانوا يشعرون بالثقل منها، ولهذا قال (عزّوجلّ): ﴿وَإذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بالأُنْثى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَ يُمْسِكُهُ عَلى هُون أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾[٣].

(س) مَن الذي سوف يسأل الموؤدة ولماذا هي المسؤولة دون الوائد الظالم؟

(ج) الذي يسأل هو الله (تبارك وتعالى) وأنّها هي التي سوف تجيبه وتطلب منه القصاص ممّن ظلمها وقتلها بتلك الصورة المفجعة، وأنّ السؤال وجّه إليها دون أن يوجّه إلى أبيها الظالم القاتل، وذلك كأنّ القاتل لا قيمة له حتّى يُسأل عن قباحة جريمته، إذ فيه تبكيت وتوبيخ له، وتوطئة لأن تسأل الله (عزّوجلّ) الانتصاف لها من قاتلها، وإنّ شهادة الموؤدة المظلومة تكفي لإثبات الجريمة. والوائد مهمَل مهان ولو كان أباً. وهو

---

(١) تفسير الأمثل: الآية.

(٢) النجم: ٣٩.

(٣) النّحل: ٥٨ـ ٥٩.

كتبكيت النصارى في قوله (عزّوجلّ) لعيسى عليه السلام: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾[1].

(س) هل بإمكان الموؤدة التي عمرها يوم أو أيّام أن تُسأل يوم القيامة وتجيب؟

(ج) الله (سبحانه وتعالى) سوف يعطي الطفلة التي عمرها يوم أو أكثر القدرة على الكلام والاحتجاج وأنّها سوف تعامل باعتبارها إنسان كامل محترم له حقوقه، وأنّه (عزّوجلّ) يُنطق ما هو أقل منها، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2].

(س) ما هي الأسباب التي كانت وراء وأد البنات؟

(ج) ١- احتقار المجتمع الجاهل للمرأة.

٢- الخوف من الفقر، قال (عزّوجلّ): ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ﴾[3].

٣- الخوف من لحوق العار عند وقوعهنّ أسرى في شباك الأعداء نتيجة المعارك التي كانت دائرة بين القبائل، وفيه جرح للشرف وإذلال شديد.

٤- كانوا يقولون: إنّ الملائكة بنات الله، فألحقوا البنات بالملائكة.

٥- عدم اشتراكها في الغارات التي تقوم بها القبيلة لتوفير لقمة العيش[4].

(س) لماذا عدّ الله (تعالى) وأد البنات من الجرائم الكبرى حتّى أنّ موضوعها تقدّم على مسألة نشر الصحف؟

(ج) إنّ وأد البنات من الجرائم الكبيرة التي سيتعرّض له الله (عزّوجلّ) يوم القيامة، ولأهمّيته نرى الموضوع يتقدّم على آية نشر الصحف، حيث قال (تعالى) بعد آية

---

(١) المائدة: ١١٦.

(٢) فُصِّلت: ٢٠-٢١.

(٣) الإسراء: ٣١.

(٤) تفسير الأمثل: الآية.

الموؤدة: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾، وأنّه عدّ كذلك للأسباب التالية:

١- إنّه قتل للنفس المحترمة والمحرّمة، وإنّه (عزّوجلّ) عدّ قتل النفس البريئة قتلاً لجميع الناس، وإحياءها إحياء لجميع الناس، قال (عزّوجلّ): ﴿... أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً.. ﴾[1].

٢- إنّه اعتراض على خلق الله (عزّوجلّ) وإرادته.

٣- عدم الإيمان الصحيح بالله (عزّوجلّ) بأنّه هو الرازق لجميع خلقه، وما من مولود جديد إلاّ ورزقه معه.

٤- عدم إعطاء حقّ المرأة التي لولاها لما بقي إنسان على وجه الأرض ولهذا عدّ هذا الذنب من عظائم الذنوب والآثام.

(س) هل انتهى الوأد؟

(ج) حسب الظاهر أنّ الوأد قد ازداد واتّسع وأخذ أبعاداً جديدة وخطيرة وذلك تحت عناوين وشعارات برّاقة كاذبة ملعونة يندى لها جبين الإنسانية ويتوضّح لنا الوأد الجديد:

١- بعمليات الإجهاض المتّبعة في كافّة البلدان، وأنّهم لم يكتفوا بقتل البنات بل يقتلون الذكور أيضاً، يئدونهم وهم يحملون الأمراض التناسلية نتيجة تفشّي الفحشاء والفساد[2].

٢- الوأد ظهر بصورة جديدة مفجعة أخطر من الأولى بكثير وهو أنّ الحضارة التي تدّعي التطوّر قد دفنت البنات في الملاهي والمراقص وجعلوها لعبة للرجال، يلعبون بها متى شاءوا ثمّ يتركونها ويهملونها إذا فقدت نظارتها، فهذا الوأد للروح والجسم معاً بينما الوأد القديم كان للجسم مخافة الفقر والعار.

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾.

(س) هل إنّ صحيفة الإنسان مطوية حتّى تُنشر يوم القيامة وتُفتح للحساب؟

(ج) إنّ صحيفة أعمال الإنسان تطوى عند موته، ثمّ تُنشر يوم القيامة للحساب، لأنّه ليست

---

(١) المائدة: ٣٢.

(٢) تفسير الفرقان: الآية.

هناك أعمال جديدة لكي تُكتب في صحيفة المرء اللّهمّ إلاّ الحسنات أو السيّئات التي تُسجّل في الصحيفة بالرغم من موت صاحبها وذلك للآثار التي تركها في الدنيا، لهذا قال (عزّوجلّ): ﴿ونَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وآثَارَهُمْ وكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[1].

(س) ما هي الصحف التي سوف تُنشر أمام الإنسان؟

(ج) ١- صحف الوحي: قال تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[2].

٢- صحف الأعمال من الأعضاء ومن الأرض.

٣- صحف القلوب والصدور والأفكار وهي تحمل سطور الهداية أو الضلال، قال تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[3].

(س) لماذا تُنشر الصحف يوم القيامة وهل يكون أمام الملأ العامّ أو بشكل خاصّ لصاحب الصحيفة؟

(ج) الصحف تُنشر لكي يقرأ كلّ إنسان كتابه وليرى أعماله التي ارتكبها في الدنيا والتي أحصاها الله (عزّوجلّ) دون أن يغادر منها شيئاً، وأخيراً ليكون هو المحاسب لنفسه، قال (عزّوجلّ): ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً﴾[4].

ويكون النشر أمام الملأ العامّ وفي ذلك سرورٌ للمؤمن وعذاب نفسي للكافر، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[5].

۞ قال تعالى: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾.

(س) الكشط في لسان العرب هو كشف الغطاء عن الشيء، الظاهر أنّ الكشط يكون بعد نشر الصحف وقبل تسعير جهنّم، فلماذا الكشف في هذا الوقت؟

---

(١) يس: ١٢.

(٢) الطارق: ٤.

(٣) المطففين: ١٤.

(٤) الإسراء: ١٤.

(٥) آل عمران: ١٩٢.

(ج) قيل الكشف لأجل رفع الحجب الفاصلة بين العالَمين الدنيوي والعلوي التي تمنع رؤية الملائكة والجنّة والنار، وفيرى الإنسان المؤمن حينها الجنّة قد اقتربت منه، والكافر يرى تزايد حرارة الجحيم.

(س) ما علاقة نشر الصحف بكشط السماء؟

(ج) إنّ آية كشط السماء جاءت بعد نشر الصحف للإشارة إلى عملية الانكشاف والتغيّر والرجوع إلى الأصل والحقيقة، فالإنسان يرجع إلى جزائه والى عمله، والسماء تتحلّل إلى ما كانت عليه من قبل، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ * يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]، وقال (عزّوجلّ): ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ...﴾[2].

(س) ما الهدف من كشط السماء؟

(ج) تتحلّل هذه السماء لتتبدّل إلى سماء أكبر وذلك لأجل تهيئة وتحضير موقف الحساب والمصير النهائي للخلق، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[3][4].

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾.

(س) هل الآية تدلّ على أنّ الجحيم غير مخلوقة إلى الآن بدليل هذه الآية التي تدلّ على أنّ تسعيرها متوقّف على مجيء يوم القيامة؟

(ج) الآية لم تقل وإذا الجحيم خُلقت، بل قالت: سعّرت أي أوقدت إيقاداً شديداً أو هيج نارها، وهناك آيات في القرآن الكريم تشير بأنّ جهنّم مخلوقة وموجودة الآن كقوله

---

(١) الدّخان: ١٠ ـ ١١.

(٢) الأنبياء: ١٠٤.

(٣) إبراهيم: ٤٨.

(٤) تفسير الفرقان: سورة التكوير: الآية.

(عزّوجلّ): ﴿وإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [١].

(س) كيف تسعّر جهنّم يوم القيامة؟

(ج) ١ - قيل: تسعّر بفعل غضب الله (عزّوجلّ).

٢- وتسعّر بوقود الأجساد الجهنّمية، قال تعالى: ﴿وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ [٢] أي يوقدونها.

٣- بالحجارة الجهنّمية: قال تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [٣].

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿وإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾.

(س) ماذا يمكن أن نستوحي من قوله تعالى: ﴿وإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾؟

(ج) نفهم من الآية أنّ الجنّة مخلوقة وموجودة الآن وفي يوم القيامة تقرّب إلى المؤمنين فقط، ووجودها يدفع المكلّفين من الجنّ والإنس أجمعين إلى السعي إليها بالصالحات والابتعاد عن السيّئات.

(س) هل الجنّة بعيدة عن المتّقين لكي تقرّب إليهم؟

(ج) ١ - التقريب أو الإزلاف يدلّ على أنّ هناك شيئاً من البعد ولكنّ الله (عزّوجلّ) يكرم عباده المتّقين بتقريب الجنّة لهم دون أن يقتربون أو يذهبون إليها بأنفسهم، وهذا القرب يمكن أن يكون مكاني أو قرب زماني أو قرب من حيث تسهيل الأسباب لذلك، قال (عزّوجلّ): ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً﴾، فالجنّة كلّها عطاء وتفضّل ولطف من الله (عزّوجلّ) لعباده المؤمنين.

٢- وقيل إنّ تقريب الجنّة لهم يكون مقابل تقرّبهم من الجنّة وسعيهم لها في حياتهم الدنيا، قرباً بقرب، قال تعالى: ﴿مَنْ جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا..﴾ [٤]، وفي الحديث

---

(١) التوبة: ٤٩.

(٢) النساء: ١٠.

(٣) البقرة: ٢٤.

(٤) الأنعام: ١٦٠.

القدسي: «مَن جاءني شبراً جئتُه ميلاً»[١].

(س) هل تُزلف الجحيم للمتّقين؟

(ج) لعلّه تقرب إليهم إكراماً لهم لكي ينظروا إلى أهلها، فتزداد بهذه المواجهة سرور أهل الجنّة وعذاب أهل الجحيم.

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾.

(س) ما علاقة الآية المباركة بالآيات السابقة لها؟

(ج) إنّها جواب إذا في الآيات السابقة، أي: إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كلّ نفس ما عملت وأُحضر ذلك لها.

(س) ما فائدة ذكر مشاهد يوم القيامة، حيث ذكرت السورة ستّة حوادث حول مرحلة الفناء العام للعالم، وستّة حوادث ثانية حول عودة الحياة بعد الموت من جديد. ثمّ قال تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾؟

(ج) إنّ مجيء الآيات قبل قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾، فيها تحذيرٌ للنفس البشرية أن تحضر شرّاً، وتهييج لها من أجل أن تحضر خيراً ولها ارتباط بقوله (عزّوجلّ): ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٢]، إذ إنّ سياق سورة التكوير يدعو إلى الطاعة والعمل، فيكون محصّل المعنى والارتباط العام هو: يا أيّها الناس إنّما أُمرتم بالعبادة والتقوى لأنّه إذا قامت القيامة وكان كذا وكذا عندئذ تجد كلّ نفس ما عملت محضراً فأحضروا العبادة والتقوى[٣].

(س) كيف يعلم الإنسان جميع أعماله التي قام بها في الحياة الدنيا؟

---

(١) تفسير الفرقان: سورة التكوير: الآية.

(٢) البقرة: ٢١.

(٣) تفسير الإساس.

(ج) قيل إنّ هذه الأعمال سوف تتجسّم بصورة ما يوم القيامة، أعمال الإنسان لا تفنى في هذه الحياة بل تحفظ لتُحضر أمام عينيه في عرصة المحشر ولهذا قال (عزّوجلّ): ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً﴾[1]. فالآية في معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً..﴾[2].

وقيل ما أحضرته في صحائفها عند المحاسبة وعند الميزان من استحقاق الجنّة أو النار.

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾.

(س) ما هي هذه الأشياء التي لا يقسم بها الله (تبارك وتعالى) في الآية الكريمة؟

(ج) قال أكثر المفسّرين إنّها الكواكب الخمسة السيّارة التي في منظومتنا الشمسية والتي يُطلق عليها علماء الفلك بالكواكب المتحيّرة، لأنّها لا تسير على خطّ مستقيم ثابت، فتراها تسير باتّجاه معيّن لفترة من الزمن ثمّ تعود قليلاً ومن ثمّ تتابع مسيرها الأوّل وهكذا، وهذه الكواكب يمكن رؤيتها بالعين المجرّدة وهي (عطارد، الزهرة، المرّيخ، المشتري، زحل).

عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال في معنى الآية المباركة: إنّها هي جميع الكواكب، وخنوسها عبارة عن غيبوبتها عن البصر في النهار وكنوسها عبارة عن ظهورها للبصر في الليل أي تظهر في أماكنها كالوحش في كنسها (بيتها).

(س) كيف يمكن لنا رؤية الكواكب الخنّس الجواري الكنّس؟

(ج) لو تأمّلنا السماء عدّة ليالي، لرأينا نجوم السماء أو القبّة السماوية تظهر وتغيب بشكل جماعي من دون أن تتغيّر الفواصل والمسافات فيما بينها، وكأنّها لئالئ خيطت على قطعة قماش داكن اللون، وهذه القطعة تتحرّك من المشرق إلى المغرب، إلاّ خمسة كواكب خرجت من هذه القاعدة، فنراها تتحرّك وليس بينها وبين بقيّة النجوم فواصل ثابتة، وكأنّها لئالئ قد وضعت على تلك القطعة السوداء وضعاً من دون أن تخيط.

---

(١) الكهف: ٤٩.

(٢) آل عمران: ٣٠.

وهي أقرب الكواكب لنا وأنّها تخنس أي تختفي عند طلوع الفجر وشروق الشمس، وتجري أي تسير بسرعة وتكنس أي تختفي في ضوء الشمس[(١)].

(س) قال أكثر المفسّرين بأنّ (لا) في (لا أقسم) في هذه السورة وفي غيرها من السور زائدة فهل يمكن قبول هذا الرأي؟

(ج) إنّ مدار اللا قَسَم في هذه الآية والآيات الأخرى هو أصل الرسالة القرآنية وأصل المعاد، القرآن الكريم هو أعظم وأوضح برهان لا يحتاج إلى برهان غيره ليدلّ عليه، القرآن الذي هو «نورٌ لا تُطفأ مصابيحه وسراجٌ لا يخبؤ توقّده، وبحرٌ لا يُدرك قعرهُ» كما عن الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فلذا لا يحتاج إلى إثبات وحيه إلى سواه، فهل في الخنّس الجواري الكنّس وفي مواقع النجوم والكائنات الأخرى أدلّة على صدق وحي القرآن؟ كلاّ إنّها ليست بشيء أمام حقيقة القرآن الساطعة الذي لا يحتاج إلى دليل ليدلّ عليه، إذاً فـ(لا) هنا ليست زائدة بل نافية تنفي احتياج النور الساطع إلى النور الضئيل والبرهان الصغير[(٢)].

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾.

(س) ما المراد من عسعسة الليل؟

(ج) العسعسة: هي رقّة الظلام في طرفي الليل (أوّله وآخره)، والطرف الآخر منه هو الصبح بقرينة الآية التالية لها حيث قال تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ وهو كقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾[(٣)]. وأقسم الله (تبارك وتعالى) بهذا الوقت من الليل في بعض السور وذلك لما في مجيئه وإدباره فوائد إلهية كبيرة للإنسان، إذ مع مجيء الليل يجد الإنسان السكن لروحه وجسمه وتجد المخلوقات الأخرى ساعة الاستقرار والهدوء والنوم وهو سبب لإدامة حياتها وأمّا نهاية الليل فهو مقدّمة لاستقبال نور الصباح حيث العمل والجدّ

(١) تفسير الأمثل: سورة التكوير: الآية.

(٢) تفسير الفرقان: سورة التكوير: الآية.

(٣) المدّثّر: ٣٣.

والنشاط، قال (عزّوجل): ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً﴾[1].

❁ قال تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾.

(س) هل الصبح كان مخنوقاً حتّى يتنفّس مع إدبار الليل وطلوع الفجر؟

(ج) نعم كان مخنوقاً محزوناً عاش في ظلمة الليل الكئيب، كالجليس الذي لا يتحرّك وقد اجتمع في قلبه الحزن، فإذا تنفّس وجد الراحة، فهنا لمّا طلع الصبح، كأنّه تخلّص من ذلك الحزن فلهذا عبّر عنه بالتنفّس وهي استعارة لطيفة، وإنّ مع مجيء الصبح تعود للروح النشاط في كلّ الموجودات بعد أن عاشت ساعات في الظلام والاسترخاء.

❁ قال (عزّوجل): ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾.

(س) ما علاقة الآية المباركة بما سبق؟

(ج) إنّه جواب اللاقسم الذي جاء في الآيات الأربع السابقة لهذه الآية الشريفة.

(س) لمن الخطاب الموجود في الآية المباركة ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾؟

(ج) إنّه موجّه لمن اتّهم الرسول ﷺ بأنّه اختلق القرآن وإنّه ليس من عند الله تعالى، وقد تناولت الآية ردّاً لهذا الاتّهام الباطل بكلّ قوّة وثبات.

(س) ما هو الدليل على أنّ المراد من الرسول في قوله (عزّوجل): ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ هو جبرئيل عليه السلام دون غيره؟

(ج) الآية المباركة: قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ﴾[2].

(س) ما هو الدليل على أنّ القرآن هو كلام الله (عزّوجل) وليس كلام جبرئيل بحد ذاته؟

(ج) وصفُ جبرائيل عليه السلام بالرسول وبالصفات الخمس الأخرى تنفي هذا الكلام، فنسبته

---

(١) النبأ: ٩ ـ ١١.

(٢) البقرة: ٩٧.

إلى جبريل نسبة الرسالة إلى الرسول، كما نقول قرآن محمّد ﷺ بينما هو قرآن الله (عزّوجلّ) وكلامه، فإنّه أُضيف إليه، لأنّه هو الذي جاء به من عند الله (عزّوجلّ).

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾.

(س) لماذا وُصف جبرائيل عليه السلام بخمس صفات أُخر إلى جانب وصفه بالرسول؟

(ج) وذلك لإثبات شأن وعظمة القرآن الكريم بأنّه من عند الله (تعالى) جاء به رسولٌ كريم ذو كرامة وعزّة عند الله تعالى، وأنّه)ذِي قُوَّةٍ(ذي قدرة وشدّة بالغة ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ أي صاحب قرب ومنزلة عند الله تعالى، وأنّه ﴿مُطَاعٍ﴾ له أعوان من الملائكة يأمرهم فيأتمرون بأمره و﴿أَمِينٍ﴾ لا يخون فيما أُمر به يوصل الأمانة بدون أيّ تصرّف.

وهذه الصفات الخمس يجب أن تتوفّر بالشكل الكامل في الرسول الصادق ولولا وجود هذه الصفات في جبرائيل عليه السلام لتوجّه الكلام والاستفهام إلى القرآن الكريم[1].

(س) هل هناك مثال يضربه القرآن الكريم يشير إلى قوّة جبرائيل عليه السلام لقوله تعالى: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾؟

(ج) روي... أنّ رسول الله ﷺ قال لجبرائيل عليه السلام عند نزول هذه الآيات: «ما أحسن ما أثنى عليك ربّك! ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ فما كانت قوّتك؟ وما كانت أمانتك؟ فقال: أمّا قوّتي فإنّي بُعثت إلى مداين لوط، وهي أربع مداين، وفي كلّ مدينة أربعمائة ألف مقاتل سوى الذراري، فحملتهم من الأرض السفلى حتّى سمع أهل السماوات أصوات الدجاج ونباح الكلاب، ثمّ هويت بهنّ فقلبتهنّ، وأمّا أمانتي فإنّي لم أؤمر بشيء فعدوته إلى غيره»[2]. قال (عزّوجلّ): ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً

---

(١) تفسير الأمثل: سورة التكوير: الآية.

(٢) مجمع البيان ج١٠ ص٤٤٦، وقال العلاّمة الطباطبائي (رحمه الله) الرواية لا تخلو من ضعف.

عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[١].

(س) ما هذه العندية في قوله تعالى: ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾؟

(ج) العندية هذه ليست عندية مكانية ولا جهة فهي كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ..﴾[٢] بدليل قوله تعالى في الحديث القدسي «يا محمّد أنا عند المنكسرة قلوبهم» فالعندية هي عندية الإكرام والتشريف والتعظيم[٣].

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾.

(س) لماذا قال (عزّوجلّ) في دفاعه عن النبيّ الأكرم ﷺ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ دون أن يختار كلمة أخرى بدل كلمة الصاحب؟

(ج) كلمةُ ﴿صَاحِبُكُمْ﴾ تكذيب لهم في رميهم له بالجنون، وتنزيه لساحته المقدّسة. الكلمة تقول: إنّه صاحبكم الذي عاش بينكم طول عمره وأنتم أعرف به، إذ وجدتموه على كمال من العقل ورزانة من الرأي وأنّه الصادق الأمين كما وصفتموه ومَن كان هذه صفاته لا يُرمى بالجنون.

وإنّ وصف الصاحب يحكي عن تواضع النبيّ ﷺ حيث كان يعيش مع جميع الناس دون أن يستعلي على أحد من الخلق.

(س) الآيات السابقة لهذه الآية ذكرت صفات مدحت فيه جبرائيل عليه السلام دون أن تمدح النبيّ ﷺ إلاّ أن تنفي عنه الجنون، هل في هذه الموازنة إشارة إلى أفضلية جبرائيل على نبيّنا ﷺ؟

(ج) ذهب البعض من مفسّري المذاهب الأخرى إلى هذا الرأي ولكن لا يمكن قبوله إطلاقاً إذ هذه الآيات لا دلالة فيها على أفضليته من النبيّ ﷺ لأنّ الكلام مسوق لبيان أنّ القرآن

---

(١) هود: ٨٢-٨٣.

(٢) الأنبياء: ١٩.

(٣) تفسير الأمثل: الآية.

كلام الله سبحانه منزلٌ على النبيّ ﷺ من عنده سبحانه عن طريق الوحي لا من أوهام الجنون بإلقاء من شيطان، والغرض من مدح جبرائيل عليه السلام هو تنزيهه عن الخطأ والخيانة.

ولقد وصف الله (سبحانه وتعالى) نبيّه الكريم بصفات كبرى وكريمة، لم يوصف أحد بها غيره، ممّا لا يرتاب معها في أفضليته ﷺ على جميع الملائكة والخلق.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[2]، وقال (عزّوجلّ): ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ.. ﴾[3].

(س) لماذا اتّهمت المجتمعات الماضية رسولها بالجنون والسحر وغير ذلك كما اتُّهم رسولنا ﷺ؟

(ج) لأنّ الأنبياء عليهم السلام يأتون بالتعاليم الحقّة من عند الله (عزّوجلّ) فبما أنّها تخالف الرغبات والأهواء الطائشة والعصبيات العمياء، لهذا نرى أصحاب هذا الخطّ المنحرف يتّهمون صاحب الدعوة بمختلف الاتّهامات لكي يبعدوه عن حياتهم وسيرتهم الهوجاء.

قال (عزّوجلّ): ﴿كَذلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُول إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾[4]، فبناءً على هذا المقياس الأعمى.. كلّ الأنبياء مجانين في نظر عبَدة الدنيا.

۞ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ﴾.

(س) ما علاقة الآية المباركة بالتي سبقتها؟

(ج) الآية المباركة تشير إلى الارتباط الوثيق والعلاقة الصميمية الموجودة بين النبيّ محمّد ﷺ وجبرائيل عليه السلام إذ تشير إلى أنّ النبيّ ﷺ قد رأى جبرئيل في الأفق المبين

(١) الأحزاب: ٤٥ـ٤٦.

(٢) الأنبياء: ١٠٧.

(٣) آل عمران: ١٦٤.

(٤) الذاريات: ٥٢.

الذي تظهر فيه الملائكة عليهم السلام .

(س) متى رأى النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله جبرائيل عليه السلام ؟

(ج) قال البعض بأنّه صلى الله عليه وآله رآه في صورته الحقيقية مرّتين ، الأولى عند بداية البعثة النبوية المباركة ، حيث ظهر له في الأفق الأعلى وقد غطّى الشرق والغرب حتّى بُهِر النبيّ صلى الله عليه وآله بعظمة هيئته ، والثانية رآه عند معراجه إلى السماوات العلى .

(س) ما هو الأفق المبين؟

(ج) إنّه الأفق الأعلى كما قال (عزّوجل) في سورة النجم ﴿وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى﴾ [1] .

❁ قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾.

(س) ما علاقة الآية بالآية السابقة؟

(ج) الآية المباركة تُبيّن الشخصية العملية للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بعد أن نفت الآيات السابقة عنه الجنون وأنّه رأى جبرائيل عليه السلام في الأفق الذي تظهر فيه الملائكة ، وتبيّن عظمة الرسول ووضوحه وقوّته في أداء الرسالة الإلهية ، فهو صلى الله عليه وآله لا يبخل بشيء ممّا يوحى إليه فلا يكتمه ولا يغيّره بتبديل بعضه أو كلّه ، بل يُعَلم الناس ما علّمه الله ويبلغهم ما بلّغه بكلّ أمانة وإخلاص دون أن يطلب أيّ أجر كما يطلب الآخرون الساذجون . فالبخل بالأشياء الثمينة ليست من صفات الأنبياء عليهم السلام بل هي من صفات الناس العاديّين .

❁ قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾.

(س) ما سبب مجيء الآية المباركة؟ وكيف يردّ القرآن الكريم زعمهم الباطل هذا؟

(ج) الآية المباركة تجيب على أحد افتراءات المشركين ، إذ إنّهم عندما اتّهموا النبيّ صلى الله عليه وآله بالسحر ، قالوا بأنّ ما جاء به قد أخذه من الشياطين . القرآن الكريم يردّ اتّهامهم الباطل هذا بمحتواه العظيم وبنوره الساطع وذلك لأنّ حديث الشياطين ليس إلاّ أباطيل

---

(١) النجم: ٧.

وظلمات، بينما الذي يواجه القرآن الكريم يجده نوراً وهداية إلى الخير والكمال.

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾.

(س) لمَن الاستفهام؟

(ج) الاستفهام التوبيخي لأولئك الذين شكّكوا في القرآن الكريم وبالرسول الأكرم الذي اتّهموه بأنواع التهم الباطلة، فالآية المباركة تقول بأنّكم عرفتم:

أوّلاً: بأنّ النازل كلام الله (عزّوجلّ) وأنّكم لا تستطيعون أن تأتوا بمثله ولو كان بعضكم لبعض ظهيراً.

ثانياً: الذي انزله ملكٌ سماويّ عظيم المنزلة وأمين وذي قوّة عند ذي العرش.

ثالثاً: الذي أنزل عليه القرآن هو صاحبكم الذي عاش معكم سنين طويلة وأنتم تعرفون بأنّه ليس بمجنون.

رابعاً: أنّه ليس بتسويل من إبليس وجنوده.

فإذا كان الأمر على هذا فأين تذهبون وتتركون الحقّ وراءكم؟[١]

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾.

(س) ماذا نستوحي من قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾؟

(ج) نفهم من الآية المباركة بأنّ القرآن بيان وهداية للخلق أجمعين، من دون فرق بين عربيّ أو أعجميّ، أبيض أو أسود، قال (عزّوجلّ): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾[٢].

۞ قال تعالى: ﴿لِمَنْ شَاء مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾.

(س) لماذا التخصيص بعد العموم في قوله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاء مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾؟

(ج) الآية الشريفة تفتح باب الحرية للإنسان في اختيار الطريق الذي يريده سواء كان طريق

---

(١) تفسير الأمثل: سورة التكوير: الآية.

(٢) سبأ: ٢٨.

حقّ أم طريق باطل، فالذي يريد الهداية، القرآن يكون له هدى، ويستحقّ نزول الرحمة الإلهية عليه. بينما الذي يعرض عنه لا شكّ سوف لا يجد الهداية أبداً، قال (عزّوجلّ) ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾[١].

(س) كلمة (يَستَقيم) في قوله (عزّوجلّ): ﴿لِمَنْ شَاء مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ ماذا تدلّ؟

(ج) تدلّ أنّ طريق الله (عزّوجلّ) هو الطريق الحقّ والمستقيم وهو الذي يوصل إلى الهدف المنشود والسعادة الكبرى، وما الطرق الأخرى إلاّ سبل ملتوية تؤدّي بسالكها إلى السقوط والخسران في الدنيا والآخرة، ولولا الإفراط والتفريط والوساوس الشيطانية وأغشية الذنوب والمعاصي، لسار الجميع على الطريق المودّي إلى الله تعالى وذلك استجابةً لنداء الفطرة الذي يدعو إلى الحقّ والاستقامة.

۞ **قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاء اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.**

(س) ما سبب مجيء هذه الآية في آخر السورة المباركة؟

(ج) الآية المباركة ﴿وَمَا تَشَاءونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاء اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ جاءت لدفع التوهّم الذي قد يحصل عند الإنسان في استقلالية الاستقامة في قوله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاء مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ إن شاء استقام وإن لم يشأ الإنسان لم يستقم. الآية المباركة تقول: ليس الأمر هكذا، إنّ مشيئة الإنسان متعلّقة ومتوقّفة على مشيئة الله ولا يشاء الله (عزّوجلّ) إلاّ الخير والفائدة للإنسان. ولهذا قال في الآية ﴿.. رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، فالإنسان ليس مجبوراً بشكل مطلق ولا هو مختار بصورة كاملة ولكن أمر بين أمرين كما روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين»[٢].

(س) هل للآية سبب نزول؟

(ج) قيل لمّا نزل قوله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاء مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ قال أبو جهل: جعل الأمر إلينا

---

(١) البقرة: ٢.

(٢) تفسير الأمثل: الآية.

إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم . فأنزل الله تعالى : ﴿وَمَا تَشَاءونَ إلاَّ أَنْ يَشَاء اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ .

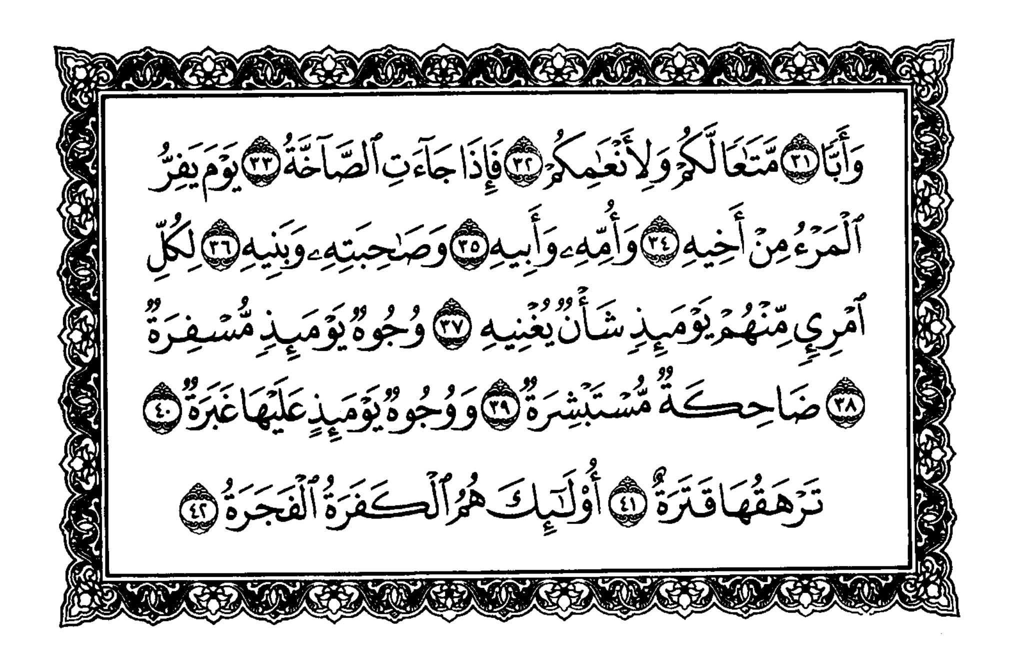
سُورَةُ عَبَسَ



سُورَةُ عَبَسَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾
أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ
﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾
فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ
مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾
قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ
خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا
شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ
﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا
حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً



فضلها:

ابن بابويه بإسناده عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «مَن قرأ عبس وتولّى، وإذا الشمس كُوّرت، كان تحت جناح الله من الجنان، وفي ظلّ الله وكرامته، وفي جنّاته، ولم يعظم ذلك على الله إن شاء الله»[1].

سبب نزول السورة:

روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّها نزلت في رجل من بني أميّة، كان عند النبيّ صلى الله عليه وآله، فجاء ابن أمّ مكتوم، فلمّا رآه تقذّر منه وجمع نفسه وعبس وأعرض بوجهه عنه، فحكى الله سبحانه ذلك، وأنكره عليه»[2].

مفردات السورة:

عبس: بسر وقبض وجهه.

(١) ثواب الأعمال ص١٥١.

(٢) تفسير مجمع البيان ج١٠ ص٤٣٧.

تولّى: أعرض.

التصدّي: التعرّض للشيء.

السَفَرة: الكتبة لأسفار الحكمة.

البرَرة: جمع بارّ وهو فاعل الخير.

أقبره: جعل له قبراً.

الإنشار: الإحياء للتصرّف بعد الموت.

الغلب: الغلاظ.

الأبّ: المرعى من الحشيش.

الصاخّة: الصاكّة لشدّة صوتها الأذان فتصمّها.

القترة: ظلمة الدُخان، ومنه القتار: ريح الشواء لأنّها كالدخان، قال الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام: «من حقوق جارك عليك أن تقتدح له من قِدرك وأن لا تؤذيه بالقتار حتّى تقتدح له منها».

موضوع السورة:

السورة تعاتب الذي يقدّم الأغنياء المترفين على الضعفاء والمساكين من المؤمنين، فيرفع أهل الدنيا، ويضع أهل الآخرة، ثمّ تشير الآيات إلى هوان أمر الإنسان في خلقه، وحاجته الشديدة إلى مَن يدبّر أمره، مع ذلك يكفر بنعم ربّه وتدبيره العظيم لشؤونه، وأخيراً تذكر السورة بعثة الإنسان وجزاءه بصورة إنذار، والسورة مكّية.



الأسئلة والأجوبة

۞ قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الأَعْمى﴾.

(س) اختلفت الروايات في سبب نزول السورة المباركة، روايات أهل السنّة تقول بأنّ الذي عبس وتولّى هو النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ورواياتنا تقول بأنّها نزلت في رجل من بني أميّة كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام، فكيف يمكن تنزيه ساحة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وهل يمكن أن تكون

الآية نازلة فيه؟

(ج) لا يمكن القول بأنّ السورة نزلت في النبيّ ﷺ تعاتبه على العبس والإدبار عن المؤمنين والتصدّي والإقبال على الأغنياء الكافرين، للأسباب التالية:

١- ورد عن النبيّ الأكرم محمّد ﷺ بأنّ صحّة وبطلان الروايات يكون بعد العرض على القرآن الكريم، فعندما نعرض هذه الرواية على القرآن نراها مخالفة تماماً مع صريح الآيات المباركات التي تنزّه النبيّ ﷺ وترفع من شأنه.

٢- لم يذكر لنا التاريخ بأنّ النبيّ ﷺ أساء التصرّف مع أعدائه المنابذين فضلاً عن المؤمنين المسترشدين، كان ﷺ في قمّة الأخلاق واللطف مع أعدائه، فكيف نعقل بأنّه عبس وتنفّر من المؤمن الأعمى الذي جاءه طالباً الهداية؟!

٣- القرآن يأمر النبيّ ﷺ بالصبر والعيش مع الفقراء إذ فيهم من الخير والكمال ما ليس في الأغنياء، قال (عزّوجلّ): **﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا... ﴾**[1]، فهل يمكن للنبيّ ﷺ أن يخالف كلام الله (عزّوجلّ) وأنّه **﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحى﴾**[2].

٤- كيف يقول: **﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى﴾**[3] والرسول ﷺ مبعوث لدعوة الناس جميعاً إلى التزكية، وهذا القول يغري بترك الحرص على إيمان الآخرين.

٥- الروايات السنّية تشكّك في نزولها في رجل من بني أميّة، أليس من الأولى والأجدر أن نشكّك في نزولها في النبيّ وأنّها لا تعنيه ولا يمكن أن يحمل مثل هذه الصفات اللاإنسانية والخالية من الرحمة؟ وقد بُعث رحمة للعالمين، قال تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾**[4].

٦- قال العلاّمة الطباطبائي (رحمه الله): «وقد عظّم الله خُلق نبيّه ﷺ، إذ قال:

---

(١) الكهف: ٢٨.

(٢) النجم: ٣-٤.

(٣) عبَس: ٧.

(٤) الأنبياء: ١٠٧.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ في سورة القلم النازلة في بدء البعثة، لأنّها نزلت بعد سورة العلق باتّفاق روايات الترتيب. فكيف يعقل أن يعظّم الله خلق نبيّه في بدء بعثته بصورة مطلقة، ثمّ يعود فيعاتبه بالعبوس في وجه الفقراء والتصدّي للأغنياء؟!».

٧- الرسول ﷺ مأمور بالتواضع مع الفقراء والإعراض عن المشركين. قال (عزّوجلّ): ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، وقال (عزّوجلّ): ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[2]، فكيف يخالف ﷺ أمر الله (عزّوجلّ) في الموضعين، فيعرض عن المؤمنين ويقبل على المشرك؟!

٨- إنّ تفضيل الغنيّ على الفقير لا لشيء سوى أنّه ذو جاه وهذا حقير قبيح عقلاً، فكيف إذا كان الغنيّ جاهلاً مشركاً والفقير مؤمناً صالحاً طالباً للهداية والاسترشاد، فإنّه قمّة القبح.

٩- ربّنا (سبحانه وتعالى) يأمرنا في كتابه الكريم بالاقتداء برسوله ﷺ بشكل كامل في قوله وفعله وسكونه، فإذا كان النبيّ ﷺ هو العابس في وجه المؤمن الأعمى فلا بأس علينا إذاً بعد هذا أن نعبس في وجوه المؤمنين الفقراء وأن نتوجّه إلى المستكبرين الأغنياء بدل ذلك. وهذا ما لا يقبله الله ورسوله والمؤمنون والعقلاء.

في مجمع البيان عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا رأى عبد الله بن أمّ مكتوم قال: مرحباً مرحباً والله لا يعاتبني الله فيك أبداً، وكان يصنع به من اللطف حتّى كان يكفّ عن النبيّ ﷺ ممّا يُفعل به» أي يكفّ عن الحضور عنده ﷺ لكثرة صنيعه ﷺ به انفعالاً منه وخجلاً، وأنّه ﷺ يقسم في هذه الرواية بأنّه ليس هو المعاتَب بشأن الأعمى فهل يمكن أن يقسم النبيّ ﷺ كذباً؟ حاشاه الله من ذلك.

---

(١) الحجر: ٨٨.

(٢) الحجر: ٩٤.

۞ قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾.

(س) لماذا جاءت الآيتان في بداية السورة في سياق الغيبة، ثمّ آيتان أخريان في سياق الخطاب المباشر؟

(ج) الآيتان الأوليتان ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى﴾ فيها إعراضٌ عن المشافهة للدلالة على تشديد الإنكار والعتاب، ومجيء الآيتين الآخيرتين في سياق الخطاب فيه تشديد التوبيخ وإلزام الحجّة بسبب المواجهة بعد الإعراض والتقريع من غير واسطة.

(س) لماذا عبّر عن الجائي بالأعمى دون أن يقول كلمة أخرى، حيث قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى﴾؟

(ج) التعبير عن المقبل بالأعمى فيه مزيد من التوبيخ للعابس الذي تولّى بعد أن وقع بصره عليه، إنّ الساعي الأعمى الذي سعى لحاجة في دينه وعبادته من الحريّ أن يُرحم ويُخصّ بمزيد الإقبال والعطف لا أن يُجفى ويُعرض عنه.

(س) هل يمكن القول على أنّ المراد من المعاتَب هو النبيّ ﷺ وأنّ التعبير عنه ﷺ بضمير الغيبة إجلالاً له لإيهام أنّ الذي صدر عنه العبس والتولّي هو غيره لأنّه لا يصدر مثل هذا منه ومن ثمّ الخطاب المباشر فيه إجلال لما فيه من الإيناس بعد الإيحاش والإقبال بعد الإعراض؟

(ج) قال العلاّمة الطباطبائي (رحمه الله): «إنّه لا يلائمه الخطاب في قوله: ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ والعتاب والتوبيخ فيه أشدّ من ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ وليس في الآية إيناس أبداً».

۞ قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى﴾.

(س) لمن الخطاب في الآية المباركة: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى﴾؟

(ج) إنّه خطاب لذلك الأمويّ العابس والمعنى ليس عليك بأس أن لا يتزكّى المشرك الغنيّ حتّى يبعثك الحرص على إسلامه إلى الإعراض عن المسلم الذي يطلب الزيادة في

إيمانه .

(س) ما هي المطبّات الإيمانية والروحية التي ظهرت ذلك اليوم من العابس الأموي في وجه المؤمن الساعي إلى رسول الله ﷺ ؟

(ج) من المطبّات الإيمانية التي ظهرت من العابس الأعمى القلب :

١- إنّه تنفّر من ذلك الأعمى لفقره ولعماه ، ناسياً لعلّه إذا جاء إلى النبيّ الأكرم ﷺ وجلس عنده سوف يجد التزكية الأكثر وسوف يتذكّر بمواعظ الرسول ﷺ فتنفعه الذكرى ، فهذه الصفات العليا عميت عنه لهذا ﴿عَبَسَ وتَوَلَّى﴾ ، قال تعالى : ﴿ومَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ .

٢- إنّه يقبل ويتواضع للأغنياء ، ويستقبلهم بكلّ حفاوة وتكريم بخلاف الفقير ، قال تعالى : ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ ، قال عليه السلام : «مَن تواضع لغنيّ لماله ذهب ثلثا دينه» .

٣- إنّه يسعى ويستقبل الأغنياء زاعماً هدايتهم وتزكيتهم ، بينما ليس هو مسؤولاً عنهم وعن تزكيتهم ، قال تعالى : ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى﴾ .

٤- يتلهّى عن المؤمن الساعي إلى رسول الله ﷺ ، قال تعالى : ﴿وأَمَّا مَنْ جَاءكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ يتلهّى ويتشاغل بغيره ممّن لا دين له ولا إيمان .

(س) هناك مَن يشكّك ويقول كيف تنزل آيات متعدّدة في شخص مصلحي لا إيمان له مثل عثمان بن عفّان؟

(ج) لقد نزلت آيات وسور فيمَن هو أتعس حالاً من عثمان كأبي لهب وفرعون وقارون .

۞ **قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاء ذَكَرَهُ * فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾.**

(س) ما علاقة هذه الآيات بفعله العابس السيّئة؟

(ج) في الآيات إنكارٌ وردع وتأنيب للعابس ومن يريد الاقتداء به ، فالآيات

تقول) كَلاًّ (الإسلام يرفض هذه الأخلاق الجاهلية الرديئة، إنّ قيمة الإنسان تُقاس بإيمانه وتقواه وليس بماله وجاهه المزيّف، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1]، وإنّ القرآن تذكرة للجميع سواء للأعمى والبصير وللعربي والأعجمي، ولا إكراه فيه ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ والمتذكّر هو المنتفع بالتذكرة لا الداعي، التذكرة مكتوبة في صحف مطهّرة بأيدي ملائكة الوحي وأنّها: ﴿... مُكَرَّمَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾.

۞ قال تعالى: ﴿مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾.

(س) ما المراد من رفعة القرآن الكريم؟

(ج) ١- مرفوعة عن وحي الأرض، إنّها وحي السماء، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً﴾[2].

٢- مترفّعة عن تدخّل الأرض وتحريفها، قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[3].

(س) وصف الله (تعالى) القرآن بأنّه مطهّر فكيف يتوضّح لنا ذلك؟

(ج) ١- إنّه مطهّر عن القول الباطل، قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[4].

٢- مطهّر من لغو القول، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾[5].

٣- مطهّر من التناقض، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً

---

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) النساء: ٨٢.

(٣) الإسراء: ٨٨.

(٤) فُصّلت: ٤٢.

(٥) الطارق: ١٣ـ١٤.

كَثِيراً﴾[١].

٤- الوسائط الملائكية والرسولية المطهّرة تؤكّد طهارتها أيضاً، قال تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾.

۞ قال تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾.

(س) مَن هم السفَرة الكرام البررة، ولماذا سُمّوا بهذا الاسم؟

(ج) السفَرة هو الربّانيون المرسَلون، سماويون وأرضيون من جبريل أمين الوحي وملائكته الأعوان إلى النبيّ الأكرم محمّد ﷺ وهو أفضل السفراء الإلهيين من الأوّلين والآخرين، وسُمّوا السفراء الإلهيون بهذا الاسم وذلك:

١- أنّهم سافرون دائموا الحركة في البلاغ.

٢- وجوههم سافرة بشاشة وهكذا صدورهم وقلوبهم.

٣- كيانهم السفور في الحقّ لا يخفون أمراً أُمروا بإبلاغه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[٢].

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿قُتِلَ الإنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾.

(س) ما علاقة الآية المباركة بما سبقتها من الآيات؟

(ج) لمّا ذكر الله تعالى قصّة العابس المتكبّر على المؤمن الصالح، عجّب عباده المؤمنين من ذلك، فكأنّه قيل: وأيّ سبب في هذا التكبّر والترفّع مع أنّ أوّله نطفة قذرة وآخره جيفة مذرة، وما بينهما يحمل العذرة، كما ورد عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في وصفه للمتكبّر.

(س) لماذا شرعت الآيات بذكر أصل خلقة الإنسان بعد ذكر حادثة العبس؟

(ج) إنّ ذكر أصل خلقة وتكوين الإنسان دعوة إليه إلى إصلاح حالة العُجب والتكبّر التي

---

(١) النساء: ٨٢.

(٢) التكوير: ١٩-٢١.

لديه ومن ثمّ علاج الكفر والطغيان، فإذا نظر الإنسان إلى حقيقة خلقه فسوف يستدلّ على خالقه ومن ثمّ سيتواضع له ويقرّ بالرجوع إليه مرّة أخرى، فإنّ الذي خلقه من تراب قادر على إعادته مرّةً أخرى، ولهذا قال (عزّوجلّ): ﴿قُتِلَ الإنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾[1].

۞ قال تعالى: ﴿قُتِلَ الإنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾.

(س) لماذا ذكرت الآية المباركة القتل للإنسان: ﴿قُتِلَ الإنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ بعد ذكره للآيات السابقة؟

(ج) إنّه دعاءٌ على الإنسان ومن أشنع وأشدّ الدعاء، لأنّ القتل غاية شدائد الدنيا، وجاء الدعاء على الإنسان لما في طبعه التوغّل في اتّباع الهوى ونسيان ربوبية الله (عزّوجلّ) والتكبّر عن اتّباع أوامره وقوله ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ تعجّب من مبالغته في الكفر وستر الحقّ الصريح وهو يرى أنّه برٌّ من قبل الله (عزّوجلّ) في كلّ صغيرة وكبيرة.

(س) الدعاء على الإنسان والتعجّب من كفره إنّما يليق من العاجز والجاهل فكيف يليق بالقادر على الكلّ والعالم بالكلّ؟

(ج) الدعاء والتعجّب وردا على أسلوب كلام العرب وليس معناه أنّه (تعالى) عاجز وجاهل.

(س) أصل خلقة ونشأة الإنسان معروفة لدى الجميع فلماذا الاستفهام في قوله (عزّوجلّ) ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾؟

(ج) الاستفهام جاء لتأكيد قوله ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ وتوطئة للجواب الذي في قوله ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ﴾.

---

(١) عبس: ١٧ ـ ٢١.

۞ **قال تعالى: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾.**

(س) تنكير كلمة نطفة في قوله (عزّوجلّ): ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ تدلّ على حقارة أصل خلقة الإنسان، فلماذا هذه الاستهانة وهو القائل ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[١]؟

(ج) إنّ قوله (عزّوجلّ): ﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ﴾ يشير إلى أصل ومنشأ خلقة الإنسان وأنّها دعوة له إلى ترك الطغيان والتكبّر على الله (عزّوجلّ)، وليس في الآية استهانة له بل هي دعوة إليه لسلوك الصراط المستقيم والاستفادة من القدرات الهائلة التي جعلها الله (عزّوجلّ) مع خلقة هذا الإنسان، ولهذا قال (عزّوجلّ): ﴿... فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ أي أعطاه القدرة والكمال في ذاته وصفاته، فليس له أن يتعدّى حدوده ولكنّه قادر على السموّ الذاتي ونيل الدرجات العالية وبنفس الوقت قادر على انتهاج الطريق الملتوي الذي يردي به إلى أسفل سافلين، قال (عزّوجلّ): ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾[٢].

(س) ما هو السبيل الذي يُسّر للإنسان بقوله (عزّوجلّ): ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ وكيف يُسّر؟

(ج) الآية جاءت لنفي العذر من الإنسان في كفره واستكباره لأنّ الله (عزّوجلّ) يسّر وسهّل له طريق الخير والطاعة ثمّ تركه واختياره لأيّ طريق شاء ولهذا قال (عزّوجلّ): ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[٣]، وقال: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾[٤]، وأنّه يَسَّر سبيل الخير عبر القنوات والطرق المتعدّدة التي تؤدّي إلى ذلك وجعل الباب مفتوحاً إلى آخر لحظة من حياة الإنسان، فمن الطرق التي تؤدّي إلى معرفة سبيل الخير هي الآيات الكونية والرسالية والرسولية والأنفسية والفطرية والعقلية والخلقية التكوينية

---

(١) التين: ٤.

(٢) التين: ٤ ـ ٥.

(٣) البلد: ١٠.

(٤) الإنسان: ٣.

﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[١]، والهدايات الإلهية المضاعفة، قال (عزّوجلّ): ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[٢].

(س) هل يسّر الله سبيل الباطل للإنسان كما يسّر سبيل الخير؟

(ج) إنّه تعالى لم ييسّر سبيل الباطل للإنسان ولو كان كذلك لقالت الآية: ثمّ السبيلان يسّرهما، وحاشا لله (عزّوجلّ) أن يريد لعباده ولخلقه السوء والأذى، قال تعالى: ﴿وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً﴾[٣].

❁ قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾.

(س) كيف نسب الله تعالى الإقبار إلى نفسه بقوله: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ والحال أنّ الناس هم الذين يدفنون موتاهم؟

(ج) نسب الله (سبحانه وتعالى) دفن الميّت وإخفاءه في بطن الأرض إلى نفسه لأنّه تعالى هو الذي هدى خلقه وعلّمهم كيف يصنعون ذلك، لهذا فللفعل نسبةٌ إليه كما له نسبة إلى الناس. قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ..﴾[٤].

(س) هل في موت الإنسان ودفنه فائدة؟

(ج) في موت الإنسان فوائد كثيرة له وللآخرين الأحياء، بالموت ينتقل الإنسان من حال التكليف إلى حال المجازاة، فإن كان ظالماً في حياته الدنيا، فسوف يرتاح الأحياء منه، وإن كان مظلوماً ينتقل إلى عالم الراحة والسعادة.

وإقبار الميّت نوع من التكريم له حيث يكون في مأمن من أن تتناوشه السباع وتأكله، وفيه راحة للأحياء أيضاً إذ لا يتأذّون من جيفته ولا يتنفّرون منه.

---

(١) طه: ٥٠.

(٢) الأنعام: ١٦٠.

(٣) النساء: ٢٧.

(٤) المائدة: ٣١.

۞ قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾.

(س) لماذا قال (عزّوجلّ): ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ أوَ لم يقض بإرجاع العباد إليه ومجازاتهم على أعمالهم بقوله: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْس بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[1]؟

(ج) إحياء الناس وبعثهم ليوم القيامة والجزاء من الأمور العقلية والبديهية التي لابدّ منها وإلاّ لكان خلق السماوات والكائنات عبثاً، لهذا: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْس لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾[2]، الآية المباركة ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ في صدد موضوع وقت قيام القيامة، إذ إنّ وقته غير معلوم لنا، تقديمه وتأخيره موكول إلى مشيئة الله (عزّوجلّ)، لهذا قال تعالى: ﴿لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً﴾[3].

۞ قال تعالى: ﴿كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾.

(س) مَن الذي لم يؤدِّ ما أُمر به بقوله (عزّوجلّ): ﴿كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾؟

(ج) الآية المباركة جواب لسؤال مقدّر، كأنّه لمّا أُشير إلى أنّ الإنسان مخلوق مدبّر له تعالى من أوّل وجوده إلى آخره، من خلق وتقدير وتيسير للسبيل وإماتة وإقبار وإنشار وكلّ ذلك نعمة منه تعالى، هنا يظهر سؤال وهو كيف واجه الإنسان هذه النعم المتعدّدة؟ هل خضع لربّه هل شكره؟ فأُجيب: كلاّ ثمّ أوضح فقيل: لم يطبّق ويلتزم بما أمر الله (عزّوجلّ) به بل كفر وعصى.

۞ قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلى طَعَامِهِ﴾.

(س) ما علاقة الآية المباركة بما تقدّم؟

(ج) من عادة القرآن الكريم أنّه كلّما ذكر الدلائل الموجودة في النفس، يذكر بعدها الدلائل

---

(١) غافر: ١٧.

(٢) الطارق: ٤.

(٣) الأعراف: ١٨٧.

الآفاقية، فالدليل الآفاقي هنا هو ما يحتاج الإنسان إليه لاستمرار حياته. في الآية دعوة عامّة للناس، تدعوهم إلى التفكّر في طعامهم اليومي أنّه واحدٌ ممّا لا يُحصى من التدبير الربوبي لرفع حوائج الإنسان، فإذا تأمّل في طعامه فسوف يندهش ويتحيّر لبّه وأخيراً سيصلح حاله ويستقيم أمره.

❁ **قال تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً﴾.**

(س) كيف يهيّئ الله (سبحانه وتعالى) الطعام للإنسان؟

(ج) قال (عزّوجلّ): **﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَائِقَ غُلْباً * وَفَاكِهَةً وَأَبّاً * مَتَاعاً لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾**[1]، والنبت إنّما يحصل بفعل التزاوج بعد نزول المطر من السماء كالذكر على رحم الأرض كالانثى وبعد هذا اللقاح والنكاح الميمون تخرج الأرض بركاتها للإنسان والحيوان.

(س) كيف شقّ الله (تبارك وتعالى) الأرض بقوله **﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً﴾** فأنبت فيه الحبّ والعنب والقضب؟

(ج) إنّ الأرض انشقّت وذلك بفعل النبات الذي يخرج منها بعد أن جعلها الله (سبحانه وتعالى) ممهّدة وذلولاً لاحتياجات الإنسان المختلفة منها الطعام، قال تعالى: **﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ... ﴾**[2].

❁ **قال تعالى: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً﴾.**

(س) لماذا ذكر الحبّ أوّلاً ثمّ العنب؟

(ج) الحبّ هو كلّ ما يحصد مثل الحنطة والشعير وذُكر أوّلاً لأنّه الأساس والأصل في طعام الإنسان، ورد في الحديث الشريف لولا الخبز لما عُبد الله. وذُكر العنب بعد الحبّ لأنّه

---

(١) عبس: ٢٥ـ٣٢.

(٢) الملك: ١٥.

غذاء من وجه وفاكهة من وجه آخر.

(س) ما هو القضب في قوله (عزّوجلّ): ﴿وَعِنَباً وَقَضْباً﴾؟

(ج) القضب هو الغصن الرطب من البقول الذي يأكله الإنسان ويقضبه أي يقطعه مرّة بعد أخرى.

(س) ما هو الهدف من ذكر الله تعالى ثمانية أنواع من النبات في هذه الآيات؟

(ج) ١- إنّها دلائل تدلّ على التوحيد والمعاد.

٢- دعوة إلى الاستحياء والخجل من المنعم المتفضّل، إذ إنّ الإله الذي يحسن إلى عبيده بهذه الأنواع العظيمة من النعم، من الأولى أن يشكر الإنسان عليها لا أن يكفر ولا يليق بالعاقل أن يتمرّد عليه ويتكبّر على طاعته.

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ..﴾.

(س) ما الهدف من ذكر أهوال يوم القيامة بعد ذكر النعم الإلهية.

(ج) في القرآن آيات تبشير وآيات تخويف، قال (عزّوجلّ): ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾[1]، يظهر أنّ أكثر الناس لا يستقيمون ولا يصلح سلوكهم إلاّ بالتخويف والتهويل لهذا نرى القرآن الكريم يذكر آيات كثيرة عن يوم القيامة وأهوالها، لعلّ الناس يتوجّهون إلى ربّهم ويعرضون عن التكبّر والظلم، قال (عزّوجلّ): ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً﴾[2].

(س) لماذا سمّيت يوم القيامة بالصاخّة إلى جانب تسمياتها الأخرى؟

(ج) الصاخّة هي صيحة يوم القيامة الشديدة وهي نفخة الصور الأخيرة، ووصفت النفخة بالصاخّة مجازاً لأنّ الناس يصخّون لها أي يستمعون دون أن تترك أحداً، قال

---

(١) البقرة: ١١٩.

(٢) طه: ١١٣.

(عزّوجلّ): ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾[1].

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾.

(س) ما السبب في فرار الإنسان يوم القيامة من أعزّ الناس في حياته الدنيا؟

(ج) ١- إنّ الشدّة الكبرى التي سيواجهها يوم القيامة تذهله وتشغله عن التفكير والاعتناء بغيره كائناً مَن كان، إذ تجذبه لنفسه وتصرفه عن كلّ شيء.

٢- يحتمل أن يكون الفرار هو التباعد والاحتراز عن المطالبة بالتبعات فيقول الأخ: ما واسيتني بمالك، والأبوان يقولان: قصّرت في برّنا، والزوجة تقول أطعمتني الحرام، والبنون: ما علّمتنا وما أرشدتنا إلى طريق الخير.

٣- يحتمل أن يكون الفرار من موالاة أخيه لاهتمامه بشأنه، كقوله (عزّوجلّ): ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾[2].

٤- أو الفرار من النصرة، قال (عزّوجلّ): ﴿يَوْمَ لاَ يُغْنِي مَوْلىً عَنْ مَوْلىً شَيْئاً وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[3].

٥- أو ترك السؤال، قال (عزّوجلّ): ﴿وَلاَ يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً﴾[4].

٦- السبب الأكبر في الفرار هو قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

في المجمع: روي عن عطاء بن يسار، عن سودة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله قالت: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يُبعث الناس حفاة عراة غرلاً (الأقلف غير المختون) يلجمهم العرق ويبلغ شحمة الأذن. قالت: يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض إذا جاء؟ قال: شغل الناس عن ذلك، وتلا رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾».

(س) لماذا ذكرت الآية المباركة الفرار من الأخ أوّلاً ثمّ الأبوين ثمّ الصاحبة والولد، قال

---

(١) الكهف: ٤٧.

(٢) البقرة: ١٦٦.

(٣) الدّخان: ٤١.

(٤) المعارج: ١٠.

(عزّوجلّ): ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾؟

(ج) قال الفخر الرازي: إنّهم ذكروا بالترتيب حسب مقدار التعلّق القلبي، وأنّ تعلّق القلب بالأبوين أكثر من الأخ، وبالصاحبة أكثر من الأبوين وبالبنين أكثر من الصاحبة، وأنّه مسؤول عنهما لقربه منهم أكثر، قال (عزّوجلّ): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ...﴾[1].

۞ قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾.

(س) لماذا عبّرت الآية المباركة عن حال أهل السعادة والشقاء بالوجوه؟

(ج) الوجه مرآة القلب والباطن، فإذا كان مشرقاً وفرحاً معناه أنّه بخير والى خير، وإذا كان الغمّ والهمّ هو الظاهر على الوجه فمعناه أنّه في سوء وبلاء، قال الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «ما أضمر ابن آدم شيئاً إلاّ وظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه».

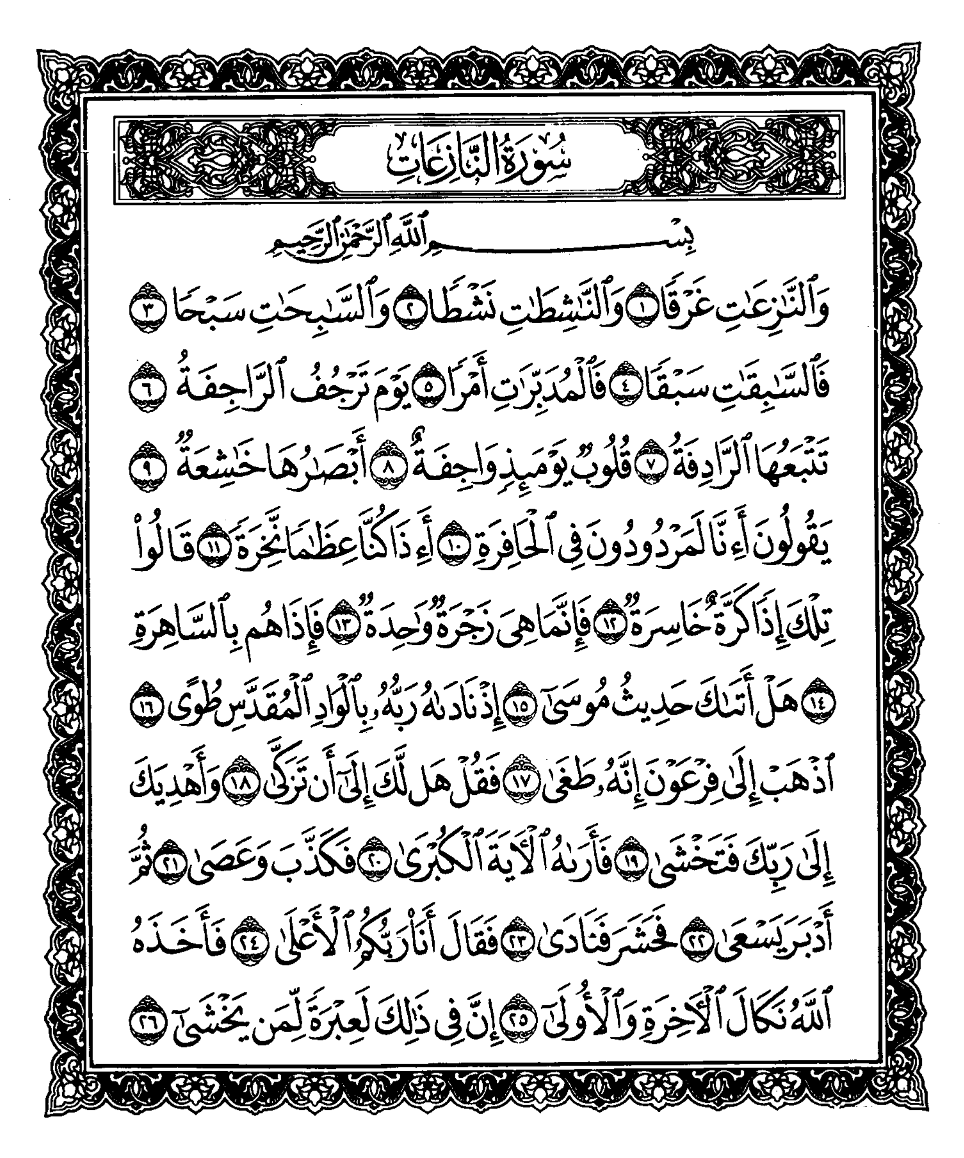
(س) لماذا وصفت الآية المباركة أهل الشقاء الذين وجوههم مغبرة ومسودّة بأنّهم هم الكفرة الفجرة؟

(ج) قال (عزّوجلّ) عنهم بـ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ لأنّهم جمعوا بين الكفر والفجور في حياتهم الدنيا، الكفر بالأمور الاعتقادية والمعنوية، والفجور هو ارتكاب المعاصي والأعمال الشنيعة والمحرّمة.

---

(١) التحريم: ٦.

سورة النازعات



سورة النازعات

بسم الله الرحمن الرحيم

والنزعت غرقا ﴿١﴾ والنشطت نشطا ﴿٢﴾ والسبحت سبحا ﴿٣﴾

فالسبقت سبقا ﴿٤﴾ فالمدبرت أمرا ﴿٥﴾ يوم ترجف الراجفة ﴿٦﴾

تتبعها الرادفة ﴿٧﴾ قلوب يومئذ واجفة ﴿٨﴾ أبصرها خشعة ﴿٩﴾

يقولون أءنا لمردودون في الحافرة ﴿١٠﴾ أءذا كنا عظما نخرة ﴿١١﴾ قالوا

تلك إذا كرة خاسرة ﴿١٢﴾ فإنما هي زجرة وحدة ﴿١٣﴾ فإذا هم بالساهرة

﴿١٤﴾ هل أتاك حديث موسى ﴿١٥﴾ إذ نادله ربه بالواد المقدس طوى ﴿١٦﴾

اذهب إلى فرعون إنه طغى ﴿١٧﴾ فقل هل لك إلى أن تزكى ﴿١٨﴾ وأهديك

إلى ربك فتخشى ﴿١٩﴾ فأرله الآية الكبرى ﴿٢٠﴾ فكذب وعصى ﴿٢١﴾ ثم

أدبر يسعى ﴿٢٢﴾ فحشر فنادى ﴿٢٣﴾ فقال أنا ربكم الأعلى ﴿٢٤﴾ فأخذه

الله نكال الآخرة والأولى ﴿٢٥﴾ إن في ذلك لعبرة لمن يخشى ﴿٢٦﴾

ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾
وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾
أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ
وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ
مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ
مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ
﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن
ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا
﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

فضلها:

ابن بابويه بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مَن قرأ سورة النازعات لم يمت إلاّ ريّاناً، ولم يبعثه الله إلاّ ريّاناً، ولم يدخله الجنّة إلاّ ريّاناً».

مفردات السورة:

النازعات: النزع هو جذب الشيء من مقرّه، ومنه نزوع العداوة والمحبّة من القلب[1]

(١) مفردات الراغب ص٤٨٨.

قال (عزّوجلّ): ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلّ﴾[١]، وقال (عزّوجل): ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرّ * تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾[٢]، قيل تقلع الناس من مَقَرّهم لشدّة هبوبها، وقيل تنزع أرواحهم من أبدانهم.

غرقاً: الغرق اسم أُقيم مقام المصدر وهو الإغراق، يُقال أغرق في النزع إذا استوفى في مدّ القوس وبالغ فيه.

النشط: النزع أيضاً.

الرجف: حركة الشيء من تحت غيره بترديد واضطراب.

الرجفة: الزلزلة العظيمة.

الردف: كلّ شيء تبع شيئاً.

واجفة: مضطربة.

الحافرة: المحفورة، وقيل الأرض المحفورة.

الساهرة: وجه الأرض، والعرب تسمّي وجه الأرض من الفلاةِ ساهرة أي ذات سهر، لأنّه يُسهَر فيها خوفاً منها.

طوى: اسم واد، وهو الموضع الذي كَلّم الله فيه موسى عليه السلام.

طغى: تجاوز الحدّ.

التزكية: النمو.

نكال: عذاب.

الخشية: الخوف المصحوب بالمعرفة.

أدبر: ولّى الدبُر.

السَّمْك: الارتفاع وهو مقابل العمق، والمسموكات هي السماوات لارتفاعها، ومنه قول الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «يا داعم المسموكات».

سوّاها: جعل أحد الشيئين على مقدار الآخر في نفسه أو في حكمه.

---

(١) الأعراف: ٤٣.

(٢) القمر: ١٩ ـ ٢٠.

أغطش: أظلم، الغطش هي الظلمة.

دحاها: بسطها.

أرساها: أثبتها.

الطامّة: العالية الغالبة، وسُمّيت القيامة بذلك لأنّها تعلو وتغلب كلّ داهية هائلة وهي النفخة الثانية، وقيل هي الداهية التي لا يُستطاع دفعها.

المأوى: الملجأ.

مرساها: ثبوتها.

المنتهى: موضع بلوغ الشيء.

موضوع السورة:

السورة المباركة تبتدئ بمجموعة أقسام وذلك لتأكيد حتمية مجيء يوم القيامة الكبرى، والأقسام جاءت بالطاقات التي ستقوم بعملها المرسوم لتنفيذ إرادة الله (عزّوجلّ) في جمع خلقه وحسابهم ومن ثمّ بعثهم إلى منازلهم التي بنوها بأعمالهم في الحياة الدنيا.



الأسئلة والأجوبة

﴿ قال تعالى: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً﴾.

(س) قيل إنّ المراد من ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً﴾ هي ملائكة الموت تنزع الأرواح من الأجساد بشكل شديد وبالغ، فهل هي الملائكة فقط أم يمكن أن تشمل غير ذلك؟

(ج) لا يمكن أن نحصر النازعات بالملائكة فقط، لأنّنا في هذه الحالة سوف نحدّد جنسها بأنّها أنثى وهذا مخالف لصريح القرآن الكريم الذي يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلاَئِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى﴾[1]، وإنّ القرآن لم يأتِ بضمير التأنيث للملائكة،

---

(١) النجم: ٢٧.

إذاً فالنازعات هي القوّات الشاملة للملائكة وغيرها.

(س) ما هي المصاديق التي يمكن أن تشملها كلمة النازعات؟

(ج) ١- أحد مصاديق النازعات هي الملائكة الذين ينزعون أرواح الكفّار عن أبدانهم بشدّة، كما روي عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام.

٢- قيل إنّه الموت الذي ينزع النفوس إلى البرزخ من المؤمنين وغيرهم، كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام.

٣- وقيل إنّها القدرة الإلهية النازعة للأعمال والأقوال، الغريقة في فضاء العالم، فتنزعها وتحافظ عليها لتشهد يوم يقوم الأشهاد.

❁ **قال تعالى: ﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً﴾.**

(س) هل يواجه المؤمنون الملائكة الذين ينزعون بصورة غريقة أي شديدة؟

(ج) حسب الظاهر أنّ المؤمنين يواجهون القسم الآخر من الملائكة عند نزع الروح، وهم ﴿النَّاشِطَاتِ نَشْطاً﴾، النشط هو الجذب والإخراج برفق وسهولة، فهؤلاء الملائكة يُخرجون أرواح المؤمنين بكلّ لطف ورفق، وكما أنّ النازعات مختصّة بالكفّار.

❁ **قال تعالى: ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً﴾.**

(س) لماذا تواجه الأرواح يوم القيامة الملائكة السابحات المسرعات في عملها؟

(ج) لأنّه يوم الجزاء والعطاء والحساب الكامل والشامل والسريع بدون أيّ تأخير، فبعدما تقبض الملائكة الأرواح، تسرع بروح المؤمن إلى الجنّة وبروح الكافر إلى النار، والسبح هو الإسراع في الحركة، فالمؤمن يُسرَع به إلى العطاء الحساب والكافر يُسرَع به إلى الجزاء الوفاق ﴿ذلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾[1].

❁ **قال تعالى: ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً﴾.**

(س) ماذا تسبق السابقات؟

---

(١) الحج: ١٠.

(ج) بما أنّ الملائكة مأمورون في القيام ببعض الأمور الموكلة، كما قال: ﴿لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[1]، لذا فهي تملك من الطاقات والقدرات ما لم تملكه المخلوقات الأخرى، فتقوم بأعمالها ومهمّاتها من دون أن تواجه أيّ معارضة وممانعة في تحقيق وإجراء الأوامر الإلهية، فالنازعات والناشطات والسابحات تقوم بأعمالها بكلّ قوّة ونشاط، فتنزع الأرواح التي التصقت بأجسادها وبالحياة الدنيا، وهكذا تنزع الأجساد في الدنيا وتنثرها نثراً، وهكذا بالنسبة للناشطات والسابحات فهم السابقون دائماً لأجل تدبير أمر الله (عزّوجلّ).

۞ قال تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً﴾.

(س) الآية المباركة ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً﴾ تنسب التدبير إلى الملائكة، بينما في آية أخرى نرى الله (سبحانه وتعالى) ينسب التدبير إلى نفسه، قال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ﴾[2] فكيف نجمع بين هاتين الآيتين؟

(ج) توجد عدّة آيات في القرآن الكريم تنسب التدبير إلى الله (عزّوجلّ) وأنّه الأصل في ذلك وهذا لا ينافي أن يوكل تدبير بعض الأمور إلى الملائكة أو البشر أو إلى الأسباب الطبيعية، فالملائكة لا يدبّرون إلاّ بأمر الله (عزّوجلّ) قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[3]، والإنسان إذا قام بتدبير بعض الأمور فإنّه وما يملك لله (عزّوجلّ)، فهو عاجز عن دفع أبسط الأمور عن نفسه. قال الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «مسكين ابن آدم تنتنه العرقة، وتؤلمه البقّة، وتقتله الشرقة..»، وإذا قام بتدبير بعض أمور حياته فإنّه بحول الله وقوّته ورحمته..

(س) ما الهدف من الأقسام التي ابتدأت بها السورة المباركة؟

---

(١) الأنبياء: ٢٧.

(٢) السجدة: ٥.

(٣) النّحل: ٥٠.

(ج) الهدف من ذلك هو لذكر هذه الحقيقة، ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[(١)]، ﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾[(٢)].

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾.

(س) لماذا سُمّيت أرضنا بالراجفة؟

(ج) سمّيت أرضنا الحنونة بالراجفة وذلك:

١- لأنّها تعرّضت لرجفة كاملة صالحة حتّى أصبحت بسيطة ومفيدة وذلول، قال (عزّوجل): ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا..﴾[(٣)].

٢- إنّها تتعرّض لرجفات هنا وهناك، صغيرة وأحياناً شديدة وذلك لمعاقبة وتنبيه ساكنيها شيئاً ما، لعلّهم يرجعون إلى ربّهم (تبارك وتعالى) قدر المستطاع.

٣- وتسمّى بالراجفة أيضاً وذلك للحركات الكثيرة الموجودة في بطنها، ولولا وجود الجبال الراسيات لمادت بأهلها واضطربت في قرارها.

قال الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «وعدّل حركاتها بالراسيات من جلاميدها وذوات الشناخيب الشُمّ من صياخيدها فسكنت من الميدان برسوّ الجبال في قطع أديمها».

٤- وسمّيت بالراجفة وذلك لحركتها وسباحتها في جوّ السماء حيث قال (عزّوجل): ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ... وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا... وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ... وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[(٤)].

(س) متى ترجف أرضنا الراجفة مرة أخرى وأخرى أخيرة؟

(ج) إنّ أرضنا الطيّبة هذه سوف تواجه رجفتان أخريان ولكنّهما ليست كالرجفات التي

---

(١) الحج: ٧.

(٢) طه: ١٥.

(٣) النازعات: ٣٠ـ٣١.

(٤) يس: ٣٣ـ٤٠.

واجهتها في حياتها الدنيا، سوف تواجه أوّلاً الرجفة الأولى حتّى تميتها كاملاً، قال (عزّوجلّ): ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[١] حتّى تخرج أثقالها، ﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾[٢]، ثمّ ترجف الرجفة الأخيرة والنهائية فتجد بعدها الحياة الكاملة والهنيئة، قال (عزّوجلّ): ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ.. ﴾[٣]، ولهذا قال (عزّوجلّ): ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾رجفة الرادفة هي رجفة الإحياء التي تنقل الأحياء إلى أرض الساهرة.

❁ قال تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾.

(س) أيّ القلوب التي تُوجف يوم القيامة بقوله (عزّوجلّ): ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾؟

(ج) القلوب التي توجف وتضطرب يوم القيامة هي التي كانت مضطربة في حياتها الدنيا منحرفة عن طريق ربّها، متقلّبة في رغباتها وأهوائها.

❁ قال تعالى: ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾.

(س) ما هي الأبصار التي ستخشع يوم القيامة ولماذا؟

(ج) إنّها أبصار القلوب وأبصار العيون، تخشع بعد أن كانت متكبّرة رافضة لقبول الحقّ، وبعد أن كانت في غطاء واستعلاء عن رؤية آيات الله (عزّوجلّ) والانصياع إليها، قال (عزّوجلّ): ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾[٤] وقال

---

(١) الحاقّة: ١٤.

(٢) الزلزلة: ٢.

(٣) إبراهيم: ٤٨.

(٤) إبراهيم: ٤٢ـ٤٣.

(عزّوجل): ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾[١] وهكذا تخشع الأصوات أيضاً: ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمنِ فَلاَ تَسْمَعُ إلاَّ هَمْساً﴾[٢].

۞ قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾.

(س) متى يصدر من الكفّار هذا الكلام ﴿يَقُولُونَ أَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾؟

(ج) قيل إنّه إخبار لقولهم عندما كانوا في الحياة الدنيا مستبعدين وقوع البعث والجزاء، إذ كانوا يقولون كما تشير الآية المباركة، أإنّا لمردودون بعد الموت إلى حالتنا الأولى وهي الحياة.

وقيل إنّهم يقولون ذلك يوم القيامة يقولونها مستغربين ومذهولين، يتساءلون مدهوشين نادمين، قال (تبارك وتعالى): ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾[٣].

۞ قال تعالى: ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾.

(س) لماذا عدّ الكفّار رجوعهم إلى الله (عزّوجلّ) يوم القيامة بأنّه رجوع خاسر بقوله (عزّوجلّ): ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾؟

(ج) لأنّ حياتهم كانت خسراناً وطغياناً وفساداً وظلماً، وأنّهم لم يقدّموا عملاً يطلبون به وجه الله (عزّوجلّ)، فلمّا يرون أيديهم خالية من الخير والصلاح، لهذا يتصوّرون رجوعهم ووقوفهم بين يدي الله (تبارك وتعالى) وقوفاً خاسراً يؤدّي بهم إلى العقاب والعذاب.

وقيل إنّهم أوردوا هذا الكلام في حياتهم الدنيا للاستهزاء.

---

(١) القلم: ٤٣.

(٢) طه: ١٠٨.

(٣) الفرقان: ٢٧.

۞ قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ* فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾.

(س) لماذا سُمّيت أرض القيامة بالساهرة بقوله (عزّوجلّ): ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾؟

(ج) سمّيت أرض القيامة بالساهرة لأنّها تؤدّي إلى سهر الكفّار عليها وذلك من كثرة الوطء الذين يكون عليها من أثر المشي والحركة دون انقطاع، ومن ثمّ يكون السهر منهم بسبب الخوف الذي فيهم نتيجة أعمالهم في الحياة الدنيا.

وإنّ العرب لتسمّي وجه الأرض الصحراوية بالساهرة أي ذات سهر لأنّه يُسهَر فيها خوفاً منها.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أنتقم منهم وماتت الأبدان، بقيت الأرواح ساهرة لا تنام ولا تموت». وينتقل المكلّفون إلى أرض الساهرة يوم القيامة بعد الزجرة أو النفخة الأخيرة وهي نفخة الإحياء والجمع ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾[1].

(س) هل يسهر المؤمنون في أرض الساهرة؟

(ج) لا شكّ أنّ المؤمنين لا يسهرون ولا يرون ما يراه الكفّار ولا يصيبهم ما يصيبهم ولا يحزنون، إنّهم في أمن وأمان وفضل وجنان، قال تعالى: ﴿لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[2]، فسرعان ما يتوجّهون إلى منازلهم الطيّبة التي بنوها بأعمالهم الصالحة في الحياة الدنيا دون أن يواجهوا سهراً ولا تعباً ولا جوعاً ولا أذىً، إنّهم في ظلّ رحمة الله وفضله.

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾.

(س) ما مناسبة مجيء قصّة نبيّ الله موسى (على نبيّنا وآله وعليه السلام) بعد الآيات التي

---

(١) الزُّمَر: ٦٨.

(٢) الأنبياء: ١٠٣.

تحدّثت حول حتمية يوم القيامة؟

(ج) في القصّة عظة وإنذار للمشركين المنكرين للبعث الذين توسّلوا به لكي يردّوا دعوة الدين، إذ لولا وجود القيامة لما كان للدين من معنى، إنّ المعاد هو الأصل في الدين، وفي القصّة تسليةٌ للنبيّ ﷺ من تكذيب قومه، وحجّة لهم على حتمية وقوع يوم الحساب، فإنّ هلاك فرعون وجنوده بتلك الصورة الإلهية الكبرى دليل على صدق رسالة موسى عليه السلام وأنّه مبعوث من قبل الله (تبارك وتعالى).

(س) لماذا جاءت الآية بصيغة استفهام؟

(ج) جاءت الآية: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ بصيغة الاستفهام وذلك لترغيب السامع في استماع الحديث فيتمتّع ويتسلّى بذلك، وفي الاستفهام نوعٌ من إلفات الفكر والانتباه دون أن يكون في غيره.

(س) لماذا ابتدأت السورة هنا في ذكر حديث موسى عليه السلام دون غيره من الأنبياء عليهم السلام إذ لم يقل: هل أتاك حديث عيسى أو نوح أو غيرهما من الأنبياء عليهم السلام؟

(ج) إنّ ذكر قصّة موسى عليه السلام هنا هي الأنسب الأكمل من غيرها من القصص في إتمام الحجّة على منكري يوم القيامة، فإنّ الطاغية فرعون الذي كان يدّعي بأنّه الربّ الأعلى، وبأنّ له ملك مصر، والأنهار تجري من تحته، مع هذا لم تغني عنه شيئاً في الدنيا ولا في الآخرة، إذ لم تدفع عنه تلك الوقعة المهلكة والتي أصبح بها آية وعبرة للآخرين. قال (عزّوجلّ): ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَ لَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَ فَلاَ تُبْصِرُونَ﴾[1]، وأمّا جزاؤه: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾[2].

۞ **قال (عزّوجلّ): ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً﴾.**

(س) ماذا كان نداء الله (عزّوجلّ) لنبيّه موسى (على نبيّنا وآله وعليه السلام)؟

---

(١) الزخرُف: ٥١.

(٢) القصص: ٤٠.

(ج) هو ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحى * إِنَّنِي أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعى... ﴾[1].

(س) لماذا جاء النداء لموسى عليه السلام بالواد المقدّس دون غيره من الأماكن؟

(ج) إنّ النداء يشير إلى بداية بعثته النبوية والرسالية، ولم يكن هدف موسى عليه السلام من ذهابه إلى هذا الوادي إلاّ ليأتي بخبر أو جذوة من تلك النار التي آنسها، فكان هدفه خدمة أهله ونفسه ولم يكن يعرف بوجوده في الوادي المقدّس، قال (عزّوجلّ): ﴿إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً﴾[2]، وأنّه (عزّوجلّ) كلّمه في هذا الوادي لكي يزيدها تقديساً بالوحي الموسوي، كما أنّها كانت مقدّسة من قبل ببعثة الأنبياء السابقين عليهم السلام.

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «كن لما لا ترجو أرجى منك ممّا ترجو فإنّ موسى عليه السلام ذهب ليأتي بالنار فبُعث نبياً».

۞ قال تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى﴾.

(س) إنّ موسى (على نبيّنا وآله وعليه السلام) مرسل إلى جميع البشر، فلماذا نرى الله (سبحانه وتعالى) يأمره بالذهاب إلى فرعون دون غيره؟

(ج) ورد في الحديث: «الناس على دين ملوكهم» وفرعون في مجتمع مصر، محلّه محلّ القطب من الرحى، فلو آمن بموسى عليه السلام أو مالَ إليه شيئاً ما لآمن المجتمع المصري بأجمعه والعكس بالعكس، ولهذا السبب أمره الله تعالى بالذهاب إليه ودعوته إلى الإيمان والصلاح.

---

(١) طه: ١٢ـ ١٨.

(٢) طه: ١٠ـ ١٢.

(س) ما هي الأمور التي طغى فيها فرعون؟

(ج) ١- طغى على الله (سبحانه وتعالى) إذ قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾.

٢- طغى على عباد الله (عزّوجلّ) حيث جعلهم شيعاً أي فرقاً متعدّدة وألقى فيهم الاختلاف، لكي ينشغلوا بأنفسهم ولا يفكّروا في قلب النظام عليه، وهذا هو دأب الظلمة لأجل حفظ عروشهم المهزوزة.

٣- استضعف بني إسرائيل، أخذ يذبح أبناءهم ويستبقي نساءهم للخدمة وغير ذلك. قال (عزّوجلّ): ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[1].

(س) إنّ موسى عليه السلام أمر بالكلام الليّن مع فرعون، هل في الآية ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلى رَبِّكَ فَتَخْشى﴾ لين؟

(ج) ليس هناك ألين من هذا الكلام مع مثل هكذا مفسد طاغ جبّار. إنّ موسى عليه السلام لم يحتم عليه التزكية والهداية ولم يقل له عن ظلمه وفساده ويوجب عليه ترك ذلك ثمّ يأمره بالهداية، بل تكلّم معه بكلّ لين ولطف حيث قال له: هل لك ميل ورغبة إلى ما يرغب إليه كلّ إنسان يحبّ الخير لنفسه؟

❁ **قال تعالى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلى رَبِّكَ فَتَخْشى﴾.**

(س) لماذا دعاه موسى عليه السلام إلى التزكية دون أن يدعوه إلى ترك الظلم والفساد؟

(ج) إنّ كلّ إنسان كائناً مَن كان، يشعر بالنقص، ويفكّر بشكل دائم في إزالة النقص عن نفسه والتوجّه نحو الكمال والسعادة، فلهذا نراه يستقبل الكلمة التي تدعوه إلى الكمال والسموّ والرفعة، ولا يستقبل الكلمة التي تخدشه وتؤنّبه.

❁ **قال (عزّوجلّ): ﴿فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى * فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾.**

(س) قيل إنّ المراد من الآية الكبرى هي العصا، فلماذا اعتُبرت ذلك ولم تعتبر غيرها؟

---

(١) القصص: ٤.

(ج) اعتُبرت آية العصا هي الكبرى ، لأنّه ظهرت منها معاجز وآيات ما لم تظهر من الآيات الأخرى ؛ منها :

١ - انقلبت إلى ثعبان مبين بعدما صارت حيّة تسعى ، وأنّها لقفت ما صنعوا من كيد ، قال (عزّوجلّ) : ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (١) .

٢ - إنّه عليه السلام فلق بها البحر ﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (٢) .

٣- وضرب بها الحجر ﴿فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾ (٣) .

(س) متى رأى فرعون آية موسى الكبرى ، بقوله (عزّوجلّ) : ﴿فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى﴾؟

(ج) رأى ذلك يوم الزينة ، عندما اتّفق الطرفان على موعد ومكان مناسبين ، لإجراء المنازلة بينهما ليظهر أيّهم على حقّ وأيّهم على باطل وظلال ، قال (عزّوجلّ) عن لسان فرعون ﴿.. فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لاَ نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلاَ أَنْتَ مَكَاناً سُوىً * قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحىً﴾ (٤) .

(س) كيف كذّب فرعون موسى (على نبيّنا وآله وعليه السلام) بقوله (عزّوجلّ) : ﴿..فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾؟

(ج) إنّه رفض قبول الحقّ ورفض دعوته ثمّ اتّهمه بالكذب والسحر وطلب السلطة والدنيا ، قال (عزّوجلّ) : عن لسان فرعون : ﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ...﴾ (٥) .

وقال تعالى : ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ

---

(١) الشّعراء : ٤٥ .

(٢) الشّعراء : ٦٣ .

(٣) البقرة : ٦٠ .

(٤) طه : ٥٨ - ٥٩ .

(٥) الشّعراء : ٤٩ .

لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[1].

۞ **قال (عزّوجل): ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾.**

(س) ماذا فعل فرعون بعدما رأى الآية الكبرى وبعدما كذّب برسالة موسى عليه السلام واتّهمه بالسحر؟

(ج) إنّه أدبر عنه وسعى بكلّ جدٍّ واجتهاد في إبطال أمر موسى، فجمع الناس بإزعاج وقوّة وأكّد عليهم ربوبيته العليا، قال (عزّوجلّ): **﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾**.

(س) ماذا يقصد فرعون من قوله **﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾**، وهل كان له إله خاصّ من دون الله عزّوجلّ؟

(ج) كان يقصد من مقولته الخاوية هذه، هي أنّه هو الواسطة الأخيرة والعظمى التي تربط وتوصل الناس بإله الكون وهو الله (سبحانه وتعالى)، وأنّه أقرب الآلهة إليه (جلّ وعلا) وبيده تجري أرزاق الناس وتصلح أمورهم الحياتية، وسائر الآلهة ليست على هذه الصفة، والآية المباركة: **﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾**[2] تدلّ على أنّه كان له إله يعبده ويتقرّب به إلى الله (سبحانه وتعالى).

۞ **قال (عزّوجلّ): ﴿فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى﴾.**

(س) لماذا وصف الله (سبحانه وتعالى) العذاب الذي أنزله على فرعون بالنكال، وما هو نكال الآخرة والأولى؟

(ج) النكال هو التعذيب الذي يردع مَن رآه أو سمعه عن تعاطي مثله، فإنّه (عزّوجلّ) نكل به في الدنيا إذ إغرقه وجنوده وصار لمن خلفه آية إلى يوم القيامة، وأمّا عذاب أو نكال الآخرة هو عذابه بعد الموت، إلى الآن وهو في عالم البرزخ يتعذّب ومن جانب آخر

---

(١) الأعراف: ١٢٣.

(٢) الأعراف: ١٢٧.

تعتبر الناس به، وتحذر أن تقع بما وقع فيه.

(س) لماذا تقدّم عذاب الآخرة على الأولى بقوله (سبحانه وتعالى): ﴿فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولى﴾؟

(ج) وذلك لأنّ نكال الآخرة أشدّ وأبقى، وأنّها تشمل حياتي البرزخ والآخرة، وأمّا عذاب الدنيا فليس إلاّ سويعات وتنتهي، قال (عزّوجلّ): ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلى مُوسى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لاَ تَخَافُ دَرَكاً وَلاَ تَخْشى * فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ * وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾[1].

وبالنسبة لنكال الآخرة قال (عزّوجلّ): ﴿فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[2].

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشى﴾.

(س) كيف نجمع بين الآيتين: ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشى﴾، وقوله (عزّوجلّ): ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً... ﴾[3]؟

(ج) المراد من الآيتين هو واحد ولا فرق بينهما والمعنى أنّ حديث موسى عليه السلام وهلاك فرعون لآية وعبرة لمن في غريزته خوف من الشقاء والعذاب، وكلّ إنسان فيه هذا الطبع.

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾.

(س) الخطاب موجّه إلى المشركين والكفّار فهل يمكن القول بأنّها تخاطب المؤمنين أيضاً؟

(ج) الآية المباركة استفهام توبيخي للمشركين المنكرين للبعث المستهزئين به على سبيل العتاب ويتضمّن الجواب لقولهم ﴿أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ * أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً

---

(١) طه: ٧٧ ـ ٧٩.

(٢) غافر: ٤٥ ـ ٤٦.

(٣) يونس: ٩٢.

نَخِرَةً﴾[١] بأنّ الله (عزّوجلّ) خلق ما هو أشد وأعظم منكم، فهو على إعادتكم أقدر، ولا يمكن لنا أن نقول بأنّ الآية تخاطب المؤمنين شيئاً ما فإنّه خلاف صريح القرآن الذي يضع المؤمنين في مقياس عال وعظيم ولا يقاس بهم شيء أبداً، قال (عزّوجلّ) في وصفهم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيم﴾[٢]، إذ بحسنه هذا يفوق جميع الخلق، ويباهي بهم ملائكته الكرام، وقال بعد إكماله لخلق الإنسان ﴿فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[٣].

۞ قال تعالى: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾.

(س) كيف رفع الله (سبحانه وتعالى) سمك السماء وكيف رتّبها بقوله: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾؟

(ج) إنّه تعالى رفع سقف السماء وما ارتفع منها بعمود، ولكننا لا نراه، كما عن الإمام الباقر عليه السلام حيث قال: «فثمّ عمد ولكن لا ترونها». قال (عزّوجلّ): ﴿رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[٤]، وأنّه رتّب السماء حيث وضع كلّ جزء في موضعه الذي تقتضيه الحكمة، كقوله في خلق الإنسان: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي..﴾[٥].

۞ قال تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾.

(س) هل كان الليل نيّراً وأظلمه الله (عزّوجلّ) حيث قال: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾؟

(ج) إغطاش الليل أي جعله مظلماً، وهذا يرمز إلى أنّه لم يكن كذلك بل كان نيّراً، أي إنّ

---

(١) النازعات: ١٠ ـ ١١.

(٢) التين: ٤.

(٣) المؤمنون: ١٤.

(٤) الرعد: ٢.

(٥) الحجر: ٢٩.

الدخان السماوي كان نيّراً عند تفجّر المادة الأم (الماء). ولعلّ المراد من ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أي إنّنا نراها مظلمة ليلاً نتيجة دوران الأرض حول نفسها.

أو أنّه (عزّوجلّ) جعل لها ليلاً مظلماً ونهاراً منيراً كما جعل ذلك للأرض، والله العالم.

۞ قال تعالى: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾.

(س) ما المراد من دحو الأرض، وما هي نتائج ذلك؟

(ج) ١- قال صاحب الميزان(رحمه الله): إنّ المراد من دحو الأرض هو بسطها ومدّها بعدما بنى السماء ورفع سمكها وسوّاها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها.

٢- قيل إنّ المراد من ذلك هو دحرجتها وإيجاد الحركة المنظّمة فيها.

٣- عن الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام هو تنظيم حركتها وذلك بإلقاء الرواسي فيها، قال عليه السلام: «وعدّل حركتها بالراسيات من جلاميدها وذوات الشناخيب الشمّ من صياخيدها، فسكنت على حركتها من أن تميد بأهلها أو أن تسيخ بحملها».

ومن نتائج الدحو هو:

١- بسطها.

٢- إخراج مائها.

٣- ومرعاها.

٤- إرساء الجبال في أعماقها، بعد أن كان الماء مختفياً فيها والجبال ليّنة غير راسية.

إذن البسط أحد نتائج الدحو وليس كلّه والله العالم.

(س) من أين بدأ دحو الأرض؟

(ج) عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «إنّ شامياً سأله عن مكّة المكرّمة لِمَ سُمّيت مكّة؟ قال: لأنّ الله مكّ الأرض من تحتها، أي دحاها».

۞ قال تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾.

(س) قال (عزّوجلّ) ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾ هل إنّ للأرض مياهاً بحيث أُخرجت

بعد دحوها؟

(ج) إنّ الأرض ما كانت تملك شيئاً من المياه مند أن خُلقت، ولكن أنزل عليها من السماء ماءً كافياً وذلك قبل دحوها وقبل تسبيع السماء وخلق الأنجم، فابتلعت ذلك الماء الذي أُنزل عليها، ولكن عندما دُحيت أخرجت ماءها حتّى غطّى ثلاث أرباع سطحها، والله العالم.

❁ قال تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾.

(س) ممّ خُلقت الجبال؟

(ج) سؤال طُرح على المولى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فأجاب: قال: «من الأمواج، أي أمواج السطح المذاب، الضارب إلى الانجماد في المواضع المستعدّة. ولعلّ الأمواج جاءت من تفجّرات البراكين الأرضية عند دحوها والتي سقطت من نجوم السماء.

(س) قوله (عزّوجلّ): ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾، هل كانت الجبال موجودة ومخلوقة ولكنّها غير راسية؟

(ج) الآية المباركة توحي إلى هذا الأمر بأنّها تكوّنت ونُصبَت ثمّ أُرسيت في بواطن الأرض، قال (عزّوجلّ): ﴿أَ فَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾[1]، وأنّ إرساء وتثبيت الجبال جاء بعد دحو الأرض وبعد إخراج ماءها ومرعاها.

❁ قال تعالى: ﴿مَتَاعاً لَكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾.

(س) لماذا وضع الله تعالى الأنعام إلى جانب الإنسان في الاستفادة من بركات الأرض. الإنسان سيّد المخلوقات، والأنعام إنّما خُلقت لصالح الإنسان ليستفيد من لحومها وشحومها وأصوافها، أليس هذا نوع من الاستهانة بالإنسان؟

---

(١) الغاشية: ١٧ ـ ١٩.

(ج) لا توجد في الآية استهانة للإنسان، ولكن فيها نوع من التذكير الجميل له، وهو بأن لا يكون هدفه من الحياة والخلق هو الأكل والشرب والتمتّع فقط، فإذا كان هدف الإنسان هذا فسوف لا يكون بينه وبين الحيوان فرق، لذا فعلى الإنسان أن يمتلك هدفاً أكبر من التمتّع بمتاع الأرض ليسمو بنفسه عن المخلوقات الأخرى التي تمتلك نوعاً من التعلّق والسموّ والتسبيح الدائم والثابت لله (عزّوجلّ)، قال (تبارك وتعالى): ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

۞ قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾.

(س) لماذا سُمّيت يوم القيامة بالطامّة الكبرى؟

(ج) الطامّة هي الداهية التي لا يُستطاع دفعها، وسُمّيت القيامة بالطامّة الكبرى لأنّها داهية تعلو وتغلب كلّ داهية هائلة. ولهذا سُمّيت بالكبرى وأنّها تطمّ كلّ شيء مخلوق، قال (عزّوجلّ): ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[2].

(س) هل هناك طامّات يواجهها الإنسان قبل مواجهته للطامّة الكبرى؟

(ج) نعم إنّه يواجه:

١- طامّة الموت: حيث تغطّي عليه حياته فلا سبيل له للعمل والسعي لحياته الحقيقية، عن النبيّ محمّد ﷺ قال: «كفى بالموت طامّةً يا جبرائيل! فقال جبرائيل: إنّ ما بعد الموت أطمّ وأطمّ من الموت».

٢- طامّة قيام القائم عجّل الله فرجه حيث إنّها داهية كبيرة يواجهها الكفّار والذين كفروا وظلموا في حياتهم الدنيا فيخرجون ويُقتصّ منهم.

٣- طامّة الرجفة والصيحة: يواجهها الكفّار فتزلزلهم وتذهلهم بينما المؤمنون يكونون

---

(١) التغابن: ١.

(٢) إبراهيم: ٤٨.

في أمن منها، قال (عزّوجلّ): ﴿لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ..﴾[1].

٤- ولعلّ هناك طامّات يواجهها الكفّار والظالمون في الحياة الدنيا ولكنّها صُغرى أمام الطامّة الكبرى، قال (عزّوجلّ): ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً...﴾[2].

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾.

(س) أولا يتذكّر ويعرف الإنسان ما هي الأعمال التي ارتكبها في هذه الحياة؟

(ج) قد يتذكّر الإنسان بعض الأعمال التي عملها في حياته الدنيا ولكن لا يتذكّرها كلّها.

هناك الكثير ممّا ينساه الإنسان مع كبر سنّه وغفلته التي تكبر وتزداد مع ازدياد الذنوب والمعاصي، وهناك بعض الذنوب تسجّل على الإنسان من دون أن يشعر وذلك بسبب تقصيره وقصوره، قال (عزّوجلّ): ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[3]، وقال (عزّوجلّ): ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾[4]، وأنّه سوف يتذكّر أعماله في البرزخ بشكل أكثر ولكن في القيامة يعلم بشكل كامل وتامّ كما أنّ طامّتها أتمّ الطامّات.

۞ قال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾.

(س) هل الجحيم مخفيّة عن أهلها لكي تظهر لهم يوم القيامة؟

(ج) إنّ جهنّم مخفيّة عن أهلها بالصورة الظاهرية بسبب الأغطية التي وضعوها على عيونهم وعقولهم وحواسهم فلذا لا يرونها بالرغم من أنّهم يعيشون فيها، قال (عزّوجل): ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[5]، وسوف يرونها بأعينهم بعد كشف الغطاء عنها، قال (عزّوجلّ): ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ

---

(١) الأنبياء: ١٠٣.

(٢) طه: ١٢٤.

(٣) المجادلة: ٦.

(٤) الانفطار: ٥.

(٥) العنكبوت: ٥٤.

حَدِيدٌ﴾[١] . بينما المؤمنون المتّقون يرون جهنّم كما يرون الجنّة ، قال الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في وصف المتّقين : «فهم والجنّة كمَن قد رآها فهم فيها منعّمون وهم والنار كمَن قد رآها فهم فيها معذّبون» .

❁ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾.

(س) لماذا وضع الله (سبحانه وتعالى) عقاب الجحيم للطغاة؟

(ج) إنّ الطاغي قد تجاوز حدّه في كلّ أمور الحياة ، فمن جانب تعدّى على حقّ الله (عزّوجلّ) وتعدّى على المخلوقين بسلب الحياة الكريمة منهم ، ولولا المجازاة السريعة لهم في الدنيا قبل الآخرة لأختلّت موازين الحياة ، ولما بقيت الأنسانية والقيم ، ولهذا نرى ربّ العزّة (تبارك وتعالى) يعاقب الطغاة والمفسدين بالمثل أينما حلّوا وارتحلوا ، قال تعالى : ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا.. ﴾[٢] .

❁ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾.

(س) لماذا قال : ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ..﴾ ولم يقل مَن خاف الله أو ربّه أو خالقه؟

(ج) الله (تبارك وتعالى) لا يُخيف لكي يُخاف منه ، إذ كلّه رحمة وعطف وحنان ورأفة ، إنّما يخيف الذي لا يمتلك هذه الصفات الحسنى ، الآية قالت : ﴿مَقَامَ رَبِّهِ.. ﴾ ، مقامه هو قيامه بالعدل والجزاء المطابق للحسنات والسيّئات كما شهد (عزّوجلّ) بذلك وملائكته وأولو العلم ، قال تعالى : ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٣] .

إذن إنّما يخاف من الله (عزّوجلّ) لعدله بربوبيته إذ يعطي لكلّ ذي حقّ حقّه : ﴿إِنِّي

---

(١) ق : ٢٢ .
(٢) الشورى : ٤٠ .
(٣) آل عمران : ١٨ .

أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[١] وليس خوفُه لألوهيته.

(س) كيف قال (تبارك وتعالى): ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾، بينما في آية أخرى قال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[٢]؟

(ج) لا تضارب ولا اختلاف بين الآيتين، إنّ الجنّة الثانية في قوله (عزّوجلّ): ﴿جَنَّتَانِ﴾ هي الجنّة الروحانية التي هي أكبر من المادّية، كما أشار إلى ذلك في قوله (عزّوجلّ): ﴿وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٣]، ولعلّ المراد من الجنّتين، جنّةٌ في الدنيا بحياة سعيدة طيّبة، وجنّة أخرى في الحياة الآخرة هي أسعد وأبقى.

(س) كيف يعلم الإنسان أنّه يخاف مقام ربّه (سبحانه وتعالى)؟

(ج) عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال: «فمَن علمَ أنّ الله يراه ويسمع ما يقول ويعلم ما يعمله من خير أو شرّ، فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال فذلك الذي خاف مقام ربّه ونهى النفس عن الهوى»[٤].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «واحذروا أهواءكم كما تحذرون أعداءكم، فليس شيءٌ أعدى للرجال من اتّباع إهواءهم وحصائد ألسنتهم»[٥].

(س) ما جزاء اتّباع الهوى؟

(ج) عن النبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله قال: «إنّ الله يقول: وعزّتي وجلالي وكبريائي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني، لا يؤثر عبدٌ هواه على هواي إلاّ شتّتُّ عليه أمره، ولبّستُ

---

(١) المائدة: ٢٨.
(٢) الرَّحمن: ٤٦.
(٣) التّوبَة: ٧٢.
(٤) نور الثقلين ج٥ ص٥٠٧ ح٤٤.
(٥) المصدر نفسه.

عليه دنياه وشغلت قبله بها، ولم أوته منها إلاّ ما قدّرت له، وعزّتي وجلالي وعظمتي ونوري وعلوّي وارتفاع مكاني، لا يؤثر عبدٌ هواي على هواه إلاّ واستحفظتْه ملائكتي، وكفّلت السماوات والأرضين رزقه، كنتُ له من رواء تجارة كلّ تاجر، وأتته الدنيا وهي راغمة»[١].

۞ **قال (عزّوجلّ): ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾.**

(س) مَن الذي يسأل عن الساعة؟

(ج) المتعنّتون والكفّار والذين في قلوبهم مرض هم الذين يشكّكون بمجيء يوم القيامة ويسألون عن زمن قيامها، قال (عزّوجلّ): **﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ﴾**[٢]. وقال تعالى: **﴿... وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ * يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهَا.. ﴾**[٣].

(س) لماذا سمّيت يوم القيامة بالساعة؟

(ج) أصل الساعة: من ساع الشيء إذا ضاع وزال، وساعت الإبل: سَرَحت وتخلّت بلا راع، فالساعة هنا وفي غيرها من الآيات إلاّ قليل هي وقت ضياع الكائنات وزوالها، وزوال الزمان وضياعه بكائناته والانتقال إلى زمان لا زوال له ولا ضياع، ويُقال لجزء من الزمان ساعة، وذلك لتصرّمه وضياعه وكما الزمان كذلك بأسره[٤].

(س) متى تبدأ ساعة القيامة؟

(ج) ساعة القيامة تبدأ مع بداية رجفة الإماتة وتنتهي مع انتهاء رجفة الإحياء، وأمّا زمن ثبوتها ووقوعها لا يعلمه إلاّ الله (عزّوجلّ) وأنّه قال بأنّها قريبة، قال (عزّوجلّ):

---

(١) نور الثقلين ج٥ ص٥٠٧ ج٤٨.

(٢) الأحزاب: ٦٣.

(٣) الشورى: ١٧ ـ ١٨.

(٤) تفسير الفرقان: تفسير سورة النازعات.

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[١] ، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾[٢] وأنّ كل آت قريب .

۞ قال تعالى: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾.

(س) ما المراد من قوله (عزّوجل) : ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾؟

(ج) إنّه جواب للنبيّ ﷺ بعدما كان المشركون يراجعونه ويصرّون عليه تعيين يوم القيامة ، فجاءت الآية بصورة استفهام إنكاري تقول له لستَ في شيء من العلم بحقيقتها ، ولم يحصل لك علمٌ بوقتها بكثرة ذكرها ، إذ من شدّة خفائها يكاد الله يُخفيها حتّى على نفسه ، قال (عزّوجل) : ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾[٣] . ولكنّها ليست مخفية عنه (تبارك وتعالى) حيث ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾[٤] ، ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾[٥] ، ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾[٦] ، ولهذا قال (عزّوجل) : ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ إذ نهاية علم كلّ شيء يرجع إليه تعالى .

---

(١) القمر : ١ .
(٢) الشّورى : ١٧ .
(٣) طه : ١٥ .
(٤) فصّلت : ٤٧ .
(٥) الزخرف : ٨٥ .
(٦) الأنعام : ٥٩ .

سُورَةُ النَّبَإِ



سُورَةُ النَّبَإِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾
وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا
﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ
ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ
أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ
ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ
مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا

إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾

فضلها:

ابن بابويه بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من قرأ (عمّ يتساءلون...) لم تخرج سنة، إذا كان يدمنها في كلّ يوم، حتّى يزور بيت الله الحرام إن شاء الله تعالى».

مفردات السورة:

النبأ: الخبر العظيم الشأن.

المهاد: الوطاء.

الوتد: المسمار إلاّ أنّه أغلظ منه.

السبات: قطع العمل للراحة، ومنه يوم السبت أي يوم قطع العمل على ما جرت به العادة في شرع موسى عليه السلام.

الوهّاج: الوقاد وهو المشتعل بالنور العظيم.

المعصرات: السحائب تعتصر بالمطر، كأنّ السحاب يحمل الماء ثمّ تعصره الرياح وترسله، كإرسال الماء بعصر الثوب.

الثجاج: الدَّفاع في انصبابه.

الألفاف: الأخلاط المتداخلة يدور بعضها على بعض، واحدها لفّ ولفيف.

الميقات: منتهى المقدار المضروب لحدوث أمر من الأمور وهو من الوقت كما أنّ الميعاد من الوعد.

المرصاد: هو المعدّ لأمر على ارتقاب الوقوع فيه، وقيل المرصاد هو المكان الذي يُرصد فيه العدوّ.

الأحقاب: جمع مفردها حُقب (أو أمضي حقبا) أي دهراً طويلاً.

الحديقة: الجنّة المحوطة والجمع حدائق، ومنه أحدق القوم بفلان إذا طافوا به.

الكواعب: جمع الكاعب وهي الجارية التي نهد ثدياها.

الأتراب: جمع الترب وهي اللذّة التي تنشأ مع لذّتها على سنّ الصبي الذي يلعب بالتراب.

الدهاق: الكأس الممتلئة التي لا مزيد فيها.

عطاءً حساباً: كثيراً كافياً، يُقال أحسبتُ فلاناً أي أعطيته ما يكفيه حتّى قال حسبي.

سبب نزول السورة المباركة:

في الدرّ المنثور عن ابن مردويه عن الحسن قال: «لمّا بُعثَ النبيّ صلى الله عليه وآله جعلوا يتساءلون بينهم فنزلت ﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾[1]. قال عزّ وجلّ: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءهُمْ

(١) الدرّ المنثور ج٦ ص٣٠٥.

مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [١] .

موضوع السورة:

تساؤلات مرّت وتستمرّ مدى الأجيال عن أنباء الغيب ، و(يتساءلون) تشمل كافة التساؤلات عن الأنباء العظيمة طوال الزمن ، فلم تقل الآية المباركة (تساءلوا) كي لا تختصّ بزمن الماضي ، بل تشمل الماضي والمستقبل والحاضر ، وفي القرآن إجابة عن كافة التساؤلات لأنّه كتاب الحياة إلى يوم القيامة واحتجّت السورة على إثبات الحقّ ، بالإشارة إلى النظام المشهود في الكون بما فيه من التدبير الحكيم الدالّ بأوضح الأدلّة على أنّ وراء هذه النشأة المتغيّرة نشأة ثابتة باقية طيّبة ، فيها جزاء ولا عمل ، كما هذه الدار التي فيها عمل ولا جزاء ، ثمّ تصف السورة بانقلاب الطاغي إلى عذاب أليم ، والمتّقين إلى نعيم دائم ، السورة مكّية بشهادة سياق آياتها .



الأسئلة والأجوبة

۞ قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ* عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾.

(س) ما منشأ كلمة (عمّ) وممّن كان التساؤل؟

(ج)﴿ عَمَّ يَتَسَاءلُونَ﴾ (عَمَّ) أصله عن ما ، وما إستفهامية ، تحذف الألف منها إذا دخل عليها حرف الجرّ ، وبعد الإدغام أصبحت (عَمَّ) مثل مـمَّ وعلامَ وإلى مَ[٢] ، التساؤل هنا يشمل ما هو بينهم ، بعضهم مع بعض تفكّهاً ، وما هو من الرسول ﷺ والمؤمنين تعنّتاً وهزءاً ، وما هو بينهم وبين قلوبهم المقلوبة[٣] .

---

(١) ق : ٢ .

(٢) تفسير الميزان سورة عمّ : الآية .

(٣) تفسير الفرقان سورة عمّ : الآية .

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1].

(س) لماذا ابتدأت السورة بمطلع يحمل التنديد الشديد بالمتسائلين عن النبأ العظيم، والقرآن أرسل رحمة لجميع الناس، قال (عزّوجلّ): ﴿ونَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وهُدىً ورَحْمَةً وبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[2]؟

(ج) الظاهر أنّ المتسائلين هم كفّار مكّة من المشركين النافين للنبوّة والمعاد ـ دون المؤمنين ودون الكفّار الآخرين، فإنّهم لم يسألوا تفهّماً وتعلّماً، وإنّما تساءلوا عن النبأ العظيم هزءاً وإنكاراً وتعنّتاً واستنكاراً، بعد فلجهم في إبطاله، ووضوح الأدلّة في إحقاقه وإثباته.

(س) لماذا جاء الأخبار عن تساؤل المشركين بصورة استفهام؟

(ج) جاء بهذه الصورة للإشعار بهوانه وحقارته لظهور الجواب والأدلّة عليه ظهوراً ما كان ينبغي معه التساؤل عنه.

(س) ما هو النبأ العظيم الذي تساءلوا فيه واختلفوا؟

(ج) أوّلاً: النبأ هو الخبر الذي فيه فائدة عظيمة، وإذا كان النبأ عظيماً كانت الفائدة أعظم، وأوّل الأنباء العظيمة منذ بزوغ الإسلام هو نبأ الرسالة الإسلامية وهو يحمل لواء التوحيد. قال (عزّوجلّ): ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ * قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾[3].

ثانياً: القرآن نبأ عظيم يحمل كافة أنباء الغيب، قال (عزّوجلّ): ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4].

ثالثاً: المعاد نبأ عظيم، قال (عزّوجلّ): ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ

---

(١) المطففين: ١٤.

(٢) النّحل: ٨٩.

(٣) ص: ٦٥ـ٦٨.

(٤) هود: ٤٩.

مُمَزَّق إِنَّكُمْ لَفِي خَلْق جَدِيد * أَفْتَرَى عَلَى الله كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُــونَ بـالأخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلاَلِ الْبَعِيدِ﴾[١].

رابعاً: ومن الأنباء العظيمة هي استمرارية الرسالة المحمّدية وحكم الله على العباد، فكان الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام والأئمّة من ولده المعصومين عليهم السلام هم النبأ العظيم الذين حملوا لواء الإسلام بعد رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وفدوه بالغالي والنفيس، وكما قال صلى الله عليه وآله مخاطباً الإمام علي عليه السلام بالنبأ العظيم: «أنت حجّة الله، وأنت باب الله وأنت الطريق إلى الله وأنت النبأ العظيم وأنت الصراط المستقيم وأنت المثل الأعلى»[٢].

۞ **قال تعالى: ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾.**

(س) ما الذي يدعو البعض من الكفّار والجهّال إلى التشكيك والاختلاف في المعاد الذي هو أعظم الأنباء بعد التوحيد؟

(ج) الإيمان بالمعاد يدعو الإنسان إلى الالتزام الكامل به بالصورة العملية والتطبيقية والتهيّؤ له كما أمر الله (سبحانه وتعالى) في كتابه العزيز، ولأنّ هذا الأمر يتعارض مع أفكار وميول ومصالح الذين يتّبعون أهواءهم وشهواتهم وما تملي لهم أنفسهم الأمّارة بالسوء وعقولهم التي تدعو إلى الاستبداد في الرأي لهذا يشكّكون ويرفضون الإيمان بالآخرة.

وقال (عزّوجلّ): **﴿وَإِذَا تُتْلى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَات قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآن غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْم عَظِيم﴾**[٣].

قال الإمام علي عليه السلام: «من استبدّ برأيه هلك»[٤].

---

(١) سبأ: ٧-٨.

(٢) تفسير الفرقان: الآية، نور الثقلين ج٥ ص٤٩١ ح٨، عن عيون أخبار الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٣) يونس: ١٥.

(٤) نهج البلاغة: الكلمات القصار.

(س) كيف أخذ الكفّار يختلفون ويشكّكون في القرآن العظيم؟

(ج) ١- قالوا: إنّه من تعليم البشر سواء كان حقّاً أو باطلاً.

٢- إنّه من أساطير الأوّلين.

٣- إنّه من الكتب السماوية السابقة.

قال (عزّوجلّ): ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[١].

وقال (عزّوجلّ): ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾[٢].

وقال (عزّوجلّ): ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لاَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾[٣][٤].

(س) كيف اختلفوا في أمر التوحيد؟

(ج) قال (عزّوجلّ) عن لسانهم: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاَقٌ﴾[٥]. وهناك اختلاقات واختلافات من تثنية وتثليث وحلول وتجسيد، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[٦]، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾[٧].

---

(١) النّحل: ١٠٣.

(٢) الفرقان: ٥.

(٣) العنكبوت: ٤٨.

(٤) تفسير الفرقان سورة عمّ: الآية ١.

(٥) ص: ٥-٧.

(٦) التّوبة: ٣٠.

(٧) المائدة: ١٨.

(س) ما هي صور اختلاف الكفّار في أمر المعاد؟

(ج) الكفّار متّفقون في نفي المعاد ولكنّهم مختلفون في طريقة إنكاره، فمنهم:

١- مَن ينكره إطلاقاً: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ﴾[1].

٢- هناك مَن يرى استحالة وقوعه، فينكره، قال (عزّوجلّ): ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[2].

٣- ومنهم مَن كان يستبعده فينكره: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ * هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾[3].

٤- ومنهم مَن ينكره جسدانياً: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾[4].

٥- ومنهم مَن كان يوقن به ولكنّه لا يؤمن عناداً كما لم يؤمن بالتوحيد والنبوّة وسائر فروع الدين، قال (عزّوجلّ): ﴿بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾[5].

(س) ماذا يوحي قوله (عزّوجلّ): ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾؟

(ج) إنّ قوله (تبارك وتعالى) يوحي إلى أنّ الكفّار كانوا مختلفين في نظرتهم وعقيدتهم إلى المعاد، فمنهم ملحد لا يؤمن بما وراء هذه الحياة، ومنهم منكر لبعض ومؤمن ببعض، ومن معاند وغير ذلك، وهذا الاختلاف يوحي إلى سفهه وسقوطه، فلو كانوا على علم من نكران المعاد لكانوا متّفقين فيه وعلى رأي واحد.

(س) كيف يمكن مواجهة منكري المعاد؟

---

(١) الجاثية: ٢٤.

(٢) سبأ: ٧.

(٣) المؤمنون: ٣٥ـ٣٦.

(٤) يس: ٧٨ـ٧٩.

(٥) الملك: ٢١.

(ج) عن طريق البراهين الناصعة التي منها العقلية والآفاقية والأنفسية التي تدلّ على نصوع ووضوح النبأ العظيم، هذا بالإضافة إلى تضارب واختلاف آراء الكفّار في عقيدتهم بالآخرة، وهو دليل آخر على وجود وحتمية مجيء يوم القيامة.

۞ قال تعالى: ﴿كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ﴾.

(س) ماذا سيعلمون ومتى؟

(ج) سيعلمون أنّهم كانوا في جهل وتجاهل سفيه مارق وذلك بعد أن يكشف لهم الغطاء، غطاء الأهواء والشهوات المتسلّطة على عقولهم، وإنّ هذا الجهل والتجاهل سيزول بالموت وما أقربه؛ ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾[1] ولهذا قالت الآية المباركة: ﴿كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ﴾ ولم تقل: كلاّ سوف يعلمون.

(س) لماذا تكرّرت الآية المباركة: ﴿كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ﴾؟

(ج) تكرّر قوله المبارك وذلك للإشارة إلى نوعين من العلم، علم بعد الموت في عالم البرزخ وعلم أكبر وأوسع في الحياة الآخرة، وذلك بعد العلم الذي وضع بين يديه في الحياة الدنيا الذي يدلّ على حتمية مجيء يوم القيامة الكبرى، ولكلّ علم مرتبة ودرجة، حيث إنّ العلم في الآخرة أوسع من العلم في البرزخ كما أنّه أوسع من العلم في الدنيا وذلك لتجرّد الروح عن عالم الماديّات والشهوات.

۞ قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً * وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً﴾.

(س) ما مناسبة مجيء هذه الآيات بعد قوله: ﴿ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ﴾؟

(ج) الآيات الآفاقية الأرضية والسماوية والآيات الأنفسية جاءت برهاناً لنبأ التوحيد الذي هو أصل الأنباء ثمّ لنبأ المعاد والأنباء الأخرى أيضاً ورداً للذين لا يؤمنون بها، فهذا الخلق العظيم والبديع لا يمكن أن يكون صدفة وعبثاً بل خُلق لأجل هدف عظيم.

---

(١) المعارج: ٦ ـ ٧.

فالآية إلى تمام إحدى عشر آية مسوقة سوق الاحتجاج على ثبوت البعث والجزاء والتوحيد وسائر الأنباء العظيمة، فالآيات في معنى قوله تعالى: **﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾**(١).

(س) قوله (تبارك وتعالى): **﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً﴾** يدلّ على أنّ الأرض لم تكن مهاداً بل كانت شموس لا تذلّ الراكب ولا تحنّ لعائش كما قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام فكيف أصبحت مهاداً وذلولاً بعدما كانت غير ذلك؟

(ج) حسب السنّة الإلهية في الكون يظهر أنّ الله (عزّوجلّ) اتّخذ معها مراحل حتّى جعلها مهاد:

١- إنّه (عزّوجلّ) دحاها، قال (عزّوجلّ): **﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾**(٢). حتّى: **﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا﴾**(٣).

٢- إنّه (عزّوجلّ) ثبّتها بالصمّ الصياخيد لكي لا تميد بأهلها، قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «وعدّلَ حركاتها بالراسيات من جلاميدها... فسكنت من الميدان برسُوّ الجبال في قطع أديمها فسبحان مَن أمسكها بعد موجان مياهها، وأجمدها بعد رطوبة أكنافها فجعلها لخلقه مهاداً وبسطها لهم فراشاً فوق بحر لجّي لا يجري وقائم لا يسري...»(٤).

٣- إنّه (عزّوجلّ) رواها بالماء الكافي عندما فتح أبواب السماء بماء منهمر حتّى أصبح ثلاثة أرباعه ماءً وجعل ربعه يابساً لكي يسكن فيه الإنسان والدواب الأخرى.

۞ قال تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾.

(س) كيف أصبحت الجبال أوتاداً للأرض بقوله (عزّوجلّ): **﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾**؟

(ج) أصبحت الجبال أوتاداً وذلك بما أرساها الله (سبحانه وتعالى) وثبّتها في أرضها، وطبيعة

---

(١) ص: ٢٧.

(٢) النازعات: ٣٠.

(٣) النازعات: ٣١.

(٤) نهج البلاغة.

خلقه الجبال لاشكّ أنّها تختلف عن القسم الآخر لسطح الأرض بفعل هذا التكوين وهذه الخلقة العظيمة أصبحت الجبال أوتاداً للأرض تحفظها من المَيدان والدمار، قال العلاّمة الطباطبائي(رحمه الله): «لعلّ عدّ الجبال أوتاداً مبنيّ على أنّ عمدة جبال الأرض من عمل البركانات بشقّ الأرض فتخرج منه موادّ أرضية مذابة تنتصب على فم الشقّة متراكمة كهيئة الوتد المنصوب على الأرض، تسكن به فورة البركان الذي تحته فيرتفع به ما في الأرض من الاضطراب والمَيدان. سئل الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ممّ خُلقت الأرض؟ قال: من الأمواج» وعلّها تعمّ الأمواج الجويّة السماوية والجوفية والسطحية للأرض»[١].

۞ قال تعالى: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً﴾.

(س) ما سبب مجيء قوله (عزّوجلّ): ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً﴾ بعد ذكره للأرض المهاد والجبال الأوتاد؟

(ج) لعلّ سبب مجيء الآية هنا هو لتلميح لطيف وهو كما أنّ الأرض والجبال متلائمين مع بعض لا يمكن لأحدهم الاستغناء عن الآخر، فكذلك الإنسان أنّه خُلق ولا يمكن له الاستغناء عن جميع ما في الأرض والسماء، فإنّه متلائم طبعياً مع الأرض والجبال والنبات والبحر ومع الجنس الآخر من شكله دون منافرة واختلاف، أجل ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفَاوُت﴾[٢]، والكون كلّه أزواج رغم اختلاف الأشكال والصور، قال (عزّوجلّ): ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ﴾[٣]، هذه الزوجية الكبرى برهان آخر على ثبوت وحتمية النبأ العظيم[٤].

---

(١) تفسير الميزان سورة عمّ: الآية.

(٢) الملك: ٣.

(٣) يس: ٣٦.

(٤) تفسير الفرقان سورة عمّ: الآية.

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً﴾.

(س) طبيعة الإنسان تشير إلى أنّه لا يمكن له الاستغناء عن النوم مهما أوتي من قوّة، وهكذا الكون كلّه ينام كما يذكر القرآن الكريم، فهل في نوم الإنسان والكائنات إشارة وتلميح إلى أمر ما؟

(ج) لا شكّ أنّ في نوم الإنسان وعدم قدرته في الاستغناء عنه مهما أوتي من وسائل وقدرات علمية وعملية دليل واضح على ضعفه وعدم امتلاكه لكلّ ما يريد ويتمنّى في هذه الحياة، وهكذا الكون كلّه في سنة ونوم سوى الله (تبارك وتعالى) حيث ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ...﴾[1].

عن الإمام الصادق عليه السلام: «ما من حيّ إلاّ وهو ينام خلا الله وحده عزّ وجلّ»[2].

(س) ما هي الفوائد التي يجدها الإنسان من النوم؟

(ج) ١- النوم آية من آيات الله (عزّوجلّ) الدالّة على العلم والحكمة والقدرة الإلهية، قال (عزّوجلّ): ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾[3].

٢- آية للموت والحياة بعد الموت، قال (عزّوجلّ): ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمَّىً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4].

٣- سكن عن تعب وكبد الحياة، قال (عزّوجلّ): ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً﴾ سكوناً وراحة للقوى الحيوانية البدنية ممّا اعتراها في اليقظة من التعب بسبب تصرّفات النفس فيها.

٤- الانتقال إلى عالم اللاتكليف: فإنّ القلم يُرفع عن النائم مهما قام من أعمال وإنّها الراحة المباحة بشرط ألاّ يكون فيها إفراط.

---

(١) البقرة: ٢٥٥.

(٢) سفينة البحار ج٢ ص٥٤٧.

(٣) الرُّوم: ٢٣.

(٤) الزُّمَر: ٤٢.

٥- يمكن للإنسان أن يتزوّد ويستفيد من نعمة النوم وذلك إذا أتى بالشروط اللازمة والمطلوبة لذلك، حيث ينتقل إلى عالم الأرواح والمعنويات الكبرى فيمكنه أن يرى ما لم يتمكّن رؤيته في اليقظة أبداً، كما حصل لنبيّ الله يوسف (على نبيّنا وآله وعليه السلام)، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾[1].

٦- النوم يذكّر الإنسان بالموت أنّه قفزة مؤقتة إلى حياة أخرى سوف ينتقل إليها بشكل كامل دون رجعة، كما كان يرجع إلى الحياة مرّات مرّات حسب المشيئة الإلهية، قال (عزّوجلّ): ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمّىً...﴾[2]، وقال (عزّوجلّ): ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلى أَجَلٍ مُسَمّىً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

(س) عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ما من حيّ إلاّ وهو ينام خلا الله وحده عزّ وجلّ»[4]، فهل في نوم المخلوقات الأخرى فائدة للإنسان كما أنّها مفيدة في اليقظة؟

(ج) لا شكّ أنّ هناك فوائد كثيرة للإنسان في نوم النبات والحيوان، ظاهرة النوم تبدو في النبات وذلك عندما تنعكس عندها طريقة التنفّس ففي الليل تأخذ الأوكسجين وتدفع الكاربون، بينما في النهار تأخذ الكاربون وتدفع الأوكسجين وفي هذه العملية فائدةٌ كبرى للإنسان. والحيوانات تنام ليلاً إذ يستريح الإنسان من ضجيجها وأذاها لكي يستفيد منها في النهار، وهناك فوائد كثيرة الله يعلم بها.

---

(١) يوسف: ٤.

(٢) الأنعام: ٦٠.

(٣) الزُمَر: ٤٢.

(٤) سفينة البحار ج٢ ص٥٤٧.

۞ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً﴾.

(س) كيف ولماذا جعل الله (عزّوجل) الليل لباساً بقوله : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً﴾؟

(ج) أصبح الليل لباساً وذلك بما فيه من الظلمة الساترة للمبصرات وهذا السبب الإلهي يدعو الإنسان والدوابّ إلى ترك الحركة والتوجّه إلى السكون والهدوء والرجوع إلى الأهل والمسكن، قال (عزّوجلّ): ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[١].

(س) هناك آية في القرآن الكريم تبيح للإنسان النوم في النهار، بحيث يتمكّن الإنسان أن يستبدل الليل بالنهار فكيف نجمع الآية مع قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً﴾؟

(ج) إنّ قوله (عزّوجلّ): ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ...﴾[٢] تبيح للإنسان تبديل وقت النوم إلى النهار وإن كان الليل أفضل، وأنّه أحد الفضائل والإمكانيات التي يتمكّن عليها بخلاف الحيوانات الأخرى الملزمة خَلقياً بأوقات خاصّة لا تتبدّل، كلّ ذلك لكي يكون المجال واسعاً أمام الإنسان، إذ يتمكّن من العمل في الليل والنوم في النهار لأجل الحصول على الرزق الحلال.

(س) هل هناك لباسٌ آخر يجده الإنسان مع مجيء الليل يضاف إلى لباس الستر الروحي والجسدي من عبء أعمال النهار؟

(ج) نعم هناك لباس آخر يجدهُ الإنسان مع مجيء الليل بالإضافة إلى لباس السكن الروحي وهو لباس الجنس المشروع الذي يقي الإنسان من الحملات الشاذّة النهارية ومن حيرة الحياة ووحدتها، لباس النساء للرجال والرجال للنساء، قال (عزّوجلّ): ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ...﴾[٣][٤]، وبه سمّي الليل ليلاً.

---

(١) النّمل: ٨٦.
(٢) الرُّوم: ٢٣.
(٣) البقرة: ١٨٧.
(٤) تفسير الفرقان سورة عمّ: الآية.

في علل الشرايع . . . أنه سُئل رسول الله ﷺ فقال: أخبرني لِمَ سُمّي الليل ليلاً؟ فقال ﷺ: «لأنّه يلايل الرجال من النساء، جعله الله (عزّوجلّ) ألفة ولباساً وذلك قول الله (عزّوجلّ): ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً﴾».

قال: صدقت يا محمّد! . .[1]

۞ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً﴾.

(س) لماذا خصّص القرآن الكريم المعاش بالنهار بقوله (عزّوجلّ): ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً﴾ في حين هناك الكثير ممّن يعمل في الليل، والقسم الآخر يحصل على رزقه مع مجيء الليل إلى منتصفه؟

(ج) وصف القرآن النهار بالمعاش لأنّه زمن العيش التامّ حيث اليقظة التامّة، بينما يقظة الليل ناقصة ومصطنعة لا يمكن إطلاق المعاش عليها.

۞ قال تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً﴾.

(س) ممَّ بُنيت السماوات السبع؟

(ج) بُنيت من الدخان المتصاعد إثر تفجير المادّة الأولى التي خُلقت منها السماوات والأرضون، والمادّة الأولى هي الماء الأُمّ وليس ماءنا الذي نشربه، قال (عزّوجلّ): ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾[2].

عن محمّد بن مسلم قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: «كان كلّ شيء ماءً وكان عرشه على الماء فأمر الله تعالى الماء فاضطرم ناراً ثمّ أمر النار فخمدت فارتفع من خمودها دخان فخلق السماوات من ذلك الدخان وخلق الأرض من الرماد»، وقال عليه السلام: «فجعل نسب كلّ شيء إلى الماء ولم يجعل للماء نسباً يضاف إلى شيء»، ومن المعلوم أنّ ماءنا الذي نشربه له نسب وأب وهما ذرّتا الهيدروجين والأوكسجين. وأنّه ليس له دخان عند غليه

---

(١) نور الثقلين ج٥ ص٤٩٢ ح١٤ عن علل الشرايع.

(٢) هود: ٧.

وتفجيره. خلاف الماء الأم[١].

(س) ما المراد من الشداد في قوله تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً﴾؟

(ج) ١- إنّها شداد في البناء لا تنفطر إلاّ بمفطر إلهي، وذلك يوم القيامة ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾[٢].

٢- شداد بأبوابها لا تُفتح إلاّ بأمر الله (عزّوجلّ): ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً﴾[٣].

٣- عُلِّق فيها بليارات الكواكب دون أن يحدث فيها اضطراب أو فطور.

٤- مرفوعة بأعمدة إلهية غير مرئية ﴿رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[٤].

عن الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام: «فثمّ عمدٌ ولكن لا ترونها».

(س) هل في قوله (سبحانه وتعالى): ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً﴾ إيحاءٌ إلى كروية الأرض؟

(ج) إنّ الضمير (كُم) في الآية المباركة تعني كافة سكنة الأرض، فلزامه أنّ السبع الشداد فوق الكلّ أيضاً، فهذا يوحي إلى كروية الأرض والسماوات، السماء الدُنيا فوق الأرض كلّها والباقيات لابدّ أن تكون مثلها لأنّها طباق شيء فوق شيء.

۞ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً﴾.

لماذا وصف الله (سبحانه وتعالى) الشمس بالسراج الوهّاج؟

(ج) وذلك للإشارة إلى أنّ عمل الشمس ليس الإضاءة والإنارة فقط بل بعث الحرارة لتعيش على ضوئها وحرارتها المخلوقات، وأنّها التي تكوّن السحاب بتبخير مياه المحيطات

---

(١) تفسير الفرقان: الآية.

(٢) الانفطار: ١ - ٢.

(٣) النبأ: ١٩.

(٤) الرعد: ٢.

والى غير ذلك من الفوائد الكثيرة والعظيمة .

(س) متى خُلقت الشمس؟

(ج) خُلقت بعد بناء السبع الشداد، وخُلقت معها مصابيح السماء الدنيا، قال (عزّوجلّ): ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[١] .

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً﴾.

(س) كيف أصبحت الأرض صالحة للزراعة بينما كانت في بداية خلقتها كرة عطشى ملتهبة؟

(ج) أصبحت الأرض صالحة للزراعة وذلك بفعل المياه الكثيرة التي أنزلها الله (سبحانه وتعالى) عليها بشكل دفعات ومناسبات :

أوّلاً : كان بعد خلقه الأرض مباشرةً، قال (عزّوجلّ): ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾[٢] ، فلو كان مياه الأرض منها لما كان للتهديد بذهابه معنى في الآية الشريفة .

ثانياً : صبٌّ ثان في طوفان نوح (على نبيّنا وآله وعليه السلام) وابتلاع الأرض مقداراً من الماء، قال (عزّوجلّ): ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾[٣] ، وقال (عزّوجلّ): ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٤] .

ثالثاً: وصبٌّ ثالث أخفّها شدّة وأكثرها عدداً هي السيول والأمطار التي تجري على الأرض بفعل معصرات الرياح والسحاب، قال (عزّوجلّ): ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَاباً

---

(١) فُصّلت : ١٢ .

(٢) المؤمنون : ١٨ .

(٣) القمر : ١١ ـ ١٢ .

(٤) هود : ٤٤ .

ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ﴾(١) .

(س) لماذا وصف الله (سبحانه وتعالى) مصادر نزول الماء بالمعصرات، حيث قال: **﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً﴾**؟

(ج) بطبيعة الحال ما كان بالإمكان نزول الماء من السماء في الصبّ الأوّل والثاني والثالث على هذه الكرة المحترقة إلاّ بالإعصار الذي يؤدّي إلى الصبّ والماء الغزير.

(س) لماذا وصف الماء النازل من السماء بالثجاج؟

(ج) الثجاج هو الغزير الذي يُصبّ صبّاً، قال (عزّوجلّ): **﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً﴾**(٢)، وفيه إشارة إلى فائدته وخيره، إذ لو لم يكن ثجاجاً لما أفاد.

❁ قال (عزّوجلّ): **﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً﴾**.

(س) كيف يخرج الزرع الأخضر من الأرض الجرداء بمجرّد نزول المطر عليها؟

(ج) إنّها عملية التزواج واللقاح عند نزول أمطار السماء على رحم الأمّ الأرض فبعد انعقاد النطفة يخرج بإذن الله (عزّوجلّ) حبّاً ونباتاً وجنّات ألفافاً لتعطي الإنسان المأكول والملبوس فسبحان الخلاّق العليم.

(س) ما هو الهدف من ذكر النعم المختلفة في هذه الآيات؟

(ج) وذلك للإشارة إلى أصل الموضوع الذي تقصده السورة المباركة، فإنّ مَن يوجد الحياة والبهجة من الأموات والجمادات أوَلا يدلّ على عظمته وقدرته وأنّه قادر على أن يعيد الحياة للإنسان بعد موته؟

---

(١) النور: ٤٣.

(٢) عبس: ٢٥ ـ ٢٩.

۞ قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً﴾.

(س) لماذا سُمّي يوم القيامة بيوم الفصل؟

(ج) ١- لأنّه يُفصل بين الإنسان وبين ما كان يستقوي بـه في الدنيـا، قـال (عزّوجـلّ): ﴿لَـنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ ولاَ أَوْلاَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾[1]، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيـهِ * وأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وبَنِيهِ﴾[2].

٢- ويوم فصل الخلافات: ﴿إِنَّ ربَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَـهُمْ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ فِيمَـا كَـانُوا فِيـهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[3].

٣- فصل الحقّ عن الباطل وفصل أصحاب الجنّة عن أصحاب النار، قـال (عزّوجـلّ): ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾[4]، كلّ يتّجه نحو منزله ومأواه الذي أعـدّه وبنـاه في حياته الدنيا بأعماله.

(س) ما المراد من ميقاتية يوم الفصل بقوله (عزّوجلّ): ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً﴾؟

(ج) المراد أنّ هذا اليـوم الـذي نبأه عظيـم كـان في علـم الله (عزّوجـلّ) يـوم خلـق السـماوات والأرض وأنّه يعلم أنّ هذه النشأة لا تمّ إلاّ بالانتهاء إلى يوم الفصل وبه يكـون كمالـها وجزاؤها.

۞ قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً﴾.

(س) ما هو الصور؟

(ج) الصور بوق ولكن ليس كالأبواق التي نعرفها، كما النفخة فيه لا تشبه نفخاتنا وكلاهمـا كناية وإيحاء إلى سبب التدمير والتعمير.

---

(١) الممتحنة: ٣.

(٢) عبَس: ٣٤-٣٦.

(٣) السّجدة: ٢٥.

(٤) القارعة: ٤.

(س) أين يكون النفخ وكم مرّة؟

(ج) النفخ سوف يكون في الأرض والسماوات أجمع. قال (عزّوجلّ): ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ...﴾ [1] ثمّ نفخة الإحياء والتي هي أكثر ذكراً من الأولى، قال (عزّوجلّ): ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾[2].

وقال (عزّوجلّ): ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ﴾[3]، وقال: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [4].

(س) متى ولماذا نذهب أفواجاً إلى عرصات يوم القيامة، بقوله: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً﴾؟

(ج) عند وقوع النفخة الثانية نذهب أفواجاً، أفواج الأخيار وأفواج الأشرار كلٌّ مع زميله، قال (عزّوجلّ): ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾[5].

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً﴾.

(س) هل للسماء أبواب حتّى تنفتح يوم القيامة؟

(ج) القرآن الكريم لا يذكر عن أبواب السماء إلاّ لنوعين:

١ - أبواب الماء وأنّها فُتحت مرّتين، المرّة الأولى بقوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [6]، والمرّة الثانية في طوفان نبيّ الله نوح (علي نبيّنا وآله وعليه السلام) حيث قال (عزّوجلّ): ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ

---

(١) الزُّمَر: ٦٨.

(٢) يس: ٥١.

(٣) المؤمنون: ١٠١.

(٤) النازعات: ١٣ ـ ١٤.

(٥) الزلزلة: ٦.

(٦) المؤمنون: ١٨.

مُنْهَمِرٍ﴾[1].

٢- أبواب أخرى تفتح للمؤمنين لكي يدخلوا الجنّة.

قال (عزّوجلّ): ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ...﴾[2].

(س) لماذا تُفتح السماء حتّى تصير كأنّها أبواب؟

(ج) إنّه إشارة إلى مصيرها الذي سوف تتحوّل إليه، ولعلّ الآيات التالية تشير إلى هذه الحقيقة:

قال (عزّوجلّ): ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾[3]، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾[4]، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[5].

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً﴾.

(س) كيف تصبح الصمّ الصياخيد سراباً، كما قال الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «وتَذَلّ الشُمّ الشوامخ والصُمّ الرواسخ فيصير صلدُها سراباً رقرقاً ومعهدها قاعاً سملقاً».

(ج) يظهر هناك مراحل تحطيمية تمرّ على الجبال يوم القيامة حتّى تجعلها سراباً وهي:

١- تدكّ أولاً، قال (عزّوجلّ): ﴿وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[6].

٢- تواجه الرجفة المدمّرة الأرضية حتّى تجعلها كتلال الحصى، قال (عزّوجلّ): ﴿يَوْمَ

---

(١) القمر: ١١.

(٢) الأعراف: ٤٠.

(٣) الانفطار: ١.

(٤) المرسلات: ٩.

(٥) إبراهيم: ٤٨.

(٦) الحاقّة: ١٤.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَهِيلاً﴾[١].

٣- ثمّ تصبح كالغبار المنبث: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً﴾[٢].

٤- وتصير كالعهن المضروب (الصوف المندوف): ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾[٣].

٥- ثمّ تُنسف فلا يبقى إلاّ سراب وأرض ملساء: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً * فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً * لاَ تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلاَ أَمْتاً﴾[٤].

(س) ما علاقة الآية بالإنسان وبأصل الموضوع الذي تقصده السورة المباركة؟

(ج) الآية المباركة تبيّن حال الجبال يوم القيامة، فهذه الأوتاد الشوامخ والراسيات الرواسخ تصبح كالسراب والهباء، فكيف يكون حال الإنسان يومئذ وكيف يكون حال ذلك المتكبّر المعاند الضعيف الذي ينكر مجيء يوم الحساب والقيامة؟

الآية نظير قوله (عزّوجلّ) في أقوام أهلكهم الله (عزّوجلّ) وقطع دابرهم، قال تعالى: ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾[٥].

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً﴾.

(س) المرصد هو موضع الرصد وهو الاستعداد للترقّب، هل إنّ جهنّم كانت تترقّب وتنتظر أهلها فقط أم كانت تحرقهم أيضاً؟

(ج) إنّ جهنّم منذُ أن خُلقت كانت مستعدّة تترقّب مجيء أهلها، وأهلها لم يدخلوها إلاّ بفعل الأعمال السيّئة التي قاموا بها في الحياة الدنيا، فممّا لاشكّ فيه أنّهم ذاقوا شيئاً من

---

(١) المزمّل: ١٤.

(٢) الواقعة: ٥ ـ ٦.

(٣) القارعة: ٥.

(٤) طه: ١٠٥ ـ ١٠٧.

(٥) المؤمنون: ٤٤.

عذابها، هذا في الدنيا ﴿ولَعَذَابُ الأخِرَةِ أَشَدُّ وأَبْقى﴾[1]، وقال (عزّوجلّ): ﴿وإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[2].

۞ قال تعالى: ﴿لِلطَّاغِينَ مَآباً﴾.

(س) هل إنّ جهنّم تترصّد أهلها فقط، أم تترصّد المؤمنين أيضاً؟

(ج) القرآن الكريم يقول بأنّ الجميع سوف يدخلون جهنّم حيث قال (عزّوجلّ): ﴿وإِنْ مِنْكُمْ إلاّ وارِدُهَا كَانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً﴾[3]، الظالمون والطغاة يدخلونها دخول مآب ومكوث دائم لا خير فيه، بينما المؤمنون يمرّون على جهنّم مرور الكرام دون أن يجدوا منها أذىً ويشكرون الله (عزّوجلّ) الذي نجّاهم منها بفضله وكرمه وانتقم من الذين كانوا يظلمونهم ويؤذونهم في الحياة الدنيا.

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿لاَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً﴾.

(س) الحقب هو مدّة من الزمان مبهمة ويؤيّده حقب موسى عليه السلام: ﴿لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً﴾[4]، فلمّا كانت مدّة لبث الطغاة والظالمين غير معلومة، فهل هناك أمل لانتهاء العذاب عليهم؟

(ج) اختلفت الآراء في هذا المجال، هناك رأي يقول بأنّ هؤلاء يلبثون في جهنّم أحقاباً على هذه الصفة وهي أنّهم لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلاّ حميماً وغسّاقاً، ثمّ يكونون على غير هذه الصفة إلى غير النهاية، قال صاحب الميزان(رحمه الله): «إنّ هذا الرأي حسن لو ساعد السياق».

وهناك رواية عن ابن مسعود، وأبو سعيد، و و... تقول: «يفنيها ربّها (تبارك

---

(١) طه: ١٢٧.

(٢) التوبة: ٤٩.

(٣) مريم: ٧١-٧٢.

(٤) الكهف: ٦٠.

وتعالى)، فإنّه جعل لها أمداً».

۞ قال تعالى: ﴿لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلاَ شَرَاباً﴾.

(س) ما الفرق بين البرد والشراب، والحميم والغسّاق في قوله تعالى: ﴿لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلاَ شَرَاباً * إِلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقاً * جَزَاءً وِفَاقاً﴾؟

(ج) ظاهر المقابلة بين البرد والشراب، أنّ البرد هو مطلق ما يتبرّد به الإنسان كالظلّ والهواء البارد وماء السباحة، أمّا الشراب فهو ما يبرّد الباطن فيريح الظاهر. والمراد من الذوق مطلق النيل والمسّ.

أمّا الحميم هو الماء الساخن الذي يشوي الظاهر والباطن، والغسّاق صديد أهل النار. والصديد هو القيح.

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لاَ يَرْجُونَ حِسَاباً * وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً﴾.

(س) ما سبب طغيان البعض من الناس؟

(ج) عدم الإيمان العملي والواقعي بيوم الحساب، ورفض ما يأمل منه الثواب، واقتراف ما لا يخاف منه العقاب هو الذي يدفع البعض إلى الفساد والإفساد والظلم ولو أنّهم أملوا الثواب لأقبلوا نحو الخيرات، ولو خافوا العقاب لتركوا الفساد والحرام، فالإيمان الكامل بالآخرة هو الذي يدفع الإنسان نحو الخير والصلاح، وعدمه يسوق إلى العكس.

۞ قال تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً﴾.

(س) ما هي الآيات التي يكذّب بها الظالمون والطغاة حتّى أنّهم لا يرجون حساب الله ولقاءه؟

(ج) إنّهم كذّبوا بالآيات الآفاقية، قال (عزّوجلّ): ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾[1]. وبالآيات الأنفسية، وبالآيات

---

(١) آل عمران: ١٩٠.

العقليـة والفطريـة، وكذّبـوا بالرسـل والرسـالات وبمعجـزات الأنبيـاء وامتدادهـم الصالح عليهم السلام . ومنهم مَن كذّب بأئمّة أهل البيت عليهم السلام ذريّـة النبيّ محمّـد صلى الله عليه وآله وآخرهـم هو الإمام المهديّ المنتظر عليه السلام الـذي سيملأ الأرض قسطاً وعـدلاً بعدمـا ملئـت ظلمـاً وجوراً.

(س) ما المراد من كذّاباً في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً﴾؟

(ج) المراد أنّ هؤلاء لم يكذّبوا بصورة عادية بـل كذّبـوا بصـورة ظالمـة وعجيبـة حيـث خلطـوا تكذيبهم بالعمل الإجرامي المضادّ للحقّ. إذاً فهم من جانب كذّبـوا بالآيـات الواضحـة التي تدلّ على حتمية يوم الحساب، من جانب آخر وظّفوا جـهودهم وطاقاتـهم في نشـر الضلال والباطل وعدم الإيمان بالآخرة، لهذا أصبح تكذيبهم خطيراً وعجيباً، فبسـبب طغيانهم هذا استحقّوا جهنّم جزاءً وفاقاً عادلاً لا يزيد عمّا قدّموا لأنفسهم.

۞ **قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً﴾.**

(س) ما هي الأشياء التي أحصيت على الإنسان بقوله (عزّوجلّ): ﴿وَكُلَّ شَـيْءٍ أَحْصَيْنَـاهُ كِتَاباً﴾ وأين تسجّل عليه؟

(ج) الأمور التي ضُبطت على الإنسـان هـي كـلّ شيء مـن أقـوال وأعمـال وأفكـار حتّـى أنّ الإنسان يندهش ويذهل من شدّة الكتاب ودقّته، قـال (عزّوجـلّ): ﴿وَوُضِـعَ الْكِتَـابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَـادِرُ صَغِـيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾[1]. ، وأمّا التسجيل فيكون على الأرض: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّـكَ أَوْحَـى لَـهَا﴾[2]، وعلـى الجوارح: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُـمْ بِمَـا كَـانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَـيْءٍ وَهُـوَ

(١) الكهف: ٤٩.

(٢) الزلزلة: ٤ ـ ٥.

خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١).

بالإضافة إلى شهود الأعمال والملائكة والرسل والله (عزّوجلّ): ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٢).

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً﴾.

(س) لماذا الالتفات في الخطاب من الغيبة إلى الحضور في الآية المباركة؟

(ج) انتقل الخطاب من الغيبة إلى الحضور ليخاطَبوا بالتوبيخ والتقريع بلا واسطة وأنّه مسوق لإيأسهم من أن يرجوا نجاةً من العذاب الذي ينالونه.

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً * حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً﴾.

(س) ما هو المفاز وكيف حصل المتّقون عليه؟

(ج) المفاز هو الظفر بالخير مع حصول السلامة الكاملة من الشرّ، أي النجاة من النار ودخول الجنّة وهو قوله (عزّوجلّ): ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ...﴾ (٣)، وأنّهم حصلوا على ذلك بفضل الله ورحمته، قال تعالى: ﴿مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ... لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٥).

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً * حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً * وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً * وَكَأْساً دِهَاقاً﴾.

---

(١) فصّلت: ٢٠ ـ ٢١.

(٢) البروج: ٩.

(٣) آل عمران: ١٨٥.

(٤) الأنعام: ١٦.

(٥) الدّخان: ٥١ ـ ٥٧.

(س) هل النعم التي يراها المتقون هي الحدائق والأعناب والحوريات الجميلات والشراب اللذيذ وغير ذلك، أم هناك نعمةٌ أكبر من هذه النعم يحصلون عليها؟

(ج) الجنّة الكبرى التي يحصل عليها المتّقون هي جنّة الرضوان، قال (عزّوجلّ): ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ الله أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1]، وذلك لأنّه تعالى وعدَ عباده المتّقين جنّتين، حيث قال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[2].

(س) لماذا سمّيت الحديقة بهذا الاسم؟

(ج) الحديقة هي قطعة من الأرض فيها ماء وأشجار وزرع، محصورة بجدران وأبواب يمكن الحدق بها من أطرافها، ولا يمكن للغير الدخول فيها إلاّ بإذن.

(س) لماذا ذكرت الآية المباركة العنب وهو ثمر شجرة الكرم دون غيرها من الفواكه؟

(ج) لأنّ العنب أكثر الفواكه نفعاً وفائدة وأقواها غذاء وأطيبها طعماً، وأنّ الأعناب ذكرت في عشرة مواضع من القرآن ولم يُذكر غيرها مثلها، فهي شراب وغذاء ودواء وفاكهة، تدخل في السوق قبل الفواكه وتخرج بعدها ويابسها تحفظ خواصّ رطبها.

۞ قال تعالى: ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً * وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً﴾.

(س) لماذا ذكرت الحور العين بعد الحدائق والأعناب، حيث قال (عزّوجلّ): ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً * وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً﴾؟

(ج) يفكّر الإنسان عادةً بالزوجة بعد تفكيره بالسكن الملائم وبعد أن يجد في نفسه الرغبة والاندفاع والحاجة الجسدية للمقاربة مع الجنس الآخر وأنّه يحصل بعد تناول الأطعمة المقوّية، منها العنب.

(س) ما المراد من الكواعب الأتراب في قوله (عزّوجلّ): ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً﴾؟

(ج) الكواعب جمع كاعب وهي الفتاة التي تكعّب ثدياها واستدارا مع ارتفاع يسير،

---

(١) التوبة: ٧٢.

(٢) الرّحمن: ٤٦ ـ ٤٧.

والأتراب جمع تُرب وهي المماثلة لغيرها في السنّ والجمال واللذّة، قال (عزّوجل): ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾[1]، وعلّه مع أزواجهنّ أيضاً في الكفاءة لا في العمر، إذ الكفاءة يجب أن تكون واحدة ولكنّ العمر بالعكس، كلّما كانت الزوجة أصغر كانت ألذّ، والكواعب الأتراب تشير إلى هذه المسألة فإنّ الحور العين التي سوف تُعطى لأهل الجنّة هنّ في بداية سنّ البلوغ وهو أفضل سنّ الزواج.

❁ قال (عزّوجل): ﴿وَكَأْساً دِهَاقاً * لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ كِذَّاباً﴾.

(س) ماذا في الكؤوس المتلئة شراباً؟

(ج) ﴿بَيْضَاء لَذَّة لِلشَّارِبِينَ * لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾[2]، في الشراب لذّة لعقولهم وأرواحهم تزيدهم عقلاً إذ ليس فيها غول (فساد) ولا نزف (سُكر). إنّ خمر الدنيا يخمّر العقل ويستره عن المعرفة، وخمر الآخرة يخمّر الجهل ويزيد العقل نوراً وعلماً.

❁ قال تعالى: ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً﴾.

(س) لماذا قال (عزّوجل): ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً﴾ ولم يقل: جزاءً وفاقاً؟

(ج) لو كان جزاء المؤمن في الآخرة جزاءً وفاقاً حسب أعماله التي قام بها في الدنيا لما بقي له شيء في الآخرة ليستحقّ عليه أجراً من الله تعالى، إذ إنّ جزاء الأعمال الصالحة التي قام بها في الدنيا حصل عليها في حياته بصورة كاملة سواء كانت عبادية أو معاملاتية، وأمّا الجزاء الكبير الذي يشاهده في الآخرة في دخول الجنان فليس إلاّ عطاءً وفضلاً ورحمةً من ربّ العالمين، ولهذا قال(عزّوجل): ﴿عَطَاءً حِسَاباً﴾ أي محسوباً فضلاً من الله (عزّوجل) وإحساناً، وعطاء على حساب الوعد دون استحقاق.

عن الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «... حتّى إذا كان يوم القيامة

---

(١) ص: ٥٢.

(٢) الصّافات: ٤٦ ـ ٤٧.

حسب لهم حسناتهم ثمّ أعطاهم بكل واحدة عشرة أمثالها إلى سبعمئة ضعف، قال الله (عزّوجلّ): ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً﴾»[١].

(س) لماذا أضاف القرآن الكريم كلمة «ربّك» هنا بينما لم يضفها في جزاء الطغاة؟
(ج) إضافة «ربّك» في جزاء المتّقين تشريف وتكريم للنبيّ محمّد ﷺ وعدم إضافتها في جزاء الطاغين تنزيهاً منه تعالى لنفسه إذ الذي أصابهم هو من عند أنفسهم، قال (عزّوجلّ): ﴿ذٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[٢].

(س) ما سبب مجيء كلمة «ربّ السماوات والأرض» بعد «ربّك» من الآية السابقة؟
(ج) إنّ الآية بيان لقوله: «ربّك» إذ أنّ الربّ الذي يتّخذه النبيّ محمّد ﷺ ويدعو إليه هو ربّ كلّ شيء ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا...﴾ لا كما يقول المشركون بأنّ لكلّ شيء من الموجودات ربّ والله (سبحانه وتعالى) ربّ الأرباب، أو كما يقول بعضهم: إنّه ربّ السماء!
وفيه تلميح أيضاً إلى سبب خلق السماوات والأرض كما جاء في الحديث القدسي عن الباري (جلّ وعلا): «يا أحمد لولاك لما خلقتُ الأفلاك، ولولا عليّ لما خلقتك، ولولا فاطمة لما خلقتكما..» إذ لو لم يكن ربّك لما كان ربّ السماوات والأرض.

۞ قال تعالى: ﴿الرَّحْمٰنِ لاَ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً﴾.

(س) مَن هم الذين لا يملكون خطاباً وما هو نوع ذلك الخطاب؟
(ج) كلّ الكائنات في المحشر من الملائكة والروح والإنس والجنّ الصالحون والطالحون لا يستطيعون أن يخاطبوا الله (عزّوجلّ) فيما فعل أو يفعل بحقّ المؤمنين والمجرمين فـ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾[٣]، ولا يمكن لهم طلب الغفران أو الشفاعة أو غير

---

(١) نور الثقلين ج٥ ص٤٩٥ ح٢٩، أمالي الطوسي بإسناده إليه عليه السلام.
(٢) الأنفال: ٥١.
(٣) الأنبياء: ٢٣.

ذلك ﴿يَوْمَئِذٍ لاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً﴾[١].

۞ قال (عزّوجلّ): ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلاَئِكَةُ صَفّاً لاَ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَقَالَ صَوَاباً﴾.

(س) مَن هو الروح الذي يقوم مع الملائكة صفّاً؟

(ج) قال العلاّمة الطباطبائي: إنّ الروح هو المخلوق الأمري الذي يشير إليه قوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[٢]. وقيل: إنّ ردف الروح بالملائكة هنا توحي أنّه من غير الملائكة، بل إنّه عظيمهم وزعيمهم كما قال (عزّوجلّ): ﴿تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾[٣].

عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال: «الروح مَلَك أعظم من جبرئيل وميكائيل وكان مع رسول الله وهو مع الأئمّة»[٤].

(س) متى يقوم الروح والملائكة صفّاً ولماذا؟

(ج) إنّه يوم القيامة يقومون كما يقوم الموتى عن أجداثهم وكما يقوم الأشهاد والناس، يقومون ليوم الفصل فلعلّهم يتكلّمون فيشفعون بشرط الصواب[٥] إذا أذن لهم الرحمن، ولعلّ قيامهم لأجل الشهادة مع الشهداء والله العالم.

(س) لماذا جاءت الإشارة إلى يوم القيامة بـ«ذلك» في قوله (عزّوجلّ): ﴿ذلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآباً﴾ والتي تدلّ على البعد، بينما هي قريبة كما قال (عزّوجلّ): ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾[٦]؟

---

(١) طه: ١٠٩.
(٢) الإسراء: ٨٥.
(٣) القدر: ٤.
(٤) نور الثقلين ج٥ ص٦٣٩ ح١٠٨.
(٥) الكلام المأذون مقيّد بالصواب.
(٦) المعارج: ٦ ـ ٧.

(ج) الإشارة بالبعيد للتعظيم ولفخامة الأمر والمراد بكونه حقاً ثبوته وأنّه حتماً مقضياً لا يتخلّف عن الوقوع.

۞ قال (عزّوجل): ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾.

(س) قوله (عزّوجل): ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً...﴾ إنذار لجميع المكلّفين من الجنّ والإنس أجمعين سواء الذين في شرق الأرض أو في غربها أو جنوبها أو في شمالها، فأين الإنذار كما تقوله الآية المباركة وكيف يتلقّاه أو يجده إنسان اليوم الذي يعيش في اليابان أو في المكسيك أو في جنوب استراليا أو الذين في القطب المنجمد؟.

(ج) إذا لم يكن هناك إنذار لفظي يتلقّاه الناس الذين يعيشون في مختلف بقاع الأرض، ويحذّرهم من عقاب الله (عزّوجلّ) ويوم القيامة، فهناك إنذارٌ فطري وعقلي وفكري ونفسي قال (عزّوجلّ): ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[1] بالإضافة إلى الآيات والدلالات الكونية والآفاقية والروحية التي تدعو كلّها إلى وجود الله (عزّوجلّ) وأنّه لم يخلق الدنيا عبثاً بل خلقها لأجل هدف سامي وأنّه سوف يجمع الخلق يوماً ما فيثيب المحسن ويعاقب المسيء، وإلاّ لما كمُل الهدف من الخلق.

(س) كيف تقول الآية المباركة بأنّ عذاب الآخرة قريب بقوله: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً..﴾ ولكنّ أكثر الناس لا يرونه قريباً بل يرونه بعيداً؟

(ج) بما أنّ عذاب وحساب يوم القيامة أمر حتميّ ولابدّ من يوم يأتي به، لذا فإنّ كلّ آت قريب ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً * وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾[2]، وأنّها قريبة من العقول والفطرة السليمة والروح الطاهرة، فهؤلاء الذين يرونه بعيداً قد غطّوا عقولهم وفطرتهم بأغطية الأهواء والشهوات وعبادة الدنيا ولذّاتها فلهذا يستبعدون مجيئها.

---

(١) الشمس: ٧ ـ ٨.

(٢) المعارج: ٦ ـ ٧.

(س) لماذا يقول الكافر عندما يرى مصيره الأسود يوم القيامة بـ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾ ولم يقل شيئاً آخر؟

(ج) عندما ينتقل الكافر من هذا العالم إلى العوالم الأخرى يُكشف عنه غطاءه الذي وضعه على عقله وقلبه وفكره بقوله ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[1] لذا فإنّه سوف يعرف أصل خلقته وماذا صار بعد أن فارق الحياة وماذا كان الواجب عليه في الدنيا، فكأنّه يقول:

١) يا ليتني كنتُ تراباً كما كنتُ قبل أن أُخلق.

٢) يا ليتني بقيتُ تراباً كما صرتُ بعد الموت.

٣) يا ليتني كنتُ تراباً لربّ العالمين خاضعاً ومتواضعاً لأوامره ونواهيه غير متخلّف.

٤) يا ليتني أصبح تراباً كما تصير إليه الحيوانات الغير مكلّفة بعد حساب يسير قصير، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ﴾[2].

---

(١) ق: ٢٢.

(٢) الحاقة: ٢٥-٣٢.

المصادر

(١) القرآن الكريم .
(٢) نهج البلاغة : الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام .
(٣) تفسير الميزان : العلامة محمد حسين الطباطبائي .
(٤) تفسير الفرقان : الدكتور الشيخ محمد الصادقي .
(٥) التفسير الكبير : الفخر الرازي .
(٦) تفسير الأمثل : مكارم الشيرازي .
(٧) تفسير من هدى القرآن : العلامة السيد محمد تقي المدرسي .
(٨) منة المنان في الدفاع عن القرآن : السيد الشهيد محمد الصدر (قده) .
(٩) تقريب القرآن إلى الأذهان : آية الله السيد محمد الشيرازي (قده) .
(١٠) مجمع البيان : الطبرسي .
(١١) الدر المنثور : جلال الدين السيوطي .
(١٢) تفسير البرهان : البحراني .
(١٣) ميزان الحكمة : محمد ريشهري .
(١٤) مفردات الراغب : الأصفهاني .
(١٥) سفينة البحار : الشيخ عباس القمي .
(١٦) أصول الكافي : الكليني .
(١٧) نور الثقلين : الحويزي .
(١٨) روح المعاني : إسماعيل حقي .
(١٩) تفسير علي بن إبراهيم : علي بن إبراهيم .

(٢٠) تفسير القرطبي : القرطبي .

(٢١) بحار الأنوار : المجلسي (قده) .

الفهرس